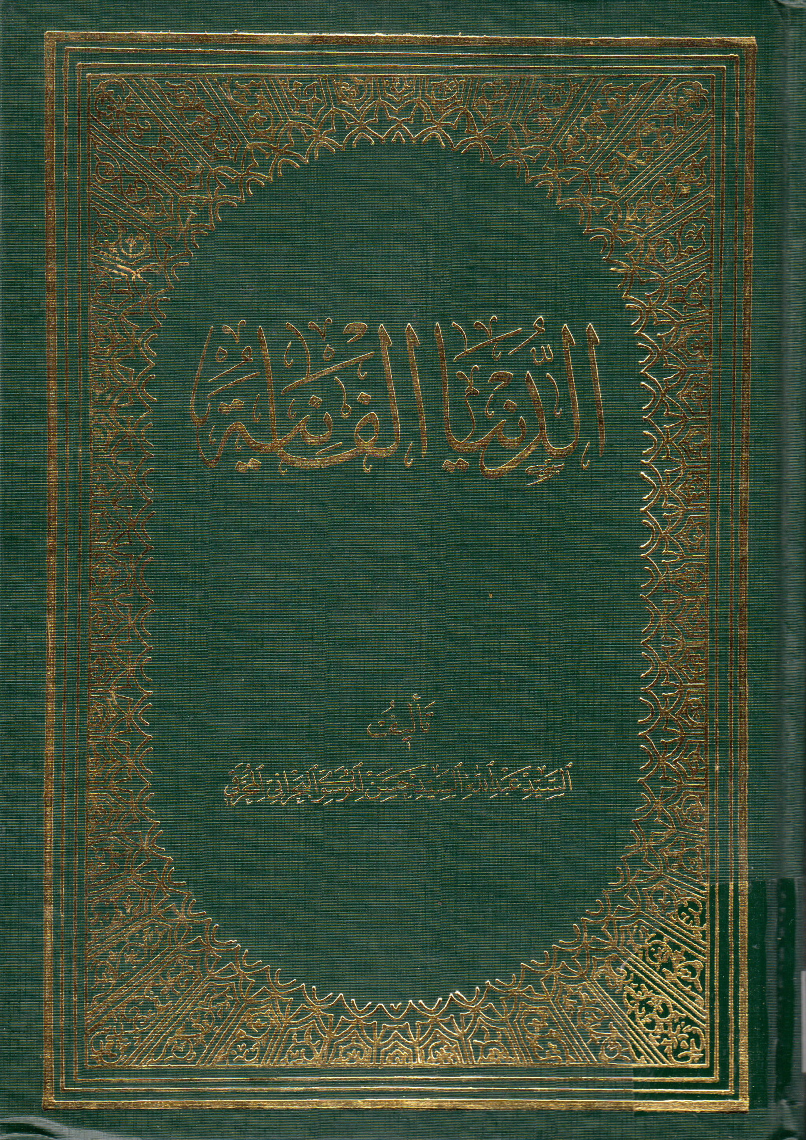

الدنيا الفانية
تأليف
السيد عبد الله السيد حسن الموسوي البحراني المحرقي

الدنيا الفانية

الدنيا الفانية

تأليف: السيد عبدالله السيد حسن السيد هاشم الموسوى

الكمّيّة: ١١٥٠ نسخة

المطبعة: دانش

الطبعة الاولىٰ ١٤١٥ هـ.ق

السعر ٥٥٠ تومان



الدنيا الفانية

تأليف

السيد عبدالله السيد حسن السيد هاشم
الموسوي البحراني





الطبعة الأُولى

١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأول بلا أول له كان قبله ، والآخر بلا آخر يكون بعده، الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين ، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين ، وجل عن معرفة كنهه عقول العارفين ، حمداً يضيء لنا به ظلمات البرزخ ، ويسهل به علينا سبيل المبعث ، ويشرف به منازلنا عند مواقف الاشهاد ، يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ، يوم لا يغني مولى عن مولىً شيئاً ولاهم ينصرون .

وصلّى الله على محمد نبيه ، وأمينه على وحيه ، ونجيبه من خلقه ، وصفيّه من عباده ، إمام الرحمة ، وقائد الخير ومفتاح البركة . الذي نصب لأمر الله نفسه ، وعرض فيه للمكروه بدنه ، وكاشف في الدعاء إليه حامته وحارب في رضا ربّه اسرته وقطع في إحياء دينه رحمه ، ووالى فيه الأبعدين. وعادى فيه الأقربين ، وأدأب نفسه في تبليغ رسالته ، وأتعبها في الدعاء إلى ملته ، وشغلها بالنصح لأهل دعوته صلّى الله عليه وعلى أهل بيته الأنجبين وسلالة النبيّين وصفوة المرسلين ، الذين هم محال معرفة الله ومساكن بركة الله .. ومعادن حكمة الله .. وحفظة سر الله .. وحملة كتاب الله ، وأوصياء نبي الله ، وذرية رسول الله ، وأهل الذكر .. وأُولي الأمر ، وبقية الله وخيرته .. وحزبه وعيبة علمه .. وحجته وصراطه ونوره وبرهانه ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، لاسيما حجة الله على عباده . مهديهم المغيب ، والبدر الأطيب .. بقية العترة والصفوة .. مولانا الأكرم والامام الاعظم صاحب العصر والزمان .. ومعلن أحكام القرآن ومطهر

الارض، وناشر العدل في الطول والعرض والحجة القائم المهدي، والامام المنتظر. بقية الله في الأرضين عجل الله تعالى فرجه الشريف .. وروحي وأرواح العالمين ومن في الوجود لتراب مقدمه الشريف الفداء، وسلام الله وبركاته ورحمته وجزيل هباته على نائبه بالحق صاحب النور الرباني الامام العرفاني والفاضل الصمداني الذي أوضح لنا طريق الهداية، وجنبنا سبيل الغواية المتهجد الناسك الذي كان رضوان الله تعالى عليه يقوم ليله ويصوم نهاره طالباً رضا ربه في سره وجهاره، زبدة العلماء العارفين وقدوة الفقهاء والمجتهدين جمال الملة والدين، امام المؤمنين والمسلمين مولانا الاعظم الامام السيد روح الله الموسوي الخميني قدس سرّه ونفسه الزكية .. وطيب الله روضته الشريفة المرضية، وجعلها الله مناراً عالياً للاسلام والمسلمين.

وبعد:

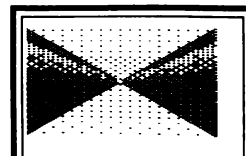
انّه غير خفي على أرباب العلم والمعرفة ان الله تعالى لما أخذ العهد على أوليائه وخلصائه وأحبّائه، ساداتنا الكرام والائمة الأعلام آل محمد عليهم آلاف التحية والصلاة والسلام بأن يخلصوا له في القول والعمل، وان يعبدوه حق عبادته، وأن يجاهدوا في سبيله ومن أجل إعلاء كلمته اشترط عليهم أولاً وقبل كل شيء الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية فشرطوا له ذلك فلمّا علم منهم الوفاء به استخلصهم لنفسه ودينه واختار لهم جزيل ما عنده من النعيم المقيم الذي لازوال له ولا اضمحلال، فقربهم إليه مكرمين بوحيه، وارفدهم بعلمه، وجعلهم الذرائع إليه والوسيلة الى رضوانه، بعد ذلك قام آل محمد عليهم الصلاة والسلام بدورهم في توجيه الأُمة وتثقيفها وإرشادها وتعليمها ما يجب عليها الالتزام به أو الابتعاد عنه، فكان من جملة ذلك إرشاد شيعتهم بالابتعاد والتخلّي عن هذه الدنيا الدنية وتركها والزهد فيها، فكانوا عليهم السلام كثيراً ما يركّزون في مقالاتهم الشريفة على ذلك، ولقد دوّن العلماء الأعلام تلك المقالات في مختلف كتب الحديث

وغيرها، وكتابي «الدنيا» الذي بين يديك ايّها القارىء العزيز يتكفل بنقل بعض ما جاء عنهم عليهم السلام في ذم الدنيا وتقلبات أحوالها بالاضافة الى موضوعات أُخرى تتعلق بالدنيا تجدها في طيات هذا الكتاب قد لخصناها لك بالعناوين التالية:

١ ـ تسميتها
٢ ـ معرفتها
٣ ـ لذّاتها
٤ ـ وصفها
٥ ـ أمثلتها
٦ ـ ذمّها
٧ ـ خسائس صفاتها
٨ ـ اسباب الميل لها
٩ ـ علاج الميل لها
١٠ ـ تحذيرات ونصائح الأولياء منها
١١ ـ الزهادة فيها
١٢ ـ بلاغها
١٣ ـ سعادة ونحوسة أيّامها وشهورها
١٤ ـ مفارقتها
١٥ ـ فناء أشيائها

هذه عناوين الكتاب ومن الله نسأل التوفيق لما فيه الخير والصواب بحق محمد وآله السادة الاطياب.

حرّره الراجي عفو ربّه عبد الله الموسوي البحراني بتاريخ ١ صفر سنة ١٤١٢ هـ.



تسميتها



قيل : إنما سمّيت الدنيا من الدنو ولكونها سابقة في البدو وقيل : إنّها مأخوذة من الدناءة وهي الخسّة أو من الدنو وهو القرب لقربها بالنظر الى الآخرة .

ولهذا قال بعض الحكماء : الراضي بالدون هو من رضى الدنيا وقيل : إنّ تسميتها بذلك لقربها من الزوال بسرعة ، قال الشاعر :

هب الدنيا تساق إليك عفواً ... أليس مصير ذاك إلى زوال
وهل دنياك إلاّ مثل فيء ... أضلك ثمّ آذن بانتقال
فما ترجو لشيء ليس يبقى ... سريع لا يدوم على الليالي

وقال آخر :

يا مؤثر الدنيا على دينه ... والحائر التائه عن قصده
أصبحت ترجو الخلد فيها وقد ... أبرز ناب الموت عن حدّه

وقال ثالث :

وسمّيت دنيا من الدنو ... لسبقها قد قيل في البدو

وقيل : بل لقربها الداني إلى زوالها بسرعة تنقلا .

وقيل أيضاً ان دنيا الانسان هي حياته وليس بعدها إلّا الآخرة ، ويؤكد ذلك ما جاء في الخبر : من مات قامت قيامته ، فيكون آخر يوم من أيام حياة الانسان هو أول يوم من أيام الآخرة بالنسبة إليه وهو أيضاً من الأيام التي أمر الله تعالى نبيه الاكرم أن يذكّر عباده بها كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وذكّرهم بأيّام الله ﴾[1] وكما جاء في الحديث الشريف : يا ابن الأيّام الثلاث : يومك الذي ولدت

---

(١) سورة إبراهيم : ٥ .

فيه، ويومك الذي تنزل فيه إلى قبرك، ويومك الّذي تخرج فيه إلى ربّك، فياله من يوم عظيم. قال الحكيم فيه :

فسمّي اليوم بيوم القارعة   وهي لعمري للقلوب قارعة
يوم ترى الناس به سكارى   لشدّة الخطب فهم حيارى

قال بعض الأعلام : الويل لمن أفسد آخرته بصلاح دنياه، وفارق ما عمر غير راجع إليه، وقدم على ما خرّب غير منتقل عنه.

ويقال : إنه خطب الحجاج لعنه الله تعالى يوماً فقال : ان الله تعالى أمرنا بطلب الآخرة وكفانا مؤونة الدنيا، فليتنا كفينا مؤونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا، فسمعها الحسن البصري فقال : هذه والله ضالة المؤمن خرجت من قلب المنافق.

وسئل مولانا نجل امام المتقين وسبط رسول رب العالمين الامام العظيم الكريم الحسن بن علي عليه وعلى جده وأبيه وأُمه وأخيه آلاف التحية والسلام : من اعظم الناس قدراً ؟

فقال : من لم يبال بالدنيا في يد من كانت.

وفي هذا الحديث الشريف إشارة إلى أن الدنيا ليست بشيء في نظر العارفين.

قال بعض العبّاد : أهينوا الدنيا فإنّها أهنى ما تكون لكم أهون ما تكون عليكم.

وجاء في الحديث : لا يترك الناس شيئاً من دينهم لاستصلاح دنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أضرّ منه.

وقال مولانا الامام زين العابدين عليه التحية والصلاة والسلام وكذلك على آبائه الكرام : اعلموا أنّ الدنيا سُبات، والآخرة يقظة، ونحن بينهما أضغاث.

وممّا يحكى عن بعض العارفين الزهاد انه قال : لولا الليل ما أحببت البقاء

في الدنيا .

وقيل : ان يحيى بن معاذ قال : الدنيا خمرة الشياطين ، فمن شرب منها سكر فلم يفق إلاّ وهو في عسكر الموتى خائب خاسر نادم .

وجاء عن الفضيل بن عياض أنه قال : ألا ترون كيف يـزوي الله الدنـيا عمن يحب ، ويمرّرها عليهم تارة بالجوع ، ومرة بالحاجة كما تصنع الأُم الشـفيقة بولدها تفطمه بالصبر مرة ، وبالحضض أخرى ، إنّما تريد إصلاحه .

وقال بعض العارفين : الدنيا تطلب لثلاثٍ : الغنى ، والعز ، والراحة ، فمن زهد فيها عز ، ومن قنع فيها استغنى ، ومن قل سعيه فيها استراح .

وقيل : إنّ بعض الحكماء كان يقول : كل الدنيا فضول إلا خمسـة : خـبز تسيغه ، وماء تروى به ، وثوب تستر به ، وبيت تسكنه ، وعلم تستعمله .

وجاء عن بعضهم انه قال : الدنيا ليست تعطيك لتسرّك ، بل لتغرَّك .

ومن كلام لمولانا الامام المرتضى عليه التحية والصلاة والسلام انه قال : أيّها الناس إنما الدنيا دار مجاز ، والآخرة دار قرار ، فخذوا من ممركم لمقركم ، ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم اسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قـلوبكم قـبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها اختبرتم ، ولغيرها خُلقتم .

ويقال : لقي المنصور لعنه الله تعالى سفيان الثوري ، فقال له : ما يمنعك أن تأتينا يا أبا عبد الله ؟

فقال : إنّ الله سبحانه وتعالى نهانا عنكم حيث يقول : ﴿ **ولا تركَنُوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار** ﴾[1] .

ودخل عليه يوماً وقد أرسل إليه ، فقال له : سل حاجتك، قال: أو تقضيها ؟ قال : نعم .

قال : حاجتي ألاّ ترسل إليّ حتى آتيك ، ولا تعطني شيئاً حتى أسألك ، ثمّ

---

(١) سورة هود : ١١٣ .

خرج فقال المنصور : ألقينا الحب للعلماء فلقطوا إلّا ما كان من سفيان .

من خلال هذا الكلام يعلم ان هذا الرجل قد أهان المنصور بالدنيا لأنها في نظره مهانة بينما يرى المنصور ان الدنيا كبيرة .

قال الشافعي ولنعم ما قال :

إن لله عـــبـاداً فُـــطـنا ... طـــلقوا الدنـيا وخـافوا الفـتنا

نـــظروا فـــيها فـلمّا عـلموا ... أنهـــا ليست لحـــي وطـــنا

جـــعلوها لُجـــة واتخـــذوا ... صـــالح الاعـــمال فـيها سـفنا

وقال جميل السيابي :

قـد لحـظوا الدنـيا بعين المـعرفة ... وحـققوا مـا كـان فـيها مـن صـفه

فـــعرفوها جـــيفة تـــوسّخت ... لكـــنّها بـالطيب قـد تـضمّخت

وكســـيت بـــفاخر اللـــباس ... فـاغترّ بـالظاهر بـعض النـاس

والعـــاقلون الصـالحون عـرفوا ... بـاطنها وعـن هـواهـا انـصرفوا

والحقيقة انّه ليست دنيا الانسان في الواقع إلّا نفسه وما فيها من غـرائـز وشهوات وأفكار واعتقادات ، وكل شيء ما عدا نفسه فهو خارج عن ذاته أجنبيّ عنه ، بل ليس من دنياه في شيء ، ولا يرتبط به إلّا بمقدار ما يرتبط في افكـاره وآرائه وإشباع شهواته ، وتحقيق ما تدفع إليه الغرائز .

فإذا اشبعت شهواته كلّها فقد حاز على كل ما في دنياه بحذافيرها وإلا فهو محروم منها بمقدار بقاء بعض شهواته جائعة أو مكبوتة .

غير ان إشباع جميع الشهوات من المستحيل على الانسان في هذه الحـياة الدنيا وسوف تعرف ذلك من خلال البحوث المقبلة فيما يأتي إن شاء الله تعالى ، وهنا على سبيل الاختصار نـضرب لذلك مـثلاً اولاً بـشهوة حبّ الاسـتعلاء والسيطرة وثانياً بـشهوة حب التمـلّك والحـيازة ، فـنقول : إنّ حب الاسـتعلاء والسيطرة التي هي أشدّ الشهوات عرامة وقوة ، فـإن الانسـان مـهما بـلغ مـن

الاستطالة لابدّ أن تكون هنا جهات أُخرى لم يشملها سلطانه أو تزاحمه عليه وتضايقه أو متمردة عليه ، فشهوة السلطان والحال هذه لا تشبع أبداً مهما حاول صاحبها إشباعها على انها كلما غذيت تقوى وتشتد ولا تصل إلى حد الاشباع .

وأمّا شهوة التملّك والحيازة فإنها كلما تحقق لصاحبها التملّك من الأموال فإن الاموال ـ بطبيعة الحال ـ لا يحوزها كلها ، بل الأكثر يبقى ممتنعاً عليه ، وهو يزيد كلما زادت أمواله شهوة وحرصاً على جمعها .

هذا بالاضافة الى أن اشباع مثل شهوة السيطرة والتملّك لا يتم حتى بعضه إلّا بالتنازل عن كثير من الشهوات مثل شهوة الراحة والاستقرار والأمن لأنّ الاحتفاظ بالسيطرة والتملّك أو توسعتها يستدعي كثيراً من مدافعة المزاحمين ومناهضة المتمردين . وكلّما زادت سيطرته وتملكه زادت المزاحمة فتزيد محروميته من إشباع كثير من الشهوات .

وهكذا كلما زاد الانسان انغماراً في الشهوات وحرصاً على دُنياه زادت شهواته عرامة وقوّة وبقيت اكثر شهواته بلا اشباع تلحّ عليه وتؤلمه وتنغص عليه عيشته وراحته حتى يموت في سبيل دنياه .

فعليه ينبغي ان يعلم في نهاية المطاف من خلال ما عرضناه ان الرجل العاقل هو المجرّب الذي خبر الدنيا فعرف انها لا تصفو من الكدر وانها تخبي كثيراً من الآلام والآفات والنكبات ، أما الرجل غير المجرّب فهو كالطفل يرى حلاوتها ولم يشعر بمرارتها ، فيغتر بها كما يغتر بلين مس الحية وان كان فيها السم القاتل ، وسوف يتبين لك ذلك من خلال أقوال أئمة أهل البيت عليهم السلام وأقوال الأنبياء والحكماء والعارفين فيما ننقله إليك عن قريب من ذم الدنيا وحقارتها ، وان مثلها مثل الحية مسّها لين وفي جوفها السم القاتل ، يحذرها الرجل العاقل ، ويهوي إليها الفتيان بأيديهم .

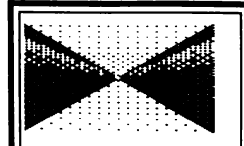
وقديماً قال العلماء العارفون : انه يجب على أهل العقل والفهم والأدب

والمعرفة أن يعلموا أن الدنيا قد أهانها الله تعالى ولم يرضها لأوليائه ، وإنها عنده حقيرة قليلة ، وأن رسول الله ﷺ زهد فيها وحذر من فتنتها ، فينبغي لأهل الأوصاف الجليلة أن يأكلوا منها قصداً ، ويقدموا فضلاً ، ويأخذوا منها ما يكفي ويتركوا ما يلهي ، ويلبسوا من الثياب ما ستر العورة ، ويأكلوا من الطعام أدناه مما يسد الجوعة ، وينظروا الى الدنيا بعين أنها فانية ، والآخرة باقية فيتزوّدوا من الدنيا كزاد الراكب ويخربوا الدنيا ويعمروا بها الآخرة وينظروا الى الآخرة بقلوبهم ويعلموا أنهم سينظرون اليها بأعينهم ، ويرتحلون اليها بقلوبهم كما يعلمون أنهم سيرحلون اليها بأبدانهم ، ويصبرون قليلا ، وينعمون طويلاً .

ومما جاء من نصائح لبعضهم انه قال : يا أيها الناس اهملوا على مهل ، وكونوا من الله عز وجل ، ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل ، ولا تركنوا إلى الدنيا فإنها خداعة غدارة قد تزخرفت لكم بغرورها، وفتنتكم بأمانيها، وتزينت لخطّابها كالعروس المتحلية ، العيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها عاكفة ، والنفوس لها عاشقة ، فكم من عاشق لها قتلته ، ومطمئن إليها خذلته ، فانظروا اليها بعين الحقيقة فإنها دار كثرت بوائقها ، وذمها خالقها، جديدها يبلى ، وملكها يفنى ، وعزيزها يذل ، وكثيرها يقل ، وحيها يموت، وخيرها يفوت ، فاستيقظوا من غفلتكم ، وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال : فلان عليل أو مدنف ثقيل ، فهل الى الدواء من دليل ، أم هل الى طبيب من سبيل ، فيدعى لك الأطباء ، ولا يرجى لك شفاء ، ثم يقال : فلان عليل أوصى وماله أحصى ، وبعدها يقال : قد ثقل لسانه ، فما يكلّم إخوانه ، ولا يعرف جيرانه ، وعرق عند ذلك جبينك ، وتتابع أنينك ، وثبت يقينك ، وطبعت جفونك ، وصدقت ظنونك ، وتلجلج لسانك ، وبكى اخوانك ، وقيل لك : هذا ابنك فلان ، وهذا أخوك فلان ، منعت عن الكلام فلا تنطق ، وختم لسانك فلا ينطق ، ثم حلّ بك القضاء ، وانتزعت نفسك من الأعضاء ، ثم عرج الى السماء ، فاجتمع عند ذلك إخوانك ، وحضرت أكفانك ،

فغسلوك وكفنوك ، فانقطع عوّادك واستراح حسّادك ، وانصرف أهلك إلى مالك ، وبقيت مرتهناً بأعمالك ، فعند ذلك يعلم الانسان إنه كان في سُبات وغرور ، الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا .

ومما ينقل عن ابن منبه عن تفاهة الدنيا أنه قال : ان الله لما بعث موسى وهارون الى فرعون قال : لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي فلا يعجبكما ما متع به منها فإنما هي زهرة الحياة وزينة المترفين فلو شئت أن أزينكما بزينة الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن مقدرته تعجز عما اوتيتما لفعلت ، لكني أرغب بكما عن ذلك فأزوي ذلك عنكما ، وكذلك أفعل بأوليائي إني لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي غنمه عن مراتع الهلكة ، وإني لأجنبهم سلوكها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مبارك العرة ما ذاك لهوانهم علي، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موقراً إنما يتزين لي أوليائي بالذل والخشوع والخوف والذي يثبت في قلوبهم فيظهر على أجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ، ودثارهم الذي يظهرون ، وضميرهم الذي يستشعرون، ونجاتهم التي بها يفوزون، ودرجاتهم التي إياها يأملون ، ومجدهم الذي به يفخرون ، وسيماهم التي بها يعرفون ، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك ، وذلّل لهم قلبك ولسانك ، وأعلم انه من أخاف لي ولياً فقد بارزني ، ثم أنا الطالب بالثأر له يوم القيامة.



معرفتها



لقد تحدثنا لقارئنا العزيز فيما تقدم عن تسمية الدنيا وذكرنا له شيئاً يسيراً من أقوال بعض الحكماء والعارفين في إهانتها ، وانها عندهم ليست بشيء يذكر.

وهنا نتحدث عن معرفة الدنيا فنقول : ذكر العلماء ان معرفتها أمر صعب شديد قد تحيّر فيه الفحول ، وتاه فيه أُولوا العقول ، وهو مما لا يمكن التوصل إليه ، ولا يمكن الاعتماد في قول عليه ، إلا اننا لابدّ لنا من بيان الأقوال التي ذكرها بعضهم في معرفتها نعرضها لقارئنا العزيز فيما يلي :

القول الاول : أن الدنيا عبارة عن المال، وانت خبير ان المال لم يكن مذموماً على الاطلاق فانه قد ورد مدحه في القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهّرة كثيراً وإليك جمّاً ممّا جاء في مدحه من القرآن والسنّة نذكره إليك فيما يلي :

١ ـ تسمية المال بالخير كما جاء في قوله تعالى : ﴿ان ترك خيراً الوصية﴾[١].

٢ ـ الامتنان حيث منّ الله تعالى على عباده كما في قوله تعالى : ﴿ **ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنّات ويجعل لكم أنهار** ﴾[٢].

٣ ـ انه رحمة من الله تعالى كما في قوله تعالى : ﴿ **ويستخرجا كنزهما رحمة من ربّك** ﴾[٣].

٤ ـ انه عون من الله تعالى لعباده كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله : نعم

---

(١) سورة البقرة : ١٨٠ .

(٢) سورة نوح : ١٢ .

(٣) سورة الكهف : ٨٢.

العون على طاعة الله المال ، وانه عون من الله تعالى في الدنيا على الآخرة كما جاء عن النبي ايضاً في المقالة الشريفة : نعم العون على الآخرة الدنيا معناه المال في الدنيا يكون عوناً للآخرة.

٥ ـ ما جاء ايضاً في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ نعم المال الصالح للرجل الصالح .

القول الثاني : ان الدنيا هي الحياة الدنيا ، والحال انه بها يتوصل الى السعادات الأبدية ، ويتخلص من الشقاوة السرمدية ، وقد مر عليك في المقالة المحمدية نعم العون على الآخرة الدنيا .

القول الثالث : ان الدنيا المذمومة عبارة عن المآكل اللذيذة والمطاعم الجيدة ، والثياب الفاخرة ، والديار العامرة والخدم والحشم والأصحاب والأعوان مع ان بعض الأنبياء والأولياء كانوا كذلك ـ كيوسف وسليمان ـ.

القول الرابع : ان الدنيا والآخرة عبارة عن حالتين من أحوال قلبك ، والقريب الداني منهما يسمى دنياً لدنوه ، وهو كل ما قبل الموت ، والمتراضي المتأخر يسمى آخرة ، وهو ما بعد الموت ، فكل مالك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك إلا أن جميع مالك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم ، بل هو على ثلاثة أقسام :

الأول : هو كلما يصحب الانسان في الدنيا ويبقى معه ثمرته بعد الموت ، وهو العلم بالله وصفاته وأفعاله ، وملائكته وكتبه ورسله وشرائعه وأحكامه والعمل الخالص لوجه الله تعالى ، وهي العبادة التي يجب أن تكون خالية من الرياء والشرك وذلك لقول الله تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا**

يشرك بعبادة ربّه أحداً﴾[1].

ولقول الرسول الأعظم ﷺ : إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر .

قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله .

قال : الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم إذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء. وعلى هذا يجب ان يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى حتى تبقى ثمرته الى بعد الموت فيكون من الدنيا الممدوحة . أمّا إذا كانت عبادة الانسان ، وعلمه ، وحجه ، وجهاده ، وصدقاته ، وأداء زكواته ، وقضاء حوائج إخوانه ، وعيادة مرضاهم ، وتشييع جنائزهم ، وحضور جمعتهم وجماعتهم ، وكذلك المواظبة على المستحبات وسائر الطاعات ، كل هذه الأعمال مثلا خالية من وجه التقرب الى الله فانها تخرج عن كونها من الدنيا الممدوحة ، وتكون داخلة في الدنيا المذمومة ، كما يصدق أيضاً على صاحبها وفاعلها انه طالب الدنيا ، وانه ملعون ، وأعماله ملعونة مردودة غير مقبولة ، وعلى العكس من ذلك رجل الآخرة فانه وإن كان كثير المال والخدم والحشم وكان حسن المطعم والمشرب ، جيد الزي والملابس الفاخرة ، والدار الواسعة ، وكذلك وان كان صاحب عمارات عالية ، ونساء جميلة ، ومراكب حسنة بهية ، وسرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة ، فكل هذه الأُمور المذكورة ملكيتها لا تكون مانعة من قبول الأعمال الصالحة التي عملها رجل الآخرة من أجل الله وطلب رضائه ، بل تكون مقبولة عند الله تعالى ، وسعي فاعلها مشكور حيث قصد بذلك وجهه الكريم تعالى شأنه .

---

(١) سورة الكهف : ١١٠ .

الثاني : نقيض الاول ، وهو كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً كالتلذّذ بالمعاصي كلها ، والتنعم بالمباحاة الزائدة الداخلة في جملة الرفاهات والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث والغلمان والجواري والدور ، والقصور ورقيق الثياب ولذيذ الأطعمة ، فحظ الانسان من هذه كلها الدنيا المذمومة فمتى أخذ الانسان ذلك على قصد التنعم والالتذاذ فهو من ابناء الدنيا والراغبين فيها وفي حظوظها إلا ان الرغبة في حظ الدنيا ينقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الآخرة وسخط الخالق وسمي ذلك حراماً. وقسم آخر وهو يحول بين الانسان والدرجات العلى ويعرّضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالاً ، والبصير يعلم أن طول الوقوف في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضاً عذاب فمن نوقش في الحساب عذب إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : في حلالها حساب وحرامها عقاب ، بل لو لم يكن إلا الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو أيضاً عذاب ، وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى أقرانك قد سبقوك بسعادات دنيوية كيف ينقطع قلبك حسرات مع علمك بأنها سعادات متصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوت سعادات لا يحيط الوصف بعظمتها ، وينقطع الدهر دون غايتها ، فكل من تنعم في الدنيا بأسباب يرجع الى الدنيا لا يكون قصده بها الآخرة فهي تنقص من حظه في الآخرة .

الثالث : وهو متوسط بين الطرفين ، وهو كل حظ عاجل معين على أعمال الآخرة ، وهو ما لابد منه للانسان بحسب زيّه ومكانه من المأكول والملبوس والمشرب فيؤخذ من ذلك بقدر الحاجة الداعية إليه بقدر الحاجة التي تعين على طاعة الله وتقواه ، فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأيقن كان حذره من نعيم الدنيا أشد ، حتى ان عيسى عليه السلام وضع رأسه على

حجر لما نام ثم رماها إذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا ، وحتى أن سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لذائذ الأطعمة وهو يأكل خبز الشعير، فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحاناً وشدة ، ولهذا زوى الله تعالى عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله الدنيا ، فكان يطوي أياماً وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ، ولهذا امتحن الله تعالى الأنبياء والأوصياء ثم الأمثل فالأمثل بالبلاء والمحن في دار الدنيا نظراً لهم وامتناناً عليهم ليوفر في الآخرة حظّهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكة والأطعمة ويلزمه ألم الفصد والحجامة شفقة منه عليه وحباً له لا بخلا عليه ، فما يؤخذ من الدنيا من هذه الأسباب بقدر الحاجة والقصد به الاستعانة على التقوى والطاعة فهو لله معناه وان كانت صورته صورة الدنيا ، وجميع ما يؤخذ من الدنيا ويقصد به اللذة والمفاخرة والمكاثرة فليس له إلا الدنيا وما أخذ على وجه التقوى والطاعة فهو لله .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : من طلب الدنيا حلال مكاثراً مفاخراً لقي الله وهو عليه غضبان ، ومن طلبها استعفافاً عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، فانظر الى قول الله عز وجل ﴿ ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ﴾[1] ومجامع الهوى خمسة أُمور ، وهي ما جمعه الله تعالى في قوله : ﴿ إنّما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ﴾[2] فهذه بيّنها الله تعالى أنها للدنيا والذي هو لله فهو قدر الضرورة وما لابدّ منه من مسكن وملبس ومطعم ومشرب ، والحزم في الحذر والتقوى وأخذ هذه الاسباب بقدر الحاجة اقتداءاً بالأنبياء والأولياء إذ كانوا يردون أنفسهم الى حد الضرورة كما أن سلمان المحمدي رضي الله عنه لم يحضر بين يديه طعام عليه أدامان قط . وأنه ورد : أن أبا ذر رحمه الله تعالى استضافه فقدّم له خبز شعير

(١) سورة النازعات : ٤٠ و ٤١ .
(٢) سورة الحديد : ٢٠ .

وملحاً قال : زدنا خلاً وبقلاً ، فرهن سلمان المحمدي ركوته على ذلك فلما فرغا من الأكل قال أبو ذر : الحمد لله على القناعة .

فقال سلمان : لو كنت قنعت لما كانت ركوتي مرهونة ، فانظر الى هذين السيدين رضي الله عنهما كيف رأيا الخل والبقل زيادة .

وروي أن أمير المؤمنين عليه‌السلام كان أكله قرص الشعير والملح الجريش.

وروي أنه كتب الى بعض عماله يقول له : ان امامك علي بن أبي طالب قد اقتنع من دنياه بطمريه ، ويسد فورة جوعه بقرصيه ، ولا يطعم الفلذة إلا في السنة أضحية ، ولن تقدروا على ذلك فأعينوني بورع واجتهاد .

انظر الى هذا الامام العظيم والسيد الكريم امام المتقين لما علم حال الدنيا بنظره الثاقب كيف لفظها لفظاً غير مكثر بها وكان أقدر الناس عليها لقوله عليه‌السلام : والله لو شئت لتسربلت الدمقس من ديباجكم وأكلت لباب البر بصدور دجاجكم ، ولشربت الماء الصافي في رقيق زجاجكم .

وأن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله لما أقبل عليه مصعب بن عمير وعليه إهاب كبش قال صلى‌الله‌عليه‌وآله : انظروا الى رجل قد نور الله قلبه ولقد رأيته وهو بين أبويه يغذيانه بأطيب الأطعمة وألين اللباس ، فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون .

وان أُويس القرني كان يظن أهله انه مجنون لكثرة عبادته ، وتضيقه على نفسه في المطعم فبنوا له بيتاً على باب دورهم ، فكان يأتي عليهم السنة والسنتان لا يرون له وجهاً ، وكان يخرج أوّل الأذان ويأتي منزله العشاء الآخرة ، حتى أن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قال : اني لأجد نفسي الرحمن من جانب اليمن إشارة الى أُويس رضي‌الله‌عنه فالزائد عنه في هذه الدنيا يلهى واليسير منها ما يصلح به حاله يكفي ويبلغ الى الآخرة ونعيمها .

ومثال الانسان في نسيان نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها ويتلطفها ويكسوها ألوان الثياب ،

ويحمل عليها أنواع الحشيش ، ويبرد لها الماء ، فيشتغل بذلك فتفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فيهلك وتفترسه السباع هو وناقته ، والحاج البصير لا يهمه من أمر الجمل إلا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعاهده وقلبه الى الكعبة والحج ولا يلتفت الى الناقة إلا بقدر الضرورة، وكذلك البصير في سفر الآخرة لم يشتغل بتعهد البدن إلا للضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجه من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة للبدن، ومن كان همه ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه .

ولقد جمع الأقسام الثلاثة المذكورة أحد علماء اخواننا أهل السنة اسمه خلفان بن جميل السيابي في أبيات من الشعر المرتجز ، فقال ولنعم ما قال :

وليس كل مشتهى بالطبع	منها بمذموم لنا في الشرع
بل ذاك في ثلاثة أقسام	تفصيلها يأتيك في نظام
أوّلها ما يصحب الانسان	بعد الفناء يدخله الجنانا
وذاك شيئان فعلم نافع	وعمل مستخلص وشافع
فان ذين من لذائذ الدنيا	وذمها ما كان منها دنا
بل خارجان عن مقام الذم	مستوجبان للثنا الأتم
حيث هما مطية النجاة	يبلغان غرف الجنات
وقسمها الثاني بضد ذاكا	من مستلذ يورث الهلاكا
كالالتذاذ بمعاصي الله	فعلاً وتركاً لاعباً ولاهي
وثالث الأقسام فهو كل ما	أبيح في الشرع وما لم يحرما
فأوّل الأقسام ليس منها	والثاني منها لا يحول عنها
ثالثها يرجع في القسمين	بالقصد والنّية دون مين
فان من تناول المباح كي	يقوى على الطاعة ما ان زاد شي
فذاك بالأوّل لا شكّ التحق	ليس من الدنيا ولا الذمّ استحق

ومــن الى جمــع الفــضول ساعي　　في طــاعة الشهــوة بـاندفاع
مــاهمه الا حــظوض النـفس　　يكــون كــالثاني بـدون لبس
وهــو الذي يــقال فـيه راغب　　في الدنـــيا والذمّ عـــليه واجب

وبالجملة انه يمكن لنا ان نستفيد فيما نحن بصدده من ثلاث مقالات قصيرة للامام ﷺ قالها عندما كان روحي فداه في نوفل لوشاتو! المقالة الاولى : قالها لمن كان يتشرف بخدمته وذلك عندما اشترى ٢ كيلو من البرتقال قال له الامام متسائلاً : (لماذا كلّ هذا البرتقال) ؟

فقلت : إنه رخيص الثمن ويكفينا لعدة أيام .

فقال : الإمام ﷺ : لقد ارتكبت إثمين ، الأوّل أنك اشتريت البرتقال بهذه الكمية ونحن لانحتاجها ، والثاني أنه ربما يوجد في نوفل لوشاتو من لم يشتر البرتقال لحد الآن بسبب الغلاء ، ويمكنه أن يشتريه بهذا السعر الزهيد .

فقلت : سيدي ما الحيلة الآن ؟

فقال رضوان الله تعالى عليه : اعطيه للفقراء الذين لم يأكلوا حتى الآن لعل الله سبحانه وتعالى يغفر لك ذنبك .

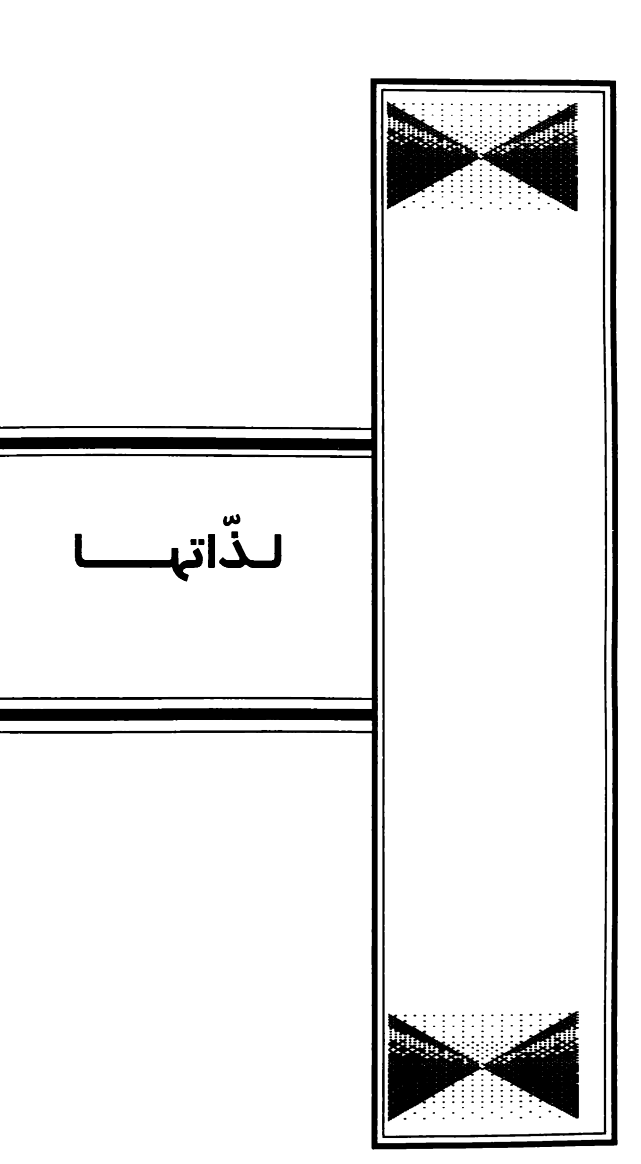
وتذكرني هذه المقالة بمقال أمير المؤمنين عليه السلام نعم هكذا كان يقول : « ولَعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع لهُ في القُرص ولا عهدَ لَهُ بالشَّبَع » نعم ان ذلك الإمام الشجاع المقدام من سلالة هذا الإمام الأسد الضرغام الذي لولاه لما عبد الله أحدُ من الأنام .

المقالة الثانية : قالها عندما جاء الشهيد مطهري والشهيد صدوقي لزيارته ، وعند الغداء ، قدمت لهم ثلاثة صحون من الطعام ، عند ذلك سأل الإمام من كان بخدمته : ماهو غذاؤك ؟ يقول : فقلت : تفضّلوا أنتم بالغداء وأنا أذهب وأتناول غدائي في المطبخ . عندها قال الامام روحي فداه : أحضر صحناً ، ثم قسّم الغداء من جديد الى أربعة صحون .

ويذكرني أيضاً هذا الأمر من الإمام تَدِّسُ بأمر جده أمير المؤمنين علي عليه السلام الى عمار بن ياسر حيث أمره بتقسيم بيت المال على كل فرد من المسلمين ثلاثة دراهم وبقيت ثلاثة دراهم ، فقال عمار لأمير المؤمنين عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، قسمته كما أمرتم وبقيت ثلاثة دراهم ، فقال عليه السلام : هي لأمير المؤمنين .

المقالة الثالثة : قالها تَدِّسُ عندما كان في النجف الأشرف وذلك عندما جاء بعض العلماء المجاهدين الأفغانيّين المتواجدين في النجف الى بيت الامام ليأخذوا صورة للإمام لتعليقها على حائط الحسينية التي كانوا يقيمون فيها احتفالاتهم ، ولكن الإمام لم يقبل أن يعطيهم أية صورة ، وبعد إصرار حجة الاسلام عبد العلي قرهي على طلب ذلك الأمر ، قال الإمام روحي فداه : أنا أنهى الناس عن الدنيا وأقول لهم لا تتّبعوا الدنيا والهوى .. فهذا هو اتباع الدنيا ، وهذا هو اتباع الهوى .

وهذه المقالة أيضاً تذكرني بمقالة جده أمير المؤمنين للدنيا مخاطباً إياها بقوله عليه السلام : يا دنيا غرّي غيري .



لـذّاتهـــــا

لقد تحدّثنا لقارئنا العزيز فيما تقدّم عن معرفة الدنيا ، وذكرنا أنّ معرفتها أمر صعب شديد قد تحيّر فيه الفحول ، وتاه فيه أُولوا العقول ، لا يمكن التوصّل إليه ، ولا يمكن الاعتماد في قول عليه ، وأوردنا أقوالاً ثلاثة ذكرها العلماء الأعلام في مختلف كتب الحديث عن معرفتها واكتفينا بذلك .

وهنا نشير إلى أمر مهمّ ، وهو الحديث عن لذّاتها الموهومة الفانية ، وشهواتها القاتلة ، نعرض ذلك فيما يلي فنقول : ذكر مولانا المحدّث الجليل السيد نعمة الله الجزائري رضوان الله تعالى عليه ان اللذات الواقعة في هذه الدنيا ثلاث :

الأولى : اللذّة الحسّية ، وهي قضاء الشهوتين : البطن والفرج وتوابعهما ، وهذه اللذّة أدون اللذّات الثلاث وأحقرها .

الثانية : اللذّة الخيالية ، وهي الحاصلة من الإستعلاء والرئاسة ونحوهما .

الثالثة : اللّذة العقلية ، وهي الحاصلة بسبب معرفة الاشياء والوقوف على حقائقها ، ووجه الحصر أن الانسان أوّل ما يحس ويشعر باللذّة الأُولى لظهورها في بادىء الرأي ، ثم إذا توغل فيها وقضى وطره منها سمت نفسه إلى المرتبة الثانية وهي حب الرئاسة ونفوذ الأُمور والنهي ، فإذا توغّل فيها ورزق الوقوف على ما فيها من الآفات والبليّات ترقى منها إلى الثالثة وهي العالية الحاصلة من إدراك حقائق الاشياء كما هي بقدر الطاقة البشرية ، فلنتكلّم في كل واحدة من هذه اللذات وما تشتمل عليه نعرض ذلك فيما يلي :

١ ـ الكلام في اللذّة الحسية : اعلم وفقك الله تعالى إلى جادة الصواب ، ان مطالب الخلق من الأحوال المخصوصة (المحسوسة) محصورة في نوعين ، أحدهما

رفع الألم ، والثاني تحصيل اللذّة ، أما دفع الألم الحسية فقد توصّلوا إليه بطرق أحدهما لبس الثياب وذلك لأن جلد الانسان لطيف يتأثر من الحرّ والبرد فاحتاج في دفع هذا الألم الى الثياب، وبالحقيقة لبس الثوب ضرر لأنه إتعاب للبدن لكن لبس الثوب يَدفعُ مضرة اعلى من هذه المضرة ، فهو من باب دفع الضرر ، ومثاله ما حكى ان بعض الناس دخل على ابراهيم بن سيّار النظام المتكلّم فرأى في يده قدحاً من الدواء المرّ فسأله عن حاله فأنشد يقول :

أصبحت في دار بليّات   أدفع آفات بآفات

وثانيها : بناء الدور والمساكن والمقصود منه انّ الانسان خلق في ممرّ الآفات ، فاذا كان بغير بيت خاف على نفسه وماله وولده ومن يعنوه ، فاذا بنى البيت أمن من تلك الآفات ، وأما الذي يترتّب على بناء البيت من التعب وبذل ماء الوجه ومعاداة الجيران والتوصّل منه إلى إعانة الظالمين فظاهر هذا أيضاً من باب دفع آفة بآفة فلا لذّة فيه .

فإن قلت قد يكون مع الانسان من الثياب ما يدفع الحر والبرد فيتأنق في لبس الثياب الفاخرة تحصّلاً للذّة لا لدفع الألم ، وكذا القول في البيوت وبنائها فلا يكون من باب دفع الآلام ، قلت إذا تأملت حقّ التأمّل ترى هذا أيضاً من ذاك وذلك لأن لبس الثوب الفاخر إنّما يكون بعد منازعة النفس وطلبها إياه وتشوّقها عليه وتعبها في طلبه فيكون هذا ألماً نفسانياً يدفع بتلك الثياب الفاخرة، ومن ثمّ لو لبس الأغنياء الثوب الفاخر لمن هو أدنى منهم لم يلتذّوا عند لبسه ، وكذا في جانب المأكل والمسكن والمنكح وما ذلك إلّا لأنّ نفوسهم لم تطلبه منهم ولم تنازههم على تحصيله ، ومن ثمّ لما كانت ملاذّ الجنة تحصل بمجرد الخطور في البال من غير مجاذبة مع النفس فتكون لذة محضة لا دفع ألم حسّي ونفسي .

وأمّا الطرق الموصلة الى تحصيل اللذّات فهي قضاء شهوة البطن ، وقضاء شهوة الفرج ، وقبل أن نبين ما فيها من الدناءة والخسة والإهانة والتشبّه بالبهائم

نذكر مقدّمة : وهي أن البلغاء والاكابر إذا أرادوا الخوض في تحقير الدنيا يرجع كلامهم إلى أمور :

الأول : انّها فانية فيجب على العاقل إجتنابها ، فهو إشارة إلى انّها في نفسها لذيذة وطيبة لكنها فانية .

الثاني : قولهم انّ طيباتها ممزوجة بالآلام وراحتها بالكدورات وهذا أيضاً كالأول إشارة الى انّ فيها لذات طيبة لكن المانع للعاقل في هذه اللذات والراحات من إرتكابها ذلك المزج.

الثالث : قولهم انّ الأراذل من الناس مشاركون الأفاضل في هذه اللذات والراحات بل يزيدون عليهم فيها أضعافاً كثيرة حتى انّ العقلاء قد تحيّروا في هذا فقالوا :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه　　وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة　　وصيّر العالم النحرير زنديقا

والإنصاف انّ صاحب هذا البيت وأمثاله لم يتفكّروا في صنع الله تعالى ولم يدروا انّ الأرزاق على قسمين : قسم منها ما هو رزق للروح كالعلوم والمعارف ، وقسم منها ما هو رزق للبدن كالمآكل والملابس والمناكح ، فمن رزق من الأوّل حرم من الثاني وكذا العكس ، فمن أرادهما معاً كان عديم الانصاف ، ولو نظرت إلى جاهل جمع من الأموال ما لايحصى وأراد أن يبدلك ماله بعلمك حتى يكون لك جهله وحماقته لما رضيت ولما قبلت ، واذا كان الحال على هذا المنوال فلا ينبغي أن يصير العالم النحرير زنديقاً .

وبالجملة فقول الأكابر ذلك يدلّ على انّ حالات الدّنيا وإن كانت لذّات لكن يجب تركه لرذالة الشركاء ودنائتهم ، وأمّا الحكماء فانّهم قالوا انّ هذه الأحوال ليست في أُنسها سعادات ولا خيرات بل هي أحوال خسيسة ومطالب دنيّة في ذواتها ، وإذا كان الأمر كذلك فيكون الكلام دائراً على أمرين ، أحدهما ان

تلك إلا خسيسة في نفسها ، وثانيها انّها وإن كانت أحوالاً شريفة الا انّه يلزمها لوازم مكروهة ، امّا بيان الأمر الاوّل فيجيء على أنواع :

النوع الأول : أنّا رأينا الانسان كلّما كثر جوعه كان التذاذه بالأكل أتم ، وكلّما كان عهد الوقاع أطـول كان التذاذه أيضاً به أكـمل ، ولا شك ان الجـوع والاحتياج الى الوقاع ألمان شديدان فلمّا رأينا انه كلّما كانت هذه الآلام أشدّ كان دفعها ألذّ وأطيب غلب على الظنّ انّه لا معنى لهذه اللذات والراحات إلاّ مجرّد دفع تلك الآلام السابقة ، ألا ترى انّ من جلس في الحمّام الحار وغلب استيلاء الحرارة عليه فاذا فتح الباب ودخل عليه نسيم بارد فانّ الانسان يستلذّ ذلك الهواء البارد استلذاذاً في الغاية وما ذلك إلاّ لأنّه عظم تألّمه بسبب الهواء الحارّ في الحمام ، فلمّا وصل اليه النسيم البارد زالت عنه تلك الحرارة المؤلمة فعلم منه انّه لا حاصل لتلك اللذات الحسّية الاّ دفع تلك الآلام ، فيدل على انّ هذه الأحوال التي يتخيل انّها لذات في أنفسها ليست لذات بل لا حاصل لها سوى دفع تلك الآلام .

أقول : قبل إيراد بقية الأنواع الأُخرى من كلام السيد المذكور يجب أن أنبه القارئ العزيز على شيء مهم جداً وهو ما أُريد بيانه من كلام بعض أكابر علمائنا نقلاً عن كتاب الاسفار في بطلان هذا المسلك المتقدم وتزيفه ، وإليك ذلك : قال رضوان الله تعالى عليه فـي التعليق على هذا المسلك السيّد المذكور لا يخـفى ان صدر المتألهين قدس سره قد تعرض لهذا المطلب في كتابه الاسفار في فصل حقيقة الألم واللذة ولكنه زيفه وأبطله وقال : اما سبب هذا الظن فذلك من بـاب أخـذ مـا بالعرض مكان ما بالذات وذلك لأن اللذة لا تحصل إلا بادراك ، فهذه اللـذات الحسية لا تتم إلا بادراكات حسية ، والادراك الحسي سيما اللمسي منه لا يكون إلا بانفعال الالة عن ورد الضد ، وإذا استقرت الكيفية الواردة لم يحصل انفعال فـلم يحصل شعور فلا تحصل لمسية وغيرها الا عند تبدل الحال الغير الطبيعي ، فلأجل ذلك ظن ان اللذة نفسها هي ذلك الانفعال ، ثم قال : قال قدس سره : وأما بيان بطلان

هذا الظن فلأنّ الانسان قد يستلذ من النظر الى الصور الحسنة التي لم يكن عالماً بوجودها مشتاقاً اليها سابقاً حتى يقال بان النظر اليها يدفع ضرر الاشتياق إليها وألم الفراق وكذلك ربما يدرك مسألة علمية من غير طلب وشوق اليها ولا تعب فكري في تحصيلها كما في عقيب انحلال الشبهات المشكلة التي قد تعب في حلها حتى يقال بأن الاستلذاذ لها لأجل زوال أذى الانزعاج الفكـري ، وكـذلك إذا اعطى له مال عظيم أو منصب جليل لم يكن متوقّعاً له ، ولا طالباً لحصوله حتى يقال بأن حصول هذه الأمور يدفع ألم الطلب والشوق مع أنّ كل هـذه الأُمـور لذيذة فبطل هذا المذهب ، وإن شئت تفصيل اللذات وتفضيل بعضها على بعض ، وإن كل من اللذة والألم ينقسم بحسب القوة المدركة إلى العقلي والوهمي والخيالي والحسي على نحو التحقيق العلمي راجع إلى الأسفار .

النوع الثاني : ان مع المعلوم بالبديهة انّه كلّما كان شهوة الفوز بالشيء أقوى وأكمل كانت اللذّة الحاصلة بسبب وجدانه أقوى وأكمل ، فان لم تحـصل تـلك الشهوة لم تحصل تلك اللذّة بوجدانه ، الا ترى ان من رمى قلادة الدّر الى الكلب والعظم الى الانسان فانّه لم تحصل اللذّة لواحد منهما ، واذا عكس حصلت اللذّة فثبت انّه كلّما كانت الحاجة الى الشيء أشدّ كان الفوز به ألذّ ، فثبت انّ مقدار اللذّة الحاصلة في الحال مساوية لمقدار المضرة الحاصلة بسبب الاحتياج اليه في الماضي، واذا كـان الأمـر كذلك فحينئذ تتقابل اللذّة الحاصلة في الحال بالألم الحاصل في الماضي ، واذا تقابلا تساقطا فصار كأنه لم يوجد .

النوع الثالث : في بيان أن هذه اللذّات الحسيّة خسيسة جداً ، وذلك انّها بأسرها لا تحصل الاّ بواسطة مخامرة رطوبات عفنة مستقذرة ، امّـا لذّة الأكـل فالأمر فيها ظاهر لأنّ الانسان لا يلتذّ بالطعام الاّ اذا وضعه في فمه ، ولاشكّ انّ ذلك الطعام يمتزج بريق الفم ويختلط به وهو في نفسه شيء مستقذر والدليل عليه انّ تلك اللقمة الممضوغة لو سقطت من الفم فانّ الانسان يستقذرها ولا يمكنه ان

يردّها الى فمه ، وذلك يدلّ على ان اللذة الحاصلة من الطعام لا تحصل إلاّ عند انعجان ذلك الطعام واختلاط أجزائه بتلك الرطوبات المستقذرة ، فهذا يدلّ على انّ العاقل انّما يقدم على الأكل لا لأنه سعادة وبهجة بل لأجل انه خلق محتاجاً إليه ولولا انّه احتاج إليه لما قدم عليه ، وقد أنشد عبد القاهر النحوي هذا البيت :

لولا قضاء جرى نزّهت أنملتي عن أن تلمّ بمأكولٍ ومشروب

وأمّا لذّة الجماع فخساستها أظهر من أن تحتاج إلى البيان ، والدليل عليه أن أخسّ أعضاء الانسان هذه الأعضاء المخصوصة ، ولذلك سترها الناس تحت الثياب وان أظهروا غيرها وهذه الأعضاء لا تفيد اللذّة الاّ عند المماسة والتلطّخ بتلك الرطوبات المتولدة في داخل الاعضاء ، وتمام اللذة انما يحصل بانفصال النطفة وهي أيضاً رطوبة عفنة فلا تكون من جنس الخيرات والسعادات بل يكون الانسان كالمضطرّ إليها فاذا دفع تلك الآلام والأرجاع استراح فيظنّ انّها خيرات ولذّات وليس كذلك ، ولذلك ترى الإنسان إذا فرغ من الجماع أخذه فتور البدن وضعف القوّة وندم على ما فعل ، وكان رجل من الظرفاء يقول لو حصل عندي الشاهدان العادلان عند فراغي من الجماع لطلقت زوجتي للكراهة الحاصلة لي بعد قضاء الوطر منها .

الرابع : في خساسة تلك الأحوال انّ العقلاء إذا رأوا رجلاً أكولاً ذمّوه ونسبوه الى طبيعة الحيوانات ، أمّا إذا قلّل الأكل والشرب عظموه ونسبوه الى طبيعة الملائكة .

الخامس : انّ اللذّة الحاصلة عند الأكل والشرب لذّة ضعيفة جداً وكمالها انّما يحصل في اللقمة الأُولى والثانية عند حصول الجوع الشديد فاذا فتر الجوع فاتت الرغبة ضعف الالتذاذ بالأكل ، فثبت انّ زمان حصول هذه اللذّة زمان قليل ، ولذا ترى الناس يقولون ان الله تعالى رفع اللذّة عن أطعمة الاغنياء وودّعها في أطعمة الفقراء وذلك انّ الاغنياء لا يشتدّ جوعهم فلا يلتذّون بالطعام بخلاف الفقراء .

السادس : انّ هذه اللذّة حقيرة جداً وذلك لأنّ اللذّات الجسمانية المرغوب فيها كثيرة جداً والحاصل منها ليس الاّ القليل ، وذلك يوجب التعب الشديد وذلك لأنّ الانسان يبصر بعينه جميع ما في المبصرات ، وإذا أبصر شيئاً فقد يميل طبعه إليه فيصير ذلك سبباً لاشتداد رغبته في تحصيله ، وكذلك القول في القوة السامعة فإنّها تسمع أشياء كثيرة تميل إليها وتتألّم من سماع القبيح .

وبالجملة فالقلب بمنزلة المرآة المنصوبة على جدار وكان ذلك الجدار ممرّاً لأكثر موجودات هذا العالم ، وكلما مرّ به شيء ظهر من ذلك الشيء فيه أثر ، فإن كان موافقاً مال طبعه إليه ، فإن لم يقدر على تحصيله تألّم قلبه ، فثبت بهذا الطريق انّ قلبه لابدّ وأن يكون أبداً مستغرقاً في الهموم والآلام ، وامّا الفرح فإنّما يحصل إذا حصل المطلوب ودفع المكروه وذلك قليل في جنب كثير ، فثبت انّ الغالب على هذا العالم هو الهموم والأحزان ، وامّا اللذّة فقليلة جداً ، ومن المعلوم انّ النادر في جنب الراجح كالمعدوم بالنسبة إلى الموجود ، والذي يؤيّد هذا ويؤكده ما روي عنه صلى الله عليه وآله أنّه رأى جابر بن عبد الله وقد تنفّس الصعداء فقال : يا جابر ، عَلام تنفسك أعلى الدنيا ؟

فقال جابر : نعم .

فقال عليه السلام يا جابر، ملاذّ الدنيا سبعة ؟ المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمركوب والمشموم والمسموع ، فألذّ المأكولات العسل وهو من فضل الذباب ، وأجلّ المشروب الماء وكفى باباحته وسياحته على وجه الأرض ، وأعلى الملبوسات الديباج وهو من لعاب دودة ، وأعلى المنكوحات النساء وهو مبال في مبال ، وانّما يراد أحسن ما في المرأة لأقبح ما فيها ، وأعلى المركوبات الخيل وهنّ قواتل ، وأجلّ المشمومات المسك وهو دم من سرّة دابّة، وأجلّ المسموعات الغناء والترنّم وهو إثم ، فما هذه صفته كيف يتنافس عليه .

قال جابر بن عبد الله فو الله ما خطرت الدنيا بعد على قلبي .

٢ ـ الكلام في اللذّات الخيالية : قال رضوان الله تعالى عليه : وهي لذة الرئاسة ونحوها ويدلّ على خسّتها أُمور :

الأول : ان كلّ أحد يحبّ أن يكون هو الرئيس للغير ، وأن يكون كلّ من سواه تحت قدرته وتحت تصرّفه وحكمه ، وذلك لأن كون الانسان قادراً على الغير نافذ التصرّف فيه صفة كمال وصفة الكمال محبوبة لذواتها ، وكونه مقدوراً للغير ومحلّاً لتصرف الغير صفة النقص وصفة النقص مبغوضة لذاتها ، فثبت انّ طبع كل أحد يحمله على أن يكون هو الرئيس للغير وهو المتصرّف في غيره ، وأن يمنع غيره من أن يكون رئيساً حاكماً عليه ، واذا كان كذلك فالساعي في تحصيل الرئاسة لذلك الانسان المعيّن ليس إلّا ذلك الانسان ، وأمّا كلّ من سواه فإنّهم يسعون في إبطال تلك الرئاسة وفي اعدامها ، وإذا كان كذلك فذاك الانسان الواحد هو الساعي في حصول تلك الرئاسة ، وأمّا جميع أهل المشرق والمغرب فكلّهم يسعون في إبطالها ودفعها ، واعدامها ، والمطلوب الذي يقل الساعي في تحصيله ويكثر الساعي في إبطاله يكون صعب الحصول جدّاً ، وكل ما كان كذلك كان السعي في طلبه منشأ للهموم والأحزان وكان العقل مانعاً من طلبه وحاكماً بوجوب الاحتراز عنه .

وأمّا أعوان السلاطين وأشباههم فهم إنّما يحبون الرئاسة للسلطان إذا علموا تعذّر الوصول إليها مع أنّ سعيهم إنما هو في نفع أنفسهم ولأجل طلب الرئاسة على غيره .

الثاني : انّ الرئاسة لا تقف على حدّ فقبل الوصول إليها هو في ألم طلبها فإذا فاز بها يكون في ألم طلب الزيادة عليها حتى ينصرف عمره في ألم الطلب كما هو المشاهد من أحوال الحكّام والسلاطين .

الثالث : ان الشيء كلّما كان ألذّ كانت الرغبة في تحصيله أشدّ (أكثر) ، وكانت الرغبة في إزالة العوائق عنها أشدّ ، وحصول الرئاسة للغير أشدّ الأشياء

عائقاً عن حصولها فكانت الرغبة في إبطال ذلك العائق أعظم الرغبات ، فثبت انّ كلّ من رغب في تحصيل الرئاسة فقد رغب الناس في قتله وقوى ميلهم الى إفنائه وإبطاله ، ومن شاهد أحوال الأُمراء والملوك عرف أنّ الأمر هكذا ، لكن من المعلوم أنّ الحياة أصل لجميع النعم والرئاسة فضيلة زائدة ، فكلما كان السعي في طلب هذه الفضيلة الزائدة يوجب السعي في ابطال الأصل كان باطلا لأن كلّ فرع أفضى إلى بطلان الأصل كان باطلاً .

الرابع : انّ الانسان إمّا أن يكون أفضل من غيره أو مساوياً له أو أقلّ حال منه فان كان أفضل من غيره فكونه أفضل حالة مكروهة لذلك الغير ، فذلك الغير يسعى بكلّ ما يقدر عليه في إيطال تلك الفضيلة عن الراجح ، فإن كان ذلك الرجحان بصفة لا يمكن إزالتها مثل العلم فهاهنا للأعداء طريقان أحدهما أنهم إن أمكنهم إخفاء تلك الفضيلة بطريق من الطرق فعلوه ، وذلك بإلقاء الشبهات في كلامه وتشويش دلائله .

والثاني : انّهم إن عجزوا عنه نسبوه إلى أنواع القبائح ليصير اتّصافه بتلك القبائح والفضائح مانعاً من حصول صفة الكمال له والتجربة يدلّ على انّ الرجل الكامل لابدّ وأن يكون مبتلى بهذه الأحوال . وامّا إن كان مساوياً لغيره فالوحدانية صفة كمال ، وصفة الكمال محبوبة لذاتها ، والشركة صفة نقص ، والنقص مكروه لذاته ، وإذا ثبت هذا فالشركاء يسعون بأقصى الوجوه في إيطال الشركة وإظهار أنّه أفضل وأكمل من ذلك الشخص الذي يعتقد فيه كونه شريكاً له ، وذلك السعي يكون تارة بإلقاء الشبهات في كونه موصوفاً بصفة تلك الفضيلة التي فيها وقعت الشركة ، وتارة بادّعاء كونه موصوفاً بصفة من صفات القبح والنقصان ليصير ذلك مانعاً من كون ذلك الغير شريكاً في الفضيلة ، وأمّا إذا كان أدون حالاً من غيره فهذا الشخص لا يلتفت إليه بل الأطباء قالوا انّه متى صار عضو من الأعضاء ضعيفاً فإنّ الأعضاء القويّة ترسل إليه جميع الفضلات .

الخامس : ان الانسان إمّا أن يكون في الألم أو في اللذّة أو يكون خالياً عنهما، فإن كان في الألم والمضرّة فلا شك انّه حالة منفرة مكروهة ، وإن كان في الخيرة واللذّة فلا شكّ انّه عالم بأنّ أحوال هذه الدنيا غير باقية بل سريعة الزوال مشرفة على الانقراض والانقضاء ، فكما كانت هذه الحالة التي يكون الانسان فيها ألذّ وأطيب كان خوف الزوال أشدّ إيلاماً للقلب وأعظم تأثيراً في هذا المعنى . وامّا إن كان الانسان خالياً عن الألم واللذة فإنه يكون كالمعطّل الباطل وهذه حالة مكروهة ، وهذا الوجه مجرّب عند العقلاء وأشار إليه الشعراء حتى انّ بعضهم طلب أيّام الفراق وكره أيّام الوصال لعدم دوام حالات الزمان وأموره.

السادس : ان شعور الانسان بالكيفيّات المحسوسة إنما يكون حال حدوثها له امّا حال بقائها فلا شعور بها ، فاللذات الحاصلة من هذه المحسوسات يحصل في حال الشعور بها وحال حصول الشعور بها ليس إلّا حال حدوثها ينتج انّ الالتذاذ بهذه المحسوسات لا يحصل إلّا حال حدوثها فإذا لم يحصل الالتذاذ في حال البقاء والطبع طالب اللذة صار طالباً لشيء آخر فعلى هذا لو أنّ الانسان ملك خزائن الأرض كلّها فالالتذاذ بها لا يكون إلاّ حال حدوثه ، ثمّ عند الفراغ يطلب شيئاً آخر ويحاول تحصيل الزيادة وبسبب ذلك الطلب والحرص يحصل في قلبه ألم الشوق ومضرّة الطلب ، فثبت انّ هذا البلاء ممّا لا سبيل إلى دفعه .

السابع : انّ الانسان إذا فتح باب الحرص على نفسه فقد ينتهي ذلك إلى أن يصير طالباً للجمع بين الضدّين ومثاله انّ القدرة صفة كمال وهي محبوبة بالذات والاستغناء عن الغير صفة كمال فتكون محبوبة بالذات ، إذا عرفت هذا فنقول : إنّ الرجل إذا مال طبعه إلى السخاوة والجود فهذه السخاوة من حيث إنّها تدلّ على أنّ قلبه غير ملتفت إلى حبّ المال صارت كأنّها مطلوبة ومن حيث إنّها تقتضي خروج المال من يده وخروج المال عن اليد يوجب نقصاناً في القدرة الحاصلة بسبب المال ، والنقصان في القدرة مكروه صارت السخاوة من هذه الجهة مكروهة

منفرة وجميع الخلق موصوفون بهذه البليّة ، ولأجل ميل الطبع إلى حصول المدح والثناء والتعظيم يحبّون الجود والسخاوة ، ولأجل فوت القدرة الحاصلة بسبب ذلك المال يبغضونه ، فلهذا السبب بقي كل الخلق في موقف المعارضة والترجيح ، فمنهم من ترجّح عنده ذلك الجانب فبذل المال ، ومنهم ترجّح عنده الجانب الثاني فيمنع ، ومنهم من بلغ في الجهالة إلى حيث يريد الجمع بين الوجهين فيعد النّاس بالجود والسخاوة والمروة والكرم طمعاً منه في انّه ربما فاز لهذا المعنى بالمدح والثناء ، ثم انّه عند حضور الوقت لايفي به فحينئذ يقع في الفضائح ، وإذا تأمّلت أحوال أهل الدنيا علمت أنّهم بأسرهم داخلون تحت البلاء المتولّد من هذه القضية، امّا في الكثير منه أو القليل .

الثامن : انّ الانسان امّا أن يسدّ باب الإنعام على الغير وامّا أن لا يسدّه فإنّ لكلّ واحد من هذين الطرفين آفات كثيرة ، امّا آفات القسم الأول فإنّ كلّ من اشتهر عند النّاس بالبعد من الخير والنفع أبغضوه ، وكل من صار بغيضاً عند الكلّ فوصول الآفة إليه أسرع من كلّ شيء. وثانيها : أنّ الناس إذا عرفوا منه تلك الصفة بغضوه ولم يلتفتوا إليه ، وكلّ من علم من الناس انّهم انّما ينظرون إليه بعين المقت والازراء فإنّه يضيق قلبه وتتألّم روحه ، وثالثها انّه إذا لم يظهر منه خير صار كالجماد وكالعدم وهذه حالة منفرة جداً .

وأمّا القسم الثاني فآفاته كثيرة أيضاً منها انّ إيصال الخير إلى الكلّ محال فلابدّ من إيصاله إلى البعض دون البعض وذلك يصيره سبباً للعداوة الشديدة فإنّه يقول له لم منعتني خيرك والالتذاذ به وأوصلته إلى غيري ، ومنها انّ الذي وصل إليه الخير مرّة يلتذّ بذلك الخير والالتذاذ سبب للطلب فيبقى أبداً طامعاً في ذلك الرجل وإيصال الخير إليه في كلّ حين وساعة متعذّر فيصير ذلك سبباً للعداوة الشديدة ، ولهذا قيل : اتّق شرّ من أحسنت إليه ، ومنها انّ المقدار الذي وصل إليه من الخير يصير معتاداً بالوفاء ويصير كالأمر المستحقّ فيقع في قلبه طلب الزيادة

عليه فيصير ذلك سبباً قوياً في العداوة ، فثبت أفضل التقديرين أعني باب سدّ الخيرات وفتحها لا يسلم الانسان عن الضرر . وللاشارة إلى هذه الأحوال قال ﷺ لقريش : إنّكم لا تسعوا الناس بأموالكم ولكن سعوهم بأخلاقكم .

التاسع : انّ الانسان امّا تفرغ جميع الخلق ويعتزل عنهم وإمّا أن يخالطهم ويصاحبهم ، وعلى كلا التقديرين فالضرر لازم ، أمّا الاول فلأنّ الانسان مدني الطبع وما لم يجتمع مع الجمع العظيم فإنّ مصالحه لاتنتظم .

وأما الثاني : ففي معاشرة الناس ارتكاب الغيبة والنميمة والرياء والعجب وسائر أسباب مهالك الدارين .

العاشر : انّ الانسان إمّا أن يعيش في الدنيا خالياً عن الزوجة والولد أو معهما وكلّ واحد من القسمين سبب لحصول الآفات والبليّات ، امّا مع الزوجة والولد فلا يحتاج إلى البيان ، أمّا الزوجة فهي كما قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام ان مثلها كالضلع الأعوج فدعه على اعوجاجه واستمتع به مع انّ الأفعى التي تكون مع الانسان تلدغه ساعة بعد ساعة أسهل وأخفّ على الانسان من امرأة السوء .

وقال بعضهم : انّه لا امرأة في الدنيا إلاّ وهي امرأة سوء لكنّهنّ يتفاوتن في مراتب السوء ونقل أخلاقهنّ وذمائم أفعالهن يُحوج إلى تأليف عشرة آلاف كتاب بل أزيد .

والانسان إن كان جيداً كان خوف موته ينغص جميع الطيبات ، وإن كان رديّاً تألّم القلب عند حياته تألماً يزيد على كل الآلام والآفات ، ومن ذلك روي أنّ علياً عليه السلام رأى رجلاً ومعه ولده فقال لا تحبّه فإنّه إن عاش كدّك ، وإن مات هدك ، وإن كان خالياً عنهما فمشقته أكثر .

الحادي عشر : انّ هذه الحياة هل هي طيبة لذيذة في نفسها أو ليست كذلك ، والقسم الأول باطل لأن الشيء الطيب المستلذّ كلما كانت مشاهدته أكثر كان الالتذاذ به أقوى وأكمل فكان يجب أن يكون الانسان الفارغ عن كل الأعمال

والأقوال المراقب لمرور الساعات والأوقات حال كونه حياً يعظم التذاذه لذلك، لانه على هذا التقدير يشاهد اللذيذ المشتهى وهذا باطل لأن المعطل عن كل الاعمال يضيق قلبه ولا يمكنه تحمل ذلك، ولذلك صار الملوك يشغلون أنفسهم بالصيد واللعب حذراً من التعطيل وكذا غيرهم، وامّا أن لا تكون الحياة لذيذة في نفسها فهذا باطل وذلك لأن كلّ حيوان يكره الموت ويفرّ منه وإذا تخيّل نزول الموت به دفعه على أقوى الوجود.

الثاني عشر: انّ الانسان امّا أن يكون رئيساً على الغير أو لا يكون، وفي كل واحد من القسمين أنواع من الآفات، أمّا القسم الأوّل فنقول إنّ الرئاسة انّما تكون لذيذة إذا كان أحوال الخدم واقعة على وفق إرادة الرئيس وكلّما كان عدد الخدم واقعة على وفق إرادة الرئيس وكلما كان عدد الخدم أكثر كانت إرادات الرئيس أكثر، وكلّما كانت الإرادات أكثر كانت الآلام الحاصلة بسبب فوت تلك المرادات أكثر لكن المعلوم أنّ حصول المرادات الجسمانية أبداً كالممتنع لأنّ أجسام هذا العالم مبنيّة على التغيّر والتبدّل وسرعة الانقضاء فإنّها كالزيبق تتبدّل من حالٍ إلى حال، فثبت انّه كلّما كانت الرئاسة أكثر وأعظم كانت الحسرات والزفرات والغموم والهموم أقوى وأكثر.

وأمّا القسم الثاني وهو أن لا يكون رئيساً فهو إمّا أن يكون معطلاً محروماً وأمّا أن يكون خادماً ضعيفاً، وكلاهما منفران.

الثالث عشر: انّ حصول الرئاسة امّا أن يكون مع العدل أو يكون مع الظلم، وكلاهما منفران، امّا مع العدل فهو متعذّر لأنّه يقتضي تسليم الرئاسة إلى من هو الأحق بها، وأمّا مع الظلم موجب لتحقير الدنيا وعذاب الآخرة.

الرابع عشر: انّه لا يمكن إجراء الرئاسة على الظاهر إلّا مع الكذب والتزوير فإنّ الرئيس الكامل لو شافه كل أحد بأنك لا تستحق عندي إلّا القدر الفلاني من التعظيم وإنّك دون فلان وفلان لتشوشت رئاسته واختلّت ولايته بل

لابدّ وأن يقول لأكثر أصحابه : إنّك أفضل الناس وأكمل أصحابي ، وعليك اعتمادي وهو يعلم انّ كل هذا القول زور وبهتان .

الخامس عشر : انّ الرئاسة لا تحصل إلّا بالاتّقان الكثير وهو لا يمكن الاّ بالمال الكثير ولا ريب في أنّ تحصيله شاقّ ، فلو لم يكن الرئيس من المشاق إلّا تعلّق قلبه بتحصيل الأموال الكثيرة وصونها عن اللصوص والسرّاق لكفى ذلك تعباً ومشقّة ، فكيف وانّه يحتاج إلى تحصيل تلك الأموال من غير حلّها فيستحق اللعن ، وكل من أعطاه منها شيئاً يستقلّه بالنظر إلى ما يتوقّع منه ، فيستحقّ منه الطعن فتكون حالة دائرة بين اللعن والطعن .

السادس عشر : انّ هذا الرئيس امّا أن يكون حسن المعاشرة طيّب الخلق غير مهيب ، أو يكون هناك مهيباً معظماً ، أمّا الأول فإنّه ان اختلط معهم لم يحتشموه ، ولم يبق له في قلوبهم وقع ولا ينقادون له ، وهذا من أسباب زوال الملك ، وأمّا الثاني فانهم إذا خافوه ربّما قصدوا قتله فلابدّ له حينئذ من التوسّط بين الحالتين وهو غير معلوم ، ومقداره غير مضبوط ، فربّما وضع الغلط من الرئيس في موارده فمن ثم يكون الرئيس دائماً في مقام الخوف .

السابع عشر : انّ ذلك الرئيس إمّا أن يساوي بين جميع أصحابه في العطيّة أو يفضل بعضهم على بعض وفي كليهما زوال الرئاسة كما لا يخفى.

الثامن عشر : ان حقيقة الرئاسة ان ذلك الرجل يلتزم بإصلاح جميع مهمات الخلق وعقل الانسان لا يفي بإصلاح مصالح نفسه فكيف يعني بإصلاح مهمات الخلق العظيم .

٣ ـ الكلام في اللذّات العقلية الحاصلة بسبب العلوم : قال : السيد المذكور أيضاً في أنواره ما حرفيته : اعلم أنّ العلوم إمّا عقليّة وإما وضعيّة ، فأما العلوم الوضعيّة فلا ينتفع بها إلّا بسبب مصالح الحياة الجسمانية والتبّع لا يكون أكمل من الأصل لما قد سبق من خساسة الحياة الجسمانية ومن هنا ترى انّ أكثر العلوم التي

ترى الخلق مقبلين عليها علوم خسيسة فانّه لا فائدة فيها إلاّ إعانة المصالح الدنيوية ، وأمّا العلوم العقلية فهي امّا أن تكون مطلوبة لذاتها أو لغيرها الثاني كالمنطق وشرفه مرتب على شرف ذلك الغير ، والاوّل هو معرفة الإله وهو أشرف العلوم ولكن من ذا الذي يصل إلى عتبة تلك الحضرة العلية ، ومن ذا الذي شم رائحة تلك الحديقة الزاهرة ، فحاصل العقول كلّها ظنون وخيالات ، ومنتهى الأمر أوهام وحسبات .

قال : وقال الرازي : هذه الأشياء المسماة بالبراهين لو كانت في أنفسها براهين لكان كلّ من سمعها ووقف عليها وجب أن لا ينكرها أصلاً ، وحيث نرى انّ الذي يسمّيه أحد الخصمين برهاناً فإنّ الخصم الثاني يسمعه ويعرفه ولا يفيد له ظنّاً ضعيفاً ، علمنا انّ هذه الأشياء ليست في أنفسها براهين بل هي مقدمات ضعيفة انضافت العصبية والمحبّة إليها فتخيّل بعضهم كونه برهاناً مع انّ الأمر في نفسه ليس كذلك ، وأيضاً فالمشبه يحتج على القول بالتشبيه بحجّة ويزعم أنّ تلك الحجة أفادته الجزم واليقين ، فامّا أن يقال ان كلّ واحدة من هاتين الحجّتين صحيحة فحينئذ يلزم صدق النقيضين ، وهو باطل ، وإمّا أن يقال إحداهما صحيحة والأُخرى فاسدة إلاّ انّه متى كان الأمر كذلك كانت مقدمة واحدة من مقدمات تلك الحجة باطلة في نفسها مع انّ الذي تمسّك بتلك الحجة جزم بصحّة تلك المقدمة ابتداء ، فهذا يدلّ على أنّ العقل يجزم بصحة الفاسدة جزماً إبتداء فاذا كان الأمر كذلك كان العقل غير مقبول القول في البديهيات ، وإذا كان كذلك فحينئذ تنسدّ جميع الدلائل فإن قالوا العقل إنّما جزم بصحة ذلك الفاسد لشبهة متقدّمة ، فنقول : قد حصل في تلك الشبهة المتقدّمة فاسدة ، فان كان ذلك لشبهة أُخرى لزم التسلسل ، وإن كان ابتداء فقد توجّه الطعن ، وأيضاً فإنّا نرى الدلائل القويّة في بعض المسائل العقليّة متعارضة مثل مسألة الجوهر الفرد ، فإنّا نقول كل متحيز فانّ يمينه غير يساره ، وكلما كان كذلك فهو منقسم ، ينتج ان كل متحيّز

منقسم ثم نقول الان الحاضر غير منقسم وإلّا لم يكن كلّه حاضراً بل بعضه ، واذا كان غير منقسم كان أول عدمه في آن آخر متّصل بآن وجوده فلزم تتالى الأنات ويلزم منه كون الجسم مركباً من أجزاء لا تتجزى ، فهذان الدليلان متعارضان ولا نجد جواباً شافياً عن أحدهما ، ونعلم ان أحد الكلامين مشتمل على مقدّمة باطلة وقد جزم العقل بصحتها أبداً فصار العقل مطعوناً فيه ، ثمّ أخذ في تفصيل هذه الوجوه بكلام طويل فظهر من هذا كلّه انّ اللذّات الحسّيّة خسيسة واللذّات الخيالية مستحقرة ، واما اللذّات العقلية فلا سبيل إلى الوصول إليها والقرب منها والتعلّق بها .

هذا ما ذهب إليه المحدث الجزائري ولكن الصحيح هو ما جاء في التعليق عن بعض أكابر علمائنا حيث قال ما ملخصه :

إنّ الجزائري مع إنكاره على أكثر أصحابنا تبعية الفلاسفة فإنه قد تبعهم في إنكارهم اللذات في الدنيا وانها ليست إلّا دفع الالم ، ثم انّ هذه التبعية قد أفضت به في نهاية المطاف إلى إنكار العقليات ثم العجب منه رضوان الله عليه كيف انّه تبع الرازي إمام المشككين في تشكيكاته في البديهيات وفي البراهين العقليّة .

هذا بالاضافة إلى انّ ما ذكره الرازي مجرد توهمات ومغالطات وقد ردّ علماؤنا عليها بما لا يسع ذكره وبيانه في هذا المقام من نقل كلامهم على وجه التفصيل لكن نشير إلى ما ذكره شيخنا كاشف الغطاء في الجملة :

قال رضوان الله تعالى عليه في بعض كتبه : «العقول هي الحجة الكبرى للخالق على المخلوق وللمخلوق على الخالق وهي ثابتة في كل زمان ومكان وفي عامة الشرائع والأديان » انتهى على انّه أيضاً قد جاء في الحديث الشريف : ان لله حجة ظاهرة وهي الرسل ، وحجة باطنة وهي العقل ، وإنّنا إن شاء الله تعالى فيما يأتي في البحوث المقبلة سوف نشير إلى أهمية العقل وذلك عندما نستعرض الحديث عن دنيا البلاغ وهنا نقول على وجه الاختصار : إنّ اللذّات الدنيوية

المذكورة حتى وإن كانت ليس إلّا مجرد دفع آلام كما هو على مسلك السيّد المذكور إلا انّها نعم من جملة النعم الغير متناهية والتي قد أعطاها الله لعباده، وتأتي نعمة اللّذة العقلية لتحتل الصدارة فتكون أولها كما هو في تقسيم النعم المعروف عن البهائي وإليكها بالتفصيل:

قال ﷺ: إنّ نعم الله تعالى وإن كانت أجلّ من أن تحصى كما قال تعالى: ﴿ وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ﴾[1] لكنها جنسان النعم الدنيوية والأُخروية وكل منهما امّا وهبي أو كسبي، وكل منهما امّا روحاني أو جسماني، فالمجموع ثمانية أقسام:

الأول: الدنيوي الوهبي الروحاني كنفخ الروح، وإفاضة العقل والفهم.

الثاني: الدنيوي الوهبي الجسماني مثل خلق الأعضاء وقواها.

الثالث: الدنيوي الكسبي الروحاني كتخلية النفس من الأُمور الدنية وتحليتها بالخلق الذكية والملكات العالية.

الرابع: الدنيوي الكسبي الجسماني كالتزيّن بالهيئة الحميدة والحليّ الحسنة.

الخامس: الأُخروي الوهبي الروحاني كأن يغفر الله ذنوبنا ويرضى عنّا.

السادس: الأُخروي الوهبي الجسماني كأنهار من لبن وعسل.

السابع: الأُخروي الكسبي الروحاني كالمغفرة والرضوان مع سبق التوبة، وكاللذات الروحانية التي استجلّت بفعل الطاعات.

الثامن: الأُخروي الكسبي الجسماني، كاللذات الجسمانية التي استجلبت لفعل الطاعات، والمراد من النعمة هنا الأقسام االأربعة الأخيرة وما يكون وسيلة البلوغ إلى هذه الأقسام الأربعة من الأقسام الأربعة الأول وقد أضاف مولانا الامام الاستاذ الأعظم السيّد روح الله الموسوي الخميني إلى هذا التقسيم ثلاث نعم أيضاً:

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٤، سورة النحل: ١٨.

أوّلها : نعمة معرفة الذات .

ثانيها : نعمة معرفة الأسماء .

ثالثها : نعمة معرفة الأفعال .

قال قدس سره وطيب الله تربته في كتابه الآداب المعنوية للصلاة في صفحة ٤٤٩ وذلك بعد نقل الكلام المتقدم في التقسيمات لشيخنا البهائي تحت عنوان (نقل كلام زيادة في الافهام) قال عطر الله رمسه ، وهذه التقسيمات للشيخ وإن كانت لطيفة ولكن الاهم من النعم الالهية وأعظم مقصد الكتاب الشريف الالهي قد سقط من قلم الشيخ الجليل واكتفى فقط بنعم الناقصين أو المتوسّطين ، وفي كلامه قدس سره ، وإن جرى ذكرمن اللذة الروحانية ، ولكن اللذات الروحانية الأُخروية التي استجلبت بفعل الطاعات حظّ المتوسّطين إن لم نقل بأنها حظ الناقصين ، وبالجملة غير ما ذكره الشيخ الجليل الراجح إلى اللذات الحيوانية والحظوظ النفسانية نعم أُخرى وعمدتها ثلاث :

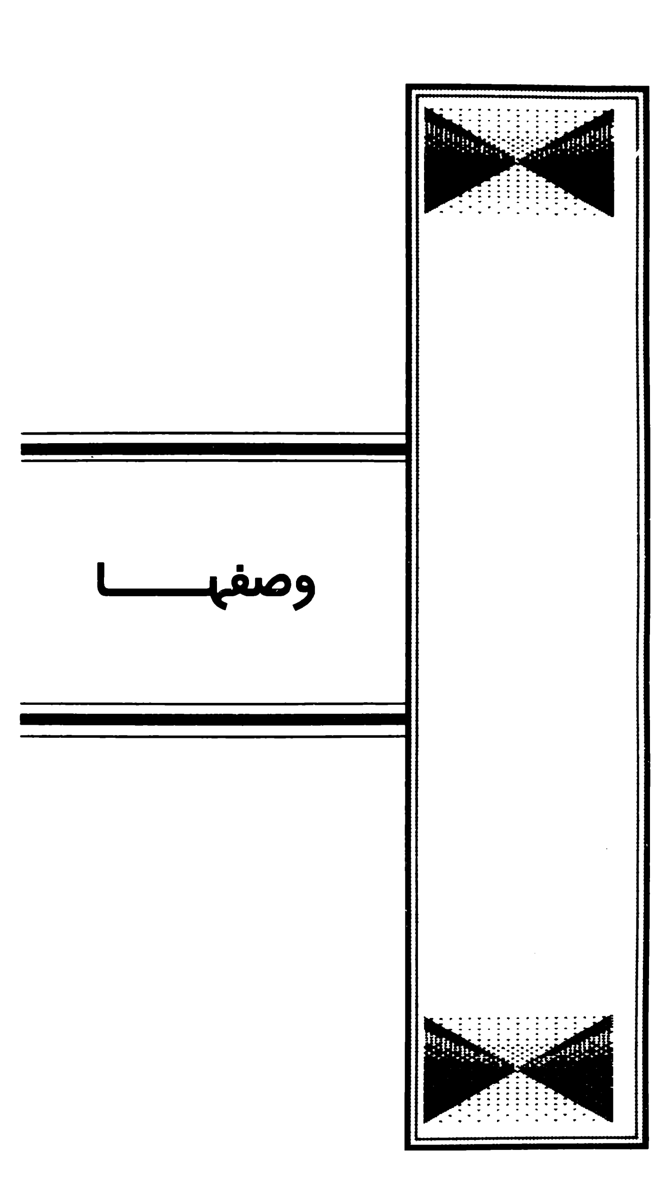
الأُولى : نعمة معرفة الذات والتوحيد الذاتي التي أصلها السلوك إلى الله تعالى ونتيجتها جنة اللقاء ، وإذا كان السالك نظر إلى النتيجة ففي السلوك نقصان لأنّ هذا المقام ترك ولذاتها والتوجه إلى حصول النتيجة توجّه إلى النفس وهذا هو عبادة للنفس لا لله ، وتكثير لا توحيد ، وتلبيس لا تجرد .

الثانية : نعمة معرفة الأسماء ، وهذه النعمة تتشعب على حسب الكثرة الاسمائية ، فإن حسبت مفرداتها فألف ، وإن حسبت بالتركيب من الاسمين أو الأسماء فخارجة عن حدّ الاحصاء ﴿ وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ ، والتوحيد الأسمائي في هذا المقام نعمة معرفة الاسم الاعظم الذي هو مقام أحدية جمع الأسماء ، ونتيجة معرفة الأسماء جنة الاسماء لكل على مقدار معرفة اسم أو أسماء فرداً أو جمعاً .

الثالثة : نعمة معرفة الأفعال ، ولهذه أيضاً شعب كثيرة غير متناهية ومقام

التوحيد في هذه المرتبة هو أحدية جمع التجليات الفعلية التي هي مقام الفيض الأقدس، ومقام الولاية المطلعة، ونتيجتها جنة الأفعال التي هي تجليات أفعالية للحقّ تعالى لقلب السالك ولعلّ التجلّي لموسى بن عمران في بدء الأمر إذ قال: ﴿ آنست ناراً ﴾[1] كان بالتجلّي الافعالي والتجلّي الذي إليه الاشارة في قوله تعالى: ﴿ **فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكّاً وخرّ موسى صعقاً** ﴾[2] تجلياً أسمائياً أو ذاتياً فصراط المنعم عليهم في المقام الأول صراط السلوك إلى ذات الله تعالى والنعمة في ذلك المقام التجلّي الذاتي. وفي المقام الثاني صراط السلوك إلى اسماء الله، والنعمة في ذلك المقام التجلّيات الأسمائية، وفي المقام الثالث السلوك إلى فعل الله ونعمته التجلّي الافعالي، سواء أكانت روحانية أو جسمانية كما اثبت هذا المقام في الروايات لبعض المؤمنين أيضاً.

(١) سورة طه: ١٠، وسورة النمل: ٧، وسورة القصص: ٢٩.
(٢) سورة الأعراف: ١٤٣.



وصفها

لقد تحدّثنا لقارئنا الكريم فيما تقدم عن اللذات الواقعة في هذه الدنيا وذكرنا انّها ثلاث حسّية وخيالية وعقلية ، وقلنا أيضاً : انّ هذه اللذّات حتى وإن كانت ليس إلا مجرد دفع آلام كما هو على مسلك السيد المحدّث إلا أنها نعم من جملة النعم الالهية الكثيرة التي أفاضها الخالق على المخلوق فعليه ينبغي للانسان ممارستها في الأمور المشروعة طالباً بذلك رضاء الله تعالى وإلّا فهو هالك، وسوف يأتي من خلال البحوث المقبلة ما يؤكد ذلك .

وهنا نتحدّث لقارئنا العزيز عن وصف الدنيا فنقول: انّها وصفت بأوصافٍ كثيرة لا يمكننا بيانها كلها في هذا المختصر، وإنّما نقتصر على نقل بعضها مما جاء عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وعن جدهم الاكرم محمد صلّى الله عليهم أجمعين وكذلك بعض ما جاء عن الأنبياء والحكماء والعلماء والشعراء ، وإليك بيان ذلك فيما يلي :

١ ـ **الأول** : ما جاء في مختلف كتب الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله قد وصف الدنيا في مواطن عديدة بأوصافٍ مختلفة نذكر منها ثلاثة : أولها : أنّها أهون عند الله عزّ وجلّ من الشاة الميتة . ثانيها : بأنّها مزبلة . ثالثها : بأنّها لا تستحق النظر من الله تعالى ، وإليك تفصيل ذلك : يقال إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ على شاة ميتة فقال : **أترون هذه الشاة هينة على صاحبها ؟**

قالوا : نعم .

قال : والذي نفسي بيده الدنيا أهون عند الله عزّ وجلّ من هذه على صاحبها ، ولو كانت الدنيا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة ما سقى كافراً منها

شربة ماء.

وجاء في الحديث عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلق الله الدنيا لا ينظر إليها وتقول يوم القيامة: يارب اجعلني لأدنى أوليائك نصيباً اليوم فيقول: اسكتي يا لاشيء إني لم أرضك لهم في الدنيا أرضاك لهم اليوم.

وقيل: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في يوم لأبي هرة: يا أبا هرة، ألا أُريك الدنيا جميعاً بما فيها.

قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بيدي وأتى بي وادياً من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها رؤوس الناس وعذرات وخرق وعظام، ثم قال لي: يا أبا هرة، هذه الرؤوس كانت تحرص على الدنيا كحرصهم وتأمل آمالكم، ثم هي عظام بلا جلد، ثم هي صائرة رماداً وهذه العذرات ألوان أطعمتكم اكتسبوها من حيث اكتسبوها، ثم قذفوها من بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها، وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تعصفها. وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان راكناً إلى الدنيا فليبك، فما برحنا حتى اشتدّ بكاؤنا.

الثاني: ما جاء في نهج البلاغة في كثير من كلام أمير المؤمنين عليه السلام يصف فيه الدنيا بأنها دار حزن تارة ودار غدرٍ تارة أُخرى.

وثالثة وصفها بأنّها لا تدوم حبرتها.

ورابعة بأنها حُلوة خضرة إلا انّها حُفّت بالشهوات، وإليك بيان ذلك بحسب التسلسل:

١ ـ قيل له عليه السلام: صف لنا الدنيا. فقال: وما أصف لك من دار من صحّ فيها ما امن، ومن سقم فيها ندم، ومن أفتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها افتتن، في حلالها الحساب، وفي حرامها العقاب.

٢ ـ وقال عليه السلام: لا تغرنكم الدنيا، فأنّها دار بالبلاء محفوفة، وبالفناء

معروفة ، وبالغدر موصوفة ، فكل ما فيها إلى زوال ، وهي بين أهلها دول وسجال، لا تدوم أحوالها ، ولا يسلم من شرها نزّالها ، بينا أهلها منها في رخاء وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور ، أحوال مختلفة ، وتارات متصرّمة ، العيش فيها مذموم ، والرخاء فيها لا يدوم ، وإنّما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها ، وتغنيهم بحمامها . واعلموا عباد الله انكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ، ممّن كان أطول منكم أعماراً ، وأشدّ منكم بطشاً ، وأعمر دياراً ، وأبعد آثاراً ، فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلّبها ، وأجسادهم بالية ، وديارهم على عروشها خاوية ، وآثارهم عافية ، استبدلوا بالقصور المشيّدة والسرر والنمارق الممهّدة الصخور ، والأحجار المسندة في القبور الملاطئة الملحدة ، فمحلها مقترب ، وساكنها مغترب ، بين أهل عمارة موحشين ، وأهل محلة مشاغلين لا يستأنسون بالعمران ، ولا يتواصون تواصل الجيران والاخوان ، على ما بينهم من قرب الجوار ودنوّ الدار ، وكيف يكون بينهم تواصل ، وقد صحنهم بكلكله البلاء ، وأكلتهم الجنادل ، والثرى ، وأصبحوا بعد الحياة أمواتاً ، وبعد نضارة العيش رفاتاً ، فجع بهم الأحباب ، وسكنوا تحت التراب ، وظعنوا فليس لهم إياب ، هيهات هيهات . ﴿كلا انّها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾[1] فكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى والوحدة في دار المثوى ، وارتهنتم في ذلك المضجع ، وضمكم ذلك المستودع ، وكيف بكم لو عاينتم الأُمور ، وبعثرت القبور ، وحصّل ما في الصدور ، وأوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل ، فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب ، وهتكت عنكم الحجب والأستار ، فظهرت منكم العيوب والأسرار ، هنالك تجزى كلّ نفسٍ بما كسبت .

٣ـ وقال عليه السلام : أما بعد ، فإنّي أُحذركم الدنيا ، فإنّها حلوة خضرة ، حفّت

(١) سورة المؤمنون : ١٠٠ .

بالشهوات ، وتحببت بالعاجلة ، وراقت بالقليل ، وتحلت بالآمال ، وتزينت بالغرور ، لا تدوم حبرتها ، ولا تؤمن فجعتها غرارة ـ ضرارة ، حائلة ـ زائلة ، نافذة ـ بائدة ، أكالة ـ غوالة ، لا تعدوا إذا تناهت إلى أُمنية أهل الرغبة فيها والرضاء بها، أن تكون كما قال الله تعالى : ﴿ كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيءٍ مقتدراً ﴾[1].

٤ ـ وقال عليه السلام : إنّما الدنيا ستّة أشياء : مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم ، فأشرف المطعومات العسل وهي مذقة ذبابة ، وأشرف المشروبات الماء يستوي فيه البرّ والفاجر ، وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة ، وأشرف المركوبات الخيل وعليها يقتل الرجال ، وأشرف المنكوحات وهي مبال في مبال ، وان المرأة لتزين أحسن ما فيها ويراد أقبح ما فيها ، وأشرف المشمومات هو المسك وهو بعض دم .

الثالث : ما جاء أيضاً في مختلف كتب الحديث عن صادق آل محمد عليهم السلام في وصف الدنيا أنه وصفها بأوصاف كثيرة نتناول منها ما يلي :

١ ـ قال عليه السلام : إنّ هذه الدنيا وان امتعت ببهجتها ، وغرت بزبرجها ، فإن آخرها لايعدو أن يكون كآخر الربيع الذي يروق بخضرته ثم يهيج عند انتهاء مدته ، وعلى من نصح لنفسه وعرف ما عليه وله أن ينظر إليها نظر من عقل عن ربّه جل وعلا وحذر سوء منقلبه ، فإن هذه الدنيا قد خدعت قوماً فارقوها أسرع ما كانوا إليها ، وأكثر ما كانوا اغتباطاً بها ، طرقتهم آجالهم بياتاً وهم نائمون ، أو ضحى وهم يلعبون ، فكيف أُخرجوا وإلى ما صاروا بعدها ، أعقبتهم الألم وأورثتهم الندم ، وجرعتهم مُرّ المذاق ، وغصصتهم بكأس الفراق ، فياويح من رضي عنها ، أو قرّ عيناً بها ، أما رأى مصرع آبائه ، ومن سلف من أعدائه وأولياءه أطول بها حيرة ، وأقبح بها كرة ، وأخسر بها صفقة ، وأكبر بها نزحة ، إذا

(١) سورة الكهف : ٤٥ .

عاين المغرور بها أجله ، وقطع بالأماني أمله ، وليعمل على أنه أُعطي أطول الأعمار وأمدّها ، وبلغ فيها جميع الآمال ، هل قصاراه إلاّ الهرم ، وغايته إلاّ الوخم، ثم قال بعد ذلك لمن سأله أن يصفها : نسأل الله تعالى لنا ولك عملاً صالحاً بطاعته، ومآباً إلى رحمته، ونزوعاً عن معصيته، وبصيرة في حقّه ، فإنّما ذلك له وبه .

٢ ـ وقال عليه السلام في تحليلها وأطوار الناس فيها : ما الدنيا وما عسى أن تكون، هل الدنيا إلاّ أكل أكلته ، أو ثوب لبسته ، أو مركب ركبته انّ المؤمنين لم يطمئنوا في الدنيا ، ولم يأمنوا قدوم الآخرة ، دار الدنيا دار زوال ، ودار الآخرة دار قرار ، أهل الدنيا أهل غفلة ، أن أهل التقوى أخف أهل الدنيا مؤنة وأكثرهم معونة ، إن نسيت ذكّروك ، وإن ذكّروك أعلوك ، فأنزل الدنيا كمنزل نزلته فارتحلت عنه ، او كمال أصبته في منامك فاستيقظت وليس في يدك شيء منه ، فكم من حريص على أمر قد شقي به حين أتاه ، وكم من تارك لأمر قد سعد به حين أتاه .

٣ ـ وقال عليه السلام : ما أنزلت الدنيا من نفسي إلاّ بمنزلة الميتة إذا اضطررت إليها أكلت منها ، إنّ الله تبارك وتعالى علم ما العباد عاملون ، وإلى ما هم إليه صائرون، فحلم عنهم عند أعمالهم السيئة لعلمه السابق فيهم ، فلا يغرنّك حسن الطلب ممن لا يخاف الفوت ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً** ﴾[1] وجعل عليه السلام يبكي ويقول : ذهبت والله الأماني عند هذه الآية .

ثم قال عليه السلام : فاز والله الابرار ، الذين لا يؤذون ، كفى بخشية الله علماً ، وكفى بالاغترار جهلاً .

الرابع : ما جاء عن بعض الأنبياء والبلغاء والحكماء والعلماء في وصف الدنيا ، وإليك ما قالوا بحسب التسلسل :

---

(١) سورة القصص : ٨٣.

١ ـ قال عيسى عليه السلام في وصفها : إنّ الدنيا قنطرة فاعبروها.

قال العلماء في تحليل هذا الوصف لماذا وصف عيسى عليه السلام (الدنيا) بهذا الوصف ، ذلك لأنّ الميل الأول الذي هو على رأس القنطرة المهد ، والميل الثاني اللحد ، وبينهما مسافة محدودة ، منهم من قطع ثلثها ، ومنهم من قطع نصفها ، ومنهم من لم يبق له إلاّ خطوة واحدة ، وهذا محتمل لكل أحد .

٢ ـ وقال لقمان لابنه وهو يصف له الدنيا : يابني ، إنّ الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير ، فلتكن سفينتك فيها التقوى ، وحشوها الايمان ، وشراعها التوكل ، وقيمتها العقل ، ودليلها العلم ، وسكّانها الصبر .

٣ ـ وقال الخضر لموسى عليهما السلام : يا موسى ، اعرض عن الدنيا وانبذها وراءك ، فإنّها ليست لك بدار ، ولا فيها محل قرار ، وإنّما جعلت الدنيا للعباد ليتزوّدوا منها للميعاد .

٤ ـ وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين ، ارضوا بدني الدنيا ، مع سلامة الدين ، كما رضي أهل الدنيا بدني الدين وفي معناه قيل :

أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا ... ولا أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما ... استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

٥ ـ قيل لبعض البلغاء : صف لنا الدنيا .

فقال : الدنيا إن أقبلت بلت ، وإن أدبرت بَرت ، أو أطنبت نبت ، أو أركبت كبت ، أو أبهجت هجت ، أو أسعفت عفت ، أو أينعت نعت ، أو أكرمت رمت ، أو عاونت ونت ، أو ما جنت جنت ، أو سامحت محت ، أو صالحت لحت ، أو واصلت صلت ، أو بالغت لغت ، أو وفرت فرت ، أو زوّجت وجت ، أو نوّهت وهت ، أو ولهت لهت ، أو بسطت سطت .

٦ ـ وقيل لأرسطاطاليس: صف لنا الدنيا .

فقال : ما أصف من دار أوّلها قوت ، وآخرها موت .

٧ ـ وقيل لحكيم : صف لنا الدنيا .

قال : أمل بين يديك ، وأجل مطلّ عليك ، وشيطان فتّان ، وأماني جرارة العناء ، تدعوك فتستجيب ، وترجوها فتخيب .

٨ ـ وقيل لبكر بن عبد الله المزني : صف لنا الدنيا .

فقال : ما مضى منها فحلم ، وما بقي منها فأماني .

٩ ـ ووصف بهلول الدنيا بكلمتين ، وذلك عندما قال له هارون الرشيد لعنه الله : عظني .

قال : وبما أعظك ؟ هذه قصورهم ، وتلك قبورهم .

قال : أحسنت ، ثم قال البهلول : يا أمير ، من رزقه الله مالاً وجمالاً ، فعف في جماله ، وواسى في ماله ، كتب في ديوان الأبرار .

فقال الرشيد لعنه الله : قد أمرنا أن يقض دينك ...

قال بهلول : كلاّ ، لا تقضي ديناً بدين ، اردد الحقّ إلى أهله ، واقضي دين نفسك بنفسك .

يا رشيد إنّ الله لا يعطيك وينساني ؟ ثمّ عدا على قصبته راكضاً .

١٠ ـ ووصفها حكيم بقوله : إذا أدركت الدنيا الهارب منها جرحته ، وإذا أدركت الطالب لها قتلته .

١١ ـ وقال الخليل بن أحمد في وصفها وتعريفها : الدنيا مختلفات تأتلف ، ومؤتلفات تختلف . فقال بعض العارفين : ان هذا التعريف هو والله الحدّ الجامع المانع .

١٢ ـ وقال المأمون لعنه الله : لو وصفت الدنيا نفسها لم تصف كما وصفها أبو نواس بقوله :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفت   له عن عدوٍّ في ثياب صديق

١٣ ـ ووصفها الحسن البصري فيما كتبه إلى عمر بن عبد العزيز بقوله : أمّا

بعد فان الدنيا دار ظعن وليست بدار إقامة وإنما انـزل آدم عليه السلام إليهـا عـقوبة فاحذرها يا عمر فإن الزاد منها تركها ، والغنى منها فقرها ، لها في كل حين قتيل ، تذل من أعزّها ، وتفقر من جمعها ، هي كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه ، فكن فيها كالمداوي جراحته يحتمي قليلاً مخافة ما يكره طويلاً ويصبر على شدّة الدواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي تزيّنت بخداعها وقتلت بغرورها وختلت بآمالها وشوّقت لخطابها فأصبحت كالعروس المتحلّية الجميلة فالعيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها والهة ، والنفوس لها عاشقة وهـي لأزواجها كلّهم قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ، ولا الآخر بالأوّل مـزدجر ولا العارف بالله عزّ وجلّ حين أخبره عنها منكر فعاشق لها قد ظفر مـنها بحـاجُته فاغتر وطغى ، ونسى المعاد واشتغل بها لبه حتى زلت عنها قدمه ، فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت سكرات الموت بألمها ، وحسرات الفـوت بـغصّتها ، ومن رغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يرح نفسه من التعب فخرج بغير زادٍ ، وقدم على غير مهاد فاحذرها وكن آنس ما تكون فيها احذر ما تكون منها فإنّ صاحب الدنيا كلّما اطمأنّ منها إلى سرور أشخصته منه إلى مكروه والسار فيها لأهلها غار والنافع منها غداً ضار وقد وصل الرخاء منها في البلاء ، وجعل البقاء فيها إلى الفناء ، فسرورها مشوب بالأحزان ، لا يـرجـع مـنها مـا ولى وأدبـر ولا يدري ما هو آت فينتظر أيّامها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعينها نكد وابن آدم فيها على خطر وإن عقل فنظر وهو من النعماء على خطر ، ومن البلاء على حذر ، فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبراً ولم يضرب لها مثلاً لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ، ونبّهت الغافل ، فكيف وقد جاء من الله عزّ وجلّ زاجـر وفـيها واعظ ، فما لها عند الله جلّ ثناؤه قدر ، وما ينظر إليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبينا صلى الله عليه وآله بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه عند الله جناح بعوضة فأبى أن يـقبلها وكره أن يخالف على الله أمره ، أو يحبّ ما أبغض الله أو يرفع ما وضع مـليكه ،

فزواها عن الصالحين اختياراً وبسطها لأعدائه اغتراراً فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها ونسي ما صنع الله بمحمد ﷺ حين شد الحجر على بطنه، ولقد جاء في الرواية عنه ﷺ ان الله تبارك وتعالى قال لموسى عليه السلام إذا رأيت الغنى مقبلاً فقل: ذنب عجلت عقوبته وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين، وإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة ابن مريم عليهما السلام كان يقول: أُدامي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس، وسراجي القمر، ودابتي رجلاي، وطعامي وفاكهتي ما أنبتت الأرض، أبيت وليس لي شيء، وأصبح وليس لي شيء، وليس على الأرض أحد أغنى منّي.

١٤ ـ وقال بعض العلماء في وصف الدنيا: إنّ الدنيا بيت ضيق مظلم قد اجتمعت فيه أنواع المخلوقات وأصنافها، ففيه الحيات والعقارب والسباع والذئاب الضواري، وكلها قد قصدت ابن آدم وهو معها في ذلك البيت الضيق وهو يراها قاصدة إليه، وقد وضع أمامه شيء من الخبز ليأكله وينظر إلى ما معه في ذلك المنزل الضيق من الأفاعي والسباع والعقارب وهي جوعانة وليس لها شيء تأكله سوى لحوم ابن آدم، فالانسان من الجوع يأكل ما أمامه من الخبز لكنّه ينظر ما معه من السباع في حال أكله مترقباً حين بعد حين لوصولها اليه وإهلاكها إياه، فمن كان هذا حاله كيف يلتذّ بأكل أم بشرب أم بنكاح أم بلباس، ولو فتحت عيني قلبك الذي تبصر به لوجدت حالك في الدنيا هو هذا بل أنت اسوء حالاً، أما العقارب فهم أقاربك الذين منهم من يتمنّى موتك للميراث، ومنهم من يريده حسداً لك حيث فضّلت عليهم إمّا بأمور دنيويّة أو أُخرويّة، ومنهم من يتزوّج بزوجتك بعدك إلى غير ذلك من الأغراض، ويا ليتهم مثل العقارب فانّ الأغلب في العقرب وأشباهه إنّما يلدغ إذا أوذي وتعدّى الانسان عليه مع انّ لدغته تبرى في يوم واحد، وأمّا الأقارب وما يصل في كل يوم إليك

من أنواع لسعهم وأذيّتهم فهو ممّا لا غاية له ولا نهاية لأمده إلى الموت ، وأمّا الحيات فهم اخوانك الذين قال فيهم أمير المؤمنين عليه السلام : إنّهم جواسيس العيون، ومن الحيات أيضاً شياطين الجنّ والانس الذين صرفوا لياليهم وأيّامهم في الفكر لارادة مخادعتك وإضلالك وإلقائك إلى حيات جهنّم وأفاعيها التي ورد في الخبر لو انّ حيّة منها ظهرت إلى الدنيا ونفخت فيها لما بقي فيها شجر ولا مدر ولا جبل إلّا ذاب من سماعها ، وامّا السباع فهي مصائب الدنيا ودواهيها الحادثة يوماً بعد يوم، وساعة بعد ساعة ، ونفساً بعد نفسٍ كالهموم والأحزان والأمراض وفقد الأحبّة الذي جعله أمير المؤمنين عليه السلام عديلاً ليوم القيامة فقال : لولا هول المطلع وفراق الأحبّة لأردنا الموت ، وأهول من هذا كلّه تذكر الموت وما بعده من الأهوال .

١٥ ـ وقال بعض العلماء أيضاً في وصفها : خلق الله الدنيا وجعلها دار ممرّ ، ودار امتحان واختبار ، وأحاطها بالعبر والحسرات ، وزوّدها بالطيبات من الرزق ، ليكون الانسان شاكراً لنعمه ، ذاكراً لفضله تعالى ، مطيعاً لأوامره ، منزجراً عن نواهيه ، لا أن يتّخذ الدنيا مركباً يركبه للوصول إلى شهوات نفسه وإشباع غريزته .

الخامس : ما جاء على ألسنة الشعراء في وصف الدنيا ووصف أهلها نتناول بعضاً ممّا قالوا بالتسلسل :

١ ـ أحلام نوم أو كظلّ زائل ... إنّ اللبيب بمثلها لا يخدع

٢ ـ لذّاتها أشباح طيف قد سرى ... وهل اللبيب تغرّه الأشباح

مابتّ ليل الوصل إلاّ خائفاً ... أن يجتلي لي بالصدود صباح

وإذا القضاء كما ارتأيت فلم أزد ... علماً بها إذ نابت الأتراح

يانفس صبراً بذي الدنيا هوى ... فالأُنس نحس والصلاح طلاح

كم خادعت قوماً بسلم ظاهر ... فأبادهم مما تجن كفاح

٣ ـ الا إنّما الدنيا كأحلام نائم | وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل إذا مانلت بالأمس لذّة | فأفنيتها هل أنت إلّا كحالم
فكم غافلٍ عنه وليس بغافل | وكم نائمٍ عنه وليس بنائم

٤ ـ ألا إنّما الدنيا مقيل لراكب | قضى وطراً من منزل ثم هجّراً
فراح ولا يدري علام قدومه | ألا كل ما قدمت يبق موفراً

٥ ـ ألا إنّما الدنيا نضارة أيكة | إذا اخضر منها جانب جفّ جانب
هي الدار ماالآمال إلّا فجائع | عليها ولا اللذّات إلّا مصائب
فكم سخنت بالأمس عين قريرة | وقرت عيون دمعها اليوم ساكب
فلا تكتحل عيناً فيها بعبرة | على ذاهبٍ منها فإنّك ذاهب

٦ ـ ألا إنّما الدنيا مطيّة راكب | على راكبوها ظهر أعوج أحدبا
شموس متى أعطتك طوعاً زمامها | فكن للأذى من عقّها مترقّبا

٧ ـ الدهر ظلّ على أهليه منبسط | وما سمعنا بظلّ غير منتقل
كم غرّ من قبلنا قوماً فما شعروا | ولاوداعي المنايا جاء في عجل
وكم رمى دولة الأحرار من سفه | بكلّ خطب مهول فادح جلل

٨ ـ مما ينسب لمولانا الإمام الأعظم أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه آلاف التحية والصلاة والسلام أنه قال روحي فداه في مجلس الخبيث المتوكّل لعنه الله تعالى قال مولانا يرشده ويحقّره في نفس الوقت ، ويحقّر دنياه بهذه الأبيات الجليلة :

باتوا على قُلل الأجبال تحرسهم | غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم | فاودعوا حفراً ، يابئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا | أين الأسرّة والتيجان والحلل؟
أين الوجوه التي كانت منعّمة | من دونها تضرب الأستار والكلل؟
فافصح القبر عنهم حين ساءلهم | تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

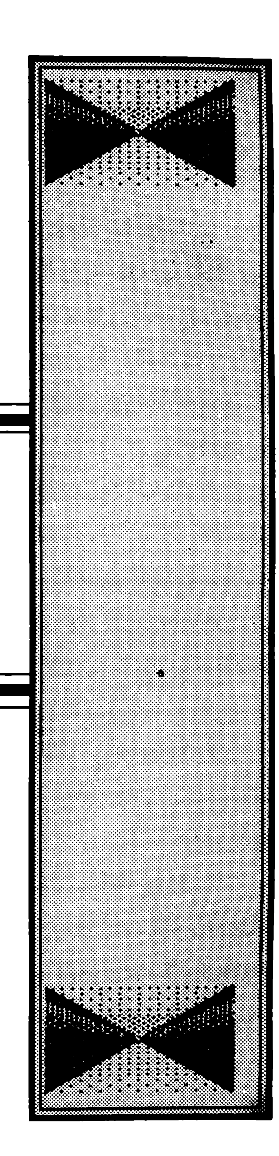
قد طـالما أكـلوا دهـراً ومـا شربـوا فأصبحوا بعد طول الأكل قـد أُكـلوا

وطـــالما عـــمّروا دوراً لتـــحصنهم فــفارقوا الدور والأهـلين وانـتقلوا

وطـــالما كـنزوا الأمـوال وادّخـروا فــخلفوها عـلى الأعـداء وارتحـلوا

أضـــحت مـــنازلهم قـــفراً مـــعطّلة وساكنوها إلى الأجداث قـد رحـلوا

قال الراوي : فبكى كل من حضر في ذلك المجلس ، ولقد بكى المتوكّل لعنه الله أيضاً وبكى بكاءً طويلاً على ما يقال ، وذلك لأنّ كلام الامام يؤثّر في الحجر لا على انّه كان ذو منزلة وتقوى وإيمان بالله تعالى ، فلو كان كذلك لما غصب حق آل محمد عليهم السلام وارتكب القبائح مثل أبيه لعنهم الله جميعاً .



أمثلتهـــا

لقد تحدّثنا لقارئنا الكريم عن وصف الدنيا ، وذكرنا أقوال الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله ، وكذلك أقوال العترة الطاهرة واقوال الأنبياء والحكماء والعارفين والشعراء في وصفها وكيف كانت النصائح المحمدية الصادرة إلينا .

وهنا نتحدّث لقارئنا العزيز عن بعض أمثلة الدنيا التي ذكرها العلماء عن الأنبياء والأئمّة عليهم السلام وكذلك أقوال الحكماء والعارفين التي تتعلّق بأمثلتها نعرضها فيما يلي :

١ ـ **تمثيلها الاول ، بالظلّ** : لقد مثلها بذلك مولانا الامام الحسن بن علي عليه السلام قال :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها   انّ اغتراراً بظلّ زائل حمق

قال العلماء إنما مثلها سلام الله عليه بذلك من حيث كون الظلّ متحرّك في الحقيقة ساكن في الظاهر ، ولا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة ، وكذلك الدنيا .

٢ ـ **تمثيلها الثاني ، بالحلم** : لقد مثلها بذلك الرسول المكرم محمد صلى الله عليه وآله فقال : « الدنيا حلم ، وأهلها عليها مجازون معاقبون » وهذا التمثيل من حيث الاغترار بخيالاتها .

٣ ـ **تمثيلها الثالث ، بالحيّة** : مثّلها بذلك أمير المؤمنين عليه السلام فيما كتب إلى سلمان قال عليه السلام : مثل الدنيا مثل الحيّة ، ليّن مسّها ، ويقتل سمّها ، فاعرض عمّا يعجبك منها لقلّة ما يصحبك منها ، وضع عنك همومها لما أيقنت من فراقها ، وكن أسر ما تكون منها احذر ما تكون منها ، فإنّ صاحبها كلّما اطمأنّ بها إلى سرور

أشخصته عنه إلى مكروهٍ ، والسلام .

وهذا التمثيل منه عليه السلام للدنيا من جهة حسن منظر وقبح مخبرها .

٤ ـ تمثيلها الرابع ، بالعجوز الهتماء : ولقد مثّلها بذلك عيسى عليه السلام لما روي في الحديث أنّه كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة ، فقال لها : كم تزوّجت ؟

قالت : لا أُحصيهم .

قال : كلّهم مات عنك ، أو كلّهم طلّقك ؟

قالت : بل كلّهم قتلت .

فقال عليه السلام : بؤساً لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين ، كيف تهلكينهم واحداً بعد واحدٍ ولا يكونوا منك على حذر .

وهذا التمثيل من جهة تلطّفها لأهلها أوّلاً وإهلاكهم آخراً .

ولهذا جاء في الخبر عن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّه قال : يؤتى يوم القيامة بالدنيا في صورة عجوز شمطاء زرقاء ، أنيابها بادية مشوهة خلقها وتشرف على الخلائق ، فيقال : تعرفون هذه ؟

فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه ، فيقول الله تعالى : هذه الدنيا التي تشاجرتم عليها ، وبها تقاطعتم الأرحام ، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ، تقذف في جهنّم ، فتقول : ياربّ أين أتباعي وأشياعي ؟ فيقول الله عزّ وجلّ : ألحقوا بها أتباعها وأشياعها .

وقال بعضهم : بلغني أنّ رجلاً عرج بروحه فإذا امرأة على قارعة الطريق ، عليها من كل زينة الحلي والثياب ولا يمرّ بها أحد إلّا جرحته وإذا هي أدبرت كانت كأحسن شيء رآها الناس ، واذا هي أقبلت كانت أقبح شيء رآها الناس عجوز شمطاء .

قال : فقلت : أعوذ بالله منك . قالت : لا والله لا يعيذك الله حتى تبغض

الدنيا .

قلت : من أنت ؟

قالت : أنا الدنيا .

٥ ـ تمثيلها الخامس ، بالعجوز أيضاً : قال بعضهم في مثال مخالفة الدنيا باطنها لظاهرها : اعلم أنّ الدنيا مزيّنة الظواهر قبيحة السرائر ، وهي تشبه عجوزاً متزينة ، تخدع الناس بظاهرها فإذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على أتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار لظاهرها .

٦ ـ تمثيلها السادس ، بالحلم : قال بعضهم : ما شبّهت نفسي والدنيا إلّا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحبّ ، فبينما هو كذلك إذ انتبه وكذلك سائر الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، فإذا ليس بأيديهم شيء مما ركنوا إليه وفرحوا به .

قيل لحكيم : أيّ شيء أشبه بالدنيا ؟

قال : أحلام النائم .

قال الشاعر :

ما هي إلّا مثل حلم النائم	لاخير فيما لم يكن بدائم
إن منحتك لذّة بالأمس	غداً رمتك بشهاب النحس
ألهاكم التكاثر المحبوب	وما علمتم أنّ ذاك حوب
غرّتكم هذى الحياة الدنيا	وغرّكم رونقها المهيبا

٧ ـ تمثيلها السابع ، مثّلوا الدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكها بنيها : كالمرأة قال بعضهم : اعلم أنّ الدنيا طبعها التلطّف بالاستدراج أوّلاً والتوصل إلى الإهلاك آخراً كالمرأة تزين للخطّاب حتى إذا أنكحتهم ذبحتهم .

٨ ـ تمثيلها الثامن ، بالماشي : مثّلها بذلك رسول الله ﷺ فقال : إنّما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء ، هل يستطيع الذي يمشي في الماء أن لا تبتل

قدماه . وهذا المثال من جهة تعذر الخلاص عن تبعاتها بعد الخوض فيها .

٩ ـ تمثيلها التاسع ، بالثوب : من جهة قلّة الباقي منها بالاضافة إلى الماضي قال رسول الله ﷺ : مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي متعلّقاً بخيط في آخره ، فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع .

١٠ ـ تمثيلها العاشر ، بشارب البحر : وذلك من جهة أدائها إلى إهلاك طالبها .

قال عيسى عليه السلام : مثل طالب الدنيا مثل شارب البحر كلّما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى تقتله .

١١ ـ تمثيلها الحادي عشر ، بالاصبع : وذلك من جهة نسبتها إلى الآخرة قال فيها النبي ﷺ : ما الدنيا في الآخرة إلّا كمثل ما يجعل أحدكم اصبعه في اليمّ فلينظر بم يرجع إليه من الأصل .

١٢ ـ تمثيلها الثاني عشر ، بالبحر العميق : قال العلماء في كتب الحديث : انه قد جاء عن مولانا كاظم آل محمد عليهم السلام : انّ لقمان قال لابنه : يا بنيّ ، إنّ الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله ، وحشوها الايمان ، وشراعها التوكّل ، وقيمتها العقل ، ودليلها العلم ، وسكّانها الصبر .

١٣ ـ تمثيلها الثالث عشر ، قال العلماء : إنّ الحريص على الدنيا مثل دودة القزّ : وذلك فيما جاء عن باقر آل محمد عليهم السلام في الحديث قال عليه السلام : مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القزّ ، كلمّا ازدادت على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً .

قال مولانا المقدس السيّد شبر رضوان الله تعالى عليه : إنّ من أحسن ما يمثل به حال الانسان في هذه الدنيا بحال رجل يمشي في صحراء وسيعة ، فإذا بأسد عظيم ذي خلق جسيم مقبل عليه ليفترسه ، فبقي هذا الضعيف المهان متحيّراً مدهوشاً لا يدري ما الحيلة ، وليس له سلاح يدفعه به ، ولا ملجأ يتحصّن فيه ،

فنظر إلى بئر هناك فولج فيها خائفاً يترقّب ، فمنذ وصل إلى وسطها رأى حشيشاً نابتاً في وسطها على الحائط ، فتثبت به وهو يعلم أنّه لا يفيده ولكن الغريق يتشبّث بالحشيش ، فنظر إلى فوقه فرأى الأسد منتظراً لخروجه حتى يفترسه ، فنظر إلى قعر البئر ، فرأى أفاعي أربعة فاتحة فاها لالتقامه بعد السقوط ، فبينما هو في هذه الأهوال الجسيمة والأحوال العظيمة لا يمكنه الصعود من الأسد ، والهبوط من الأفاعي ، والحشيش لا يحتمله إذ قد خرج من الحائط جردان أسود وأبيض وشرعا يقترضان ذلك الحشيش آناً فآناً ، فبينما هو في هذه الأحوال إذ رأى قليلاً من العسل ممزوجاً ببعض التراب القذر قد اجتمع عليه الزنابير والذباب ، فشرع في مخاصمتهم والأكل معهم وقد صرف جميع باله وخاطره إلى ذلك العسل ، ونسي ما هو فيه من البلاء ، فهذا مثل الانسان في انهماكه بلذات الدنيا ، فالأسد هو الموت الذي لا محيص منه ولا مفرّ عنه ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروجٍ مشيّدة ﴾[1] والأفاعي الأربعة هي الأخلاط الأربع أيّها غلب قتل الانسان ، والبئر هو الدنيا ، والحبل هو القمر ، والجرذان الليل والنهار يقرضان العمر ، والعسل المخلوط بقذر التراب لذّات الدنيا الممزوجة بالكدورات ، والزنابير والذباب هم أبناء الدنيا المتزاحمون عليها .

١٤ ـ **تمثيلها الرابع عشر ، بالمفازة الغبراء** : وذلك لما جاء في الخبر أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : إنّما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر ممّا بقي ، أنفذوا الزاد وخسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فأيقنوا بالهلكة ، فبينا هم كذلك إذ خرج عليهم رجل في حلّة يعطر رأسه ماء فقالوا : هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا إلّا من قريب ، فلمّا انتهى إليهم قال : يا هؤلاء.

قالوا : يا هذا .

---

(١) سورة النساء : ٧٨.

قال : على ما أنتم ؟ فقالوا : على ما ترى .

قال : أرأيتكم إن هديتكم إلى ماء رواء ورياض خضراء ما تعملون ؟

قالوا : لا نعصيك شيئاً .

قال : أعطوني عهودكم ومواثيقكم بالله ، فأعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئاً .

قال : فأوردهم رواء ورياضاً خضراً فمكث فيهم ما شاء الله ، ثم قال : الرحيل .

قالوا : إلى أين ؟

قال : إلى ماء ليس كمائكم ، وإلى رياض ليس كرياضكم .

فقال أكثرهم : والله ما وجدنا هذا حتى ظننّا أنّا لا نجده وما نصبح بعيش خير من هذا .

قال : وقالت طائفة وهي أقلهم : ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله أن لا تعصوه شيئاً وقد صدقكم في أوّل حديثه والله ليصدقنّكم في آخره ، فراح فيمن اتّبعه ، وتخلّف بقيتهم فبدر بهم عدو ، فأصبحوا بين قتيل وأسير .

١٥ ـ التمثيل الخامس عشر ، بالماء : مثّلها بذلك الجليل جلّ وعلا في كتابه العزيز بقوله تعالى ﴿ إنّما مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ممّا يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زُخرفها وآزّيّنت وظنّ أهلها أنّهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نُفصّل الآياتِ لقومٍ يتفكّرون ﴾[1] .

يقال : إنّه دخل بعض الواعظين يوماً على هارون الرشيد لعنه الله تعالى ، فطلب هارون منه أن يعظه ، فقال له ذلك الواعظ : إذا عطشت إلى درجة الهلاك ولم تحصل على ماء أبداً ، فكم تدفع من المال مقابل شربة ماء ؟

---

(١) سورة يونس : ٢٤ .

فقال هارون لعنه الله : أدفع نصف ملكي .

فقال الواعظ : إذا انسدّت مجاري بولك وانحبس البول في جسمك ، فكم تدفع من المال مقابل فتح مجاري بولك ؟

فقال هارون : أدفع النصف الثاني من ملكي .

فقال الواعظ : فأي ملك هذا الذي قيمته شربة ماء يشربها الانسان ، أو قطرة بول تخرج من مسلك بوله . هذه الدنيا .

١٦ ـ التمثيل السادس عشر ، مثل الدار : جاء في الخبر أن جبرئيل عليه السلام قال لنوح عليه السلام : يا أطول الأنبياء عمراً ، كيف وجدت الدنيا ؟

قال : مثل الدار ، لها بابان ، دخلت من أحدهما ، وخرجت من الآخر .

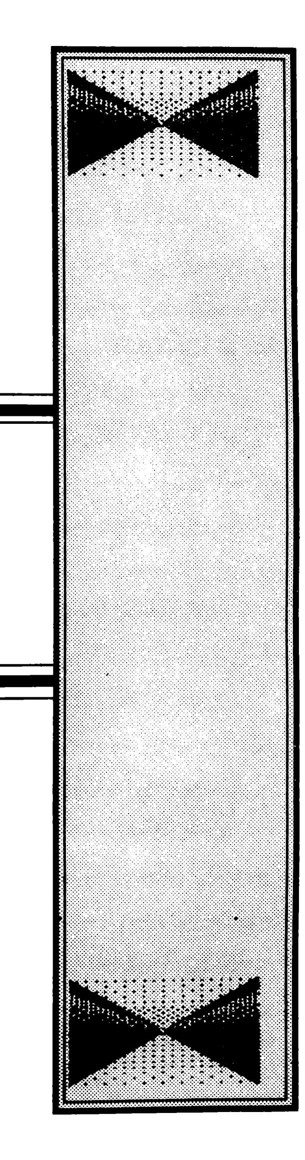
١٧ ـ تمثيلها بدار اللعب ، ودار الغرور : مثّلها بذلك الجليل جلّ وعلا فأشار إلى المثل الأول بقوله تعالى : ﴿ وما الحياة الدنيا إلّا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للّذين يتّقون أفلا تعقلون ﴾[1] ، وأشار إلى التمثيل الثاني بقوله تعالى : ﴿ وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور ﴾[2] .

ولا شكّ انّ الأمثلة القرآنية لدينا هي أجود الأمثلة المذكورة وأحسنها لأنّها قول الله تعالى .

---

(١) سورة الانعام : ٣٢ .

(٢) سورة آل عمران : ١٨٥ ، سورة الحديد : ٢٠ .



ذمّهـــــــا

لقد تحدّثنا لقارئنا العزيز فيما تقدّم عن بعض الأمثلة المتعلّقة بالدنيا نقلناها من مختلف كتب الحديث والتفاسير وغيرها ممّا ذكره أربابها عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام وعن جدهم الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، وكذلك ما جاء من الأمثلة القرآنية الشريفة المتعلّقة بذلك.

وهنا نتحدّث لقارئنا العزيز عن ذمّ الدنيا، ونورد له جمّاً من الآيات القرآنية والأخبار المعصومية الشريفة، وكذلك أقوال الأنبياء والعارفين والحكماء بالاضافة إلى الحكايات الارشادية والمقطوعات الشعرية المتعلّقة بذمّ الدنيا الفانية نورد كلّ ذلك بحسب التسلسل المرقّم فيما يلي:

أوّلاً: الكتاب العزيز: جاء فيه من الآيات القرآنية المشعرة بذمّ الدنيا ما يلي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ **أولئك الّذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينصرون** ﴾[١] إشارة إلى اليهود الذين قد حليت الدنيا الفانية المذمومة في أعينهم فاشتروها بالآخرة.

ومعلوم وجه الاستدلال بهذه الآية المباركة في ذمّ الدنيا وذلك من جهة ذمّ اليهود على جعلهم الآخرة الفاخرة ثمناً إلى الدنيا الفانية حيث استحقّوا من الله تعالى العذاب وعدم النصرة على تفريطهم بالآخرة وما أعدّه الله تعالى لعباده المؤمنين من النعم في مقابل شيء فاني.

---

(١) سورة البقرة: ٨٦.

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ زُيّن للّذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتّقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حسابٍ ﴾[١] بسبب الافتتان بزينة الحياة الدنيا الزائلة وإيثارها على الحياة الآخرة الباقية من جهة كون الدنيا في نظر الكفّار والعصاة نقد والآخرة نسيئة والنقد خير من النسيئة، ولـذات الدنيا يقين والآخرة شك واليقين خير من الشكّ، وهذا هو عين الجهل لأنّ الدنيا المذمومة لو كانت ذهباً فانياً والآخرة خزفاً باقياً لكان الخزف الباقي خيراً من الذهب الفاني ، فكيف والدنيا خزف فانٍ والآخرة ذهب باقٍ ، كما قال تعالى : ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ ﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿ والآخرة خير وأبقى ﴾[٣] .

هذا من جهة ومن جهة ثانية ان كون النقد خيراً من النسيئة مطلقاً ممنوع ، فإنّ النسيئة العظيمة الكثيرة خير من النقد القليل الحقير ، وفعل هؤلاء الكـفّار والعصاة حجّة عليهم فان أحدهم يعطي خمسة دراهم نقداً ليأخذ عشرة نسيئة ، ويترك لذائذ الأطعمة بتحذير الطبيب نقداً خوفاً من ألم المرض النسيئة ، ويتحمّل المشاق والأسفار وقطع البحار نقداً لتوهّم النفع نسيئة ، وكذا التـاجر في سـعيه وتصديقه على يقين وفي ربحه على شكّ ، وكذا المتفقّه في اجتهاده على شكّ وفي تعبه على يقين ، والمريض من مرارة الدواء على يقين ، ومن الشفاء على شكّ ، فكون اليقين خيراً من الشكّ مطلقاً ممنوع ، بل إذا كان مثله فالذي له شكّ في الآخـرة يجب عليه بحكم الحزم أن يقول : الصبر أيّاماً قلائل في هذا العمر القصير قـليل بالاضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة ، فإن كان ما يقال في الآخرة كذباً فما فاتني إلاّ نعم حقيرة فانية ، وإن كان صدقاً خلدت في النار أبد الآبدين ، وهذا لا يطاق . هذا كلّه مع قطع النظر عن كون الآخرة يقين يحكم بها العقل السليم والفهم

---

(١) سورة البقرة : ٢١٢ .
(٢) سورة النحل : ٩٦ .
(٣) سورة الأعلى : ١٧ .

المستقيم ، وأخبر بها الأنبياء والمرسلون والأولياء والصالحون . وبهذا يظهر لك وجه الاستدلال بالآية على ما نحن بصدده من ذمّ الدنيا ومقتها وكونها لا تعادل عند الله جناح بعوضة. ويظهر لك وجه الاستدلال ثانياً على ما نحن بصدده من الفقرة الأخيرة في الآية أيضاً وهو قوله تعالى : ﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾[1] . إشارة منه تعالى إلى أن كلّ ما زويته عن أوليائي وبررت به أعدائي من نعيم هذه الدنيا الفانية فإنّه ليس بشيء عندي ، وإنّي سوف أُعوّض أوليائي بدله في تلك الدار أضعافاً مضاعفة بحيث أجعلهم يتقلّبون في تلك النعم الدائمة الباقية .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ مثلُ ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريحٍ فيها صرٌّ أصابت حرث قومٍ ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكنْ أنفسهم يظلمون ﴾[2] .

قال العلماء : إنّ ذلك في المفاخر والمكارم وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس أو ما يتقرّبون به إلى الله في حالة كونهم كفّار ، كل هذا يكون من الدنيا المذمومة وقوله تعالى : ﴿ كمثل ريح فيها صرٌّ ﴾ أي برد شديد . ولم يكن المراد هو تفسير الآية وإنّما المراد هو الاستدلال بها على ذمّ الدنيا ، وغير خفي على العارف ان الآيات القرآنية تفسّر بعضها البعض ، وبعضها يفسّرها الحديث ، ومن هنا جاء في الحديث عن الرسول ﷺ : دعوا الدنيا لأهلها ، فمن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ جيفة وهو لا يشعر ، إشارة إلى أنّ فوق ما يكفيك من المال يكون من الدنيا المذمومة فينطبق عليه قوله تعالى : ﴿ مثلُ ما ينفقون ﴾ ومن هنا جاء في الخبر أنّ رسول الله ﷺ قال : سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطائب الدنيا وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون ألين الثياب وألوانها ويركبون فره

---

(١) سورة البقرة : ٢١٢ ، سورة النور : ٣٨ .
(٢) سورة آل عمران : ١١٧ .

الخيل وألوانها ، لهم بطون من القليل لا تشبع ، وأنفس بالكثير لا تقنع ، عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون إليها اتّخذوها آلهة من دون إلههم ، وربّاً دون أمر ربّهم ، إلى أمرهم ينتهون ، وهواهم يتبعون ، فعزيمة من محمد بن عبد الله لازمة لمن أدركه ذلك الزمان عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لايُسلّم عليهم ، ولا يعود مرضاهم ، ولا يتبع جنائزهم ، ولا يوقّر كبيرهم ، ومن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام .

٤ ـ قوله تعالى : ﴿ فأمّا من طغى وآثر الحياة الدنيا ﴾[١] قال العلماء : إنّ المعنى آثر نعيم الحياة الدنيا على نعيم الآخرة ، والحياة حياتان : حياة الدنيا هي المنقطعة الفانية ، وحياة الآخرة وهي الدائمة الباقية ، فمن آثر الباقي الدائم على الفاني المنقطع كان حسن الاختيار ومن آثر الفاني على الباقي كان سيّء الاختيار ، ومن آثر الأدنى على الأعلى فهو منقوص ، كما أن من آثر القبيح على الحسن كان منقوصاً . وبهذا يتبيّن لك وجه الاستدلال بالآية الكريمة على ذمّ الدنيا من جهة كونها دانية سافلة ، والآخرة باقية عالية دائمة .

٥ ـ قوله تعالى :﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ﴾[٢] وجه الاستدلال بهذه الآية على ما نحن بصدده يظهر لك من الأمر المولوي بمقاتلة أعداء الله الكفّار والمنافقين والفاسقين الذين حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجُها فاتّخذوها دار قرار مع علمهم بفنائها وانّها راجعة إلى الزوال ، فأمر الله تعالى بمقاتلتهم دليل واضح عى ذمّ الدنيا .

٦ ـ قوله تعالى : ﴿ يا أيّها الذين آمنوا إذا ضربتُم في سبيل الله فتبيّنوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانمُ كثيرةٌ كذلك كنتم من قبلُ فمنّ الله عليكم فتبيّنوا إنّ الله كان بما تعملون

---

(١) سورة النازعات : ٣٧ و ٣٨ .

(٢) سورة النساء : ٧٤ .

خبيراً﴾(١).

ليس المراد من عرض هذه الآية هو بيان ما ذكره المفسّرون في تفسيرها وإنّما المراد هو بيان قوله تعالى: ﴿ تبتغون عرض الحياة الدنيا ﴾. ومعلوم وجه الاستدلال بالآية وذلك من جهة رفض الكفّار والمنافقون المغانم التي أعدّها الله تعالى لعباده الصالحين في تلك الدار الآخرة الدائمة الباقية، فرفضهم إيّاها في مقابل متاع الدنيا الفانية مع توبيخ الله تعالى لهم وتذكيرهم بأنّ عرض الدنيا لا يقاس بالمغانم الكثيرة التي أعدّها الله لعباده المؤمنين لهو أكبر دليل على ذمّ الدنيا.

كما يستفاد أيضاً ان منشأ طلب وابتغى عرض الدنيا ورفض المغانم هو عدم تأمّل من الكفّار فيما هو الأحقّ بالقبول منهما فلو فكّروا وتأمّلوا لما آثروا الحياة الدنيا على الآخرة بل هو في الحقيقة عين الجهل وإلّا كيف يسوغ للعاقل العالم رفض تلك الدار التي مغانمها دائمة في جنّة لا موت فيها ولا هرم ولا غمّ ولا سقم ولا دثور ولا زوال وهي دار المقامة والكرامة لا يمس أهلها نصيب ولا لغوب، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين وفيها الخلود، وأهلها جيران الله وأولياؤه وأحبّاؤه، وأهل كرامته، وانّهم على مراتب جلية متفاضلة، منهم المتنعّمون بالتسبيح والتكبير، ومنهم المتنعّمون باللذّات المحسوسة كأنواع المآكل والمشارب والفواكة والأرائك والحور العين واستخدام الولدان والجلوس على النمارق والزرابي ولبس السندس والحرير والاستبرق، وكلّ منهم يتلذّذ بما يشتهي ويريد على حسب ما تعلّقت به همته كيف يترك الانسان العاقل كلّما ذكرناه وما لم نذكره من نعم الله تعالى الغير متناهية في تلك الدار ويبتغي عرض هذه الدنيا الفانية المذمومة.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿ تُريدون عرض الدنيا والله يُريد الآخِرة والله عزيز

---

(١) سورة النساء: ٩٤.

حكيم ﴾[١] وجه الاستدلال بهذه الآية المباركة على ما نحن بصدده يتبيّن من انّ المؤمن بالله تعالى لا يصحّ له أن يختار لنفسه إرادة في ابتغاء شيء من عرض الدنيا دون إرادة الله تعالى في ذلك وإنّما ينبغي أن تكون إرادة الانسان موافقة إلى إرادة الله تعالى ، وبما أنّ الله تعالى أراد الآخرة بقوله ﴿ والله يريد الآخرة ﴾ وجعلها لعباده الصالحين ، ورفض الدنيا وبغضها وجعلها سجناً لهم فلا يصحّ أن يورد لأنفسهم خلاف ما أراده الله لهم .

هذا بالاضافة إلى أنّ الله تعالى هو العالم الحكيم بحقيقة ما فيه صلاح عبده المؤمن، فلو كان صلاحه بهذا العرض في الدنيا لحبّبها إليه بل وأمره في ابتغائها ولكن على العكس من ذلك ولهذا جاءت الآية لتقول ﴿ والله عزيز حكيم ﴾ معناه إنّا إنّما بغضنا لكم الدنيا وعرضها وأردنا لكم الآخرة لحكمة تجهلونها .

٨ ـ قوله تعالى : ﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يُريد الله ليعذّبهم بها في الحياة وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾[٢] وفي هذه الآية المباركة إشارة إلى أنّ من جملة زهرة الحياة الدنيا والأشياء المهمّة فيها هو المال والأولاد ولكنّها أيضاً قد يجعلها الله تعذيباً لعبده المؤمن كما جعلها تعذيباً إلى الكفّار كما في الآية ﴿ إنّما يريد الله أن يعذّبهم بها ﴾[٣] فقد يكون المال والولد والزوجة الذين هم من زهرة حياة الدنيا سبباً لشقاوة الإنسان فيخرج بواسطتهم من دائرة الايمان إلى مخالفة أمر الله تعالى فلا ينبغي الحزن عليها فيما إذا عدمت ولم توجد. فيكون وجه الاستدلال بهذه الآية على ذمّ الدنيا ما حاصله : انّه إذا كانت الأموال والأولاد يعطيها الله تعالى إلى الكفّار من أجل تعذيبهم ، فلا ينبغي الحزن إذا لم يعطيها الله لنا إذا ربّما يكون في عدمها صلاح في حين كما يكون وجودها أيضاً صلاح في حين آخر والله هو العالم بحقيقة الأمر ، فلا يصحّ الحزن على ذلك قال بعضهم :

---

(١) سورة الانفال : ٦٧ .
(٢) سورة التوبة : ٥٥ .
(٣) سورة التوبة : ٨٥.

هـون الدنـيا ومـا فـيها عـليك   واجـعل الحـزن لمـا بـين يـديك

٩ ـ قوله تعالى : ﴿ إنّ الذين لا يرجون لقاءَنا وَرَضُوا بالحياة الدنيا واطمأنّوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أُولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾[١] في هذه الآية المباركة إشارة إلى ما نحن بصدده بما حاصله : وهو انّ الرضا والقبول بالدنيا المذمومة والاطمئنان بها وعدم قبول لقاء الله تعالى منهيّاً عنه في الشرع ولا يخفى أنّ القبول والرضاء بما هو منهيّ عنه في الشرع حرام ومذموم فينتج من ذلك انّ قبول الدنيا والرضا بها مذموم أيضاً .

وهناك الكثير من الآيات القرآنية المشتملة على ذمّ الدنيا ومقتها والتحذير من الركون اليها قد تركناها خوف الاطالة واكتفينا بالآيات المذكورة .

ثانياً : السنّة المطهّرة : ولقد جاء من طرفها الكثير من الأخبار المرويّة عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وعن آله الكرام وكذلك عن غيرهم من الأنبياء مشعرة بذمّ الدنيا والابتعاد عنها إلّا ما كان منها إلى الله تعالى وسوف نتلوا عليك جمّاً منها نذكره بحسب التسلسل فيما يلي :

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : حبّ الدنيا رأس كل خطيئة .

٢ ـ عنه أيضاً صلى الله عليه وآله قال : الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر .

٣ ـ وعنه صلى الله عليه وآله انّه قال : الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلّا ما كان منها إلى الله .

٤ ـ وعنه صلى الله عليه وآله انّه قال : لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء .

٥ ـ عنه صلى الله عليه وآله انّه قال : من أحبّ دنياه أضرّ بآخرته ، ومن أحبّ آخرته أضرّ بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى .

---

(١) سوره يونس : ٧ و ٨.

٦ ـ وعنه ﷺ انّه قال : يا عجباً كلّ العجب للمصدّق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور .

٧ ـ وجاء في الخبر أنّ رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجرّاح فجاءه بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدومه فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلمّا صلّى ﷺ انصرفوا فتعرّضوا له فتبسّم ﷺ ثم قال ﷺ : أضنّكم إنّكم سمعتم أنّ أبا عبيدة قدم بشيء قالوا : أجل يا رسول الله قال ﷺ : فابشروا وأملوا ما يسرّكم فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكنّي أخشى أن تبسط لكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ويهلككم كما أهلكتهم .

٨ ـ وعن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ : إنّي أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض ، فقيل : وما بركات ؟ قال : زهرة الدنيا .

٩ ـ وجاء عن رسول الله ﷺ أنّه قال : إنّ الدنيا حلوة خضرة ، وإنّ الله مستخلفكم فيها فناظروا كيف تعملون ان بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت بأهواء في الحلية والنساء والثياب والطيب .

قال عيسى عليه السلام : لا تتّخذوا الدنيا ربّاً فتتّخذكم عبيداً ، اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فإنّ صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة ، وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة .

١٠ ـ وعن رسول الله ﷺ أنّه قال : إنّ الله جلّ ثناؤه لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا .

١١ ـ وعنه ﷺ أنّه قال : الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، وعليها يعادي من لا علم له ، وعليها يحسد من لا ثقة له ، ولها يسعى من لا يقين له .

١٢ ـ وجاء عنه ﷺ أنّه قال : ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم : مالي مالي ،

وهل لك من مالك إلّا ما تصدّقت فأبقيت ، أو أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت .

١٣ ـ وعنه ﷺ أنّه قال : من أصبح والدنيا أكبر همّه فليس من الله تعالى في وألزم قلبه أربع خصال : همّاً لا ينقطع عنه أبداً ، وشغلاً لا ينفرج منه أبداً ، وفقراً لا يبلغ غناه أبداً ، وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً .

١٤ ـ وعنه ﷺ أنّه قال : إنّ الدنيا ضربت مثلاً لابن آدم فانظر ما يخرج من ابن آدم ، وان مزجه وملحه إلى ما يصير .

١٥ ـ وجاء عنه ﷺ أنّه قال : ليجيئنّ يوم القيامة أقوام وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار ، قالوا يا رسول الله صلّى الله عليك مصلّين كانوا؟ قال : نعم كانوا يصومون ويصلّون ويأخذون وهناً من الليل فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه .

١٦ ـ وجاء عنه في بعض خطبه أنّه قال ﷺ : المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقي ما يدري ما الله قاض فيه ، فليتزوّد العبد من دنياه لآخرته ، ومن حياته لموته ، ومن شبابه لهرمه ، فإنّ الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة ، والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلّا الجنّة أو النار .

١٧ ـ وعنه ﷺ أنّه قال : دعوا الدنيا لأهلها فمن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ جيفة وهو لا يشعر .

١٨ ـ وعنه ﷺ أنّه قال : لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا ، فنهى عن ذكرها فضلاً عن إصابة عينها .

١٩ ـ وجاء عنه ﷺ أنّه قال : ليأتينّكم بعدي دنيا تأكل أموالكم كما تأكل النار الحطب .

٢٠ ـ وعن مولانا أمير المؤمنين وإمام المتّقين علي عليه السلام أنّه قال : من جمع ستّ خصال ما يدع للجنّة مطلباً ، ولا عن النار مهرباً ، من عرف الله فأطاعها ،

وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحقّ فاتّبعه ، وعرف الباطل فاتّقاه ، وعـرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها .

٢١ ـ وقال مولانا الإمام السبط الأول كريم أهل البيت عليهم السلام : رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعة فأدّوها إلى من ائتمنهم ، ثم راحوا عنها خفافاً .

٢٢ ـ وعن مولانا الامام السبط الأول كريم أهل البيت عليهم السلام أيضاً أنّه قال: مـن نافسك في دينك فنافسه ، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره .

٢٣ ـ وقال مولانا الامام السبط الأول كريم أهل البيت أنّه قال : والله لقد أدركت أقواماً كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي يمسون عليه ما يبالون أشرقت أم غربت إلى ذا ، أم ذهبت إلى ذا .

٢٤ ـ وسأله عليه السلام رجل فقال له : ما تقول في رجل آتـاه الله مـالاً فـهو يتصدّق منه ، ويصل منه ، ويحسن فيه ؟

٢٥ ـ وجاء أيضاً عن مولانا الإمام السبط الأول كريم أهل البيت عليهم السلام أنّه قال : قد رأيتهم يطلبونها ويطيبونها بالأفافية والطيب ، ثم يرمون بها حيث رأيتم وقد قال الله تعالى : ﴿ **فلينظر الانسان إلى طعامه** ﴾[1] قال ابن عبّاس : إلى رجيعه .

٢٦ ـ وجاء أيضاً عن مولانا الامام السبط الأول كريم أهل البيت عليهم السلام أنّه قال عليه السلام وذلك بعد أن تلا قوله تعالى : ﴿ **فلا تغرّنّكم الحياة الدنيا** ﴾[2] من قال ذا من خلقها من هو أعلم بها منكم ، إيّاكم وما شغل من الدنيا فإنّ الدنـيا كثيرة الاشتغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلّا أوشك ذلك الباب أن يفتح عشرة أبواب ، مسكين ابن آدم ، مسكين يستقلّ ماله ولا يستقلّ عمله ، يفرح بمصيبته في دينه ويجزع بمصيبته في دنياه .

---

(١) سورة عبس: ٢٤ .
(٢) سورة لقمان : ٣٣ ، سورة فاطر : ٥ .

٢٧ ـ وجاء في الحديث القدسي أنّ الله تعالى قال : يا بن آدم لو كانت الدنيا كلّها لك لم يكن لك منها إلّا القوت ، فإذا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن .

٢٨ ـ وجاء عن مولانا الامام السبط الثاني شهيد الاسلام المقتول في أرض كربلاء أنّه قال عليه التحيّة والصلاة والسلام في مسيره إلى كربلاء : إنّ هذه الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت ، وأدبر معروفها ، فلم يبق منها إلّا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون أنّ الحقّ لا يعمل به ، وأنّ الباطل لا ينتهى عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً ، فإنّي لا أرى الموت إلّا الحياة ، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً ، إنّ الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه مادرّت معائشهم فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديّانون .

٢٩ ـ وجاء عن مولانا الامام علي بن الحسين عليهما السلام أنّه قال : فاحذروا زهرة الحياة الدنيا وغرورها وشرورها ، وتذكّروا ضرر عاقبة الميل إليها ، فإنّ زينتها فتنة ، وحبّها خطيئة .

٣٠ ـ وجاء أيضاً عنه روحي له الفداء فيما نقله عنه أبو حمزة رضوان الله تعالى عليه قال : قرأت صحيفة فيها كلام زهد من كلام سيّد الساجدين وزين العابدين عليه السلام وذمّ الدنيا ، وإنشاء سوف نورده عندما نتحدّث لقارئنا عن الزهادة في الدنيا .

٣١ ـ وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها بنفسه وباشرها بجسده وتفرّغ لها ، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسرٍ أو يسرٍ .

٣٢ ـ وعن مولانا الامام الباقر عليه السلام أنّه قال لجابر الجعفي : يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكون ، هل هي إلّا مركب ركبته ، أو ثوب لبسته ، أو امرأة أحببتها ، يا جابر ، إنّ المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاء فيها ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم

ففازوا بثواب الأبرار ، إنّ أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة ، وأكثرهم لك معونة ، إن نسيت ذكّروك ، وإن ذكرت أعانوك ، قوّالين بحقّ الله ، قوّامين بأمر الله .

يا جابر ، انزل الدنيا كمنزل نزلت فيه وارتحلت عنه ، أو كمال أحببته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء ، إنّما هي مع أهل اللب والعالمين بالله تعالى كفيء الظلال فاحفظ ما استرعاك الله من دينه وحكمته .

٣٣ ـ وعن مولانا الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أنّه قال : إن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يغنيك .

٣٤ ـ وعن علي بن شعيب أنّه قال : دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال لي : يا علي ، من أحسن الناس معاشاً ؟

فقلت : يا سيّدي أنت أعلم به منّي .

قال عليه السلام : يا علي أحسن الناس معاشاً من حسن معاش غيره في معاشه .

يا علي وأسوأ الناس معاشاً ، من لم يعش غيره في معاشه .

يا علي أحسنوا جوار النعم فإنّها وحشية ما نأت عن قوم فعادت إليهم .

يا علي ، إنّ شرّ الناس من منع رفده ، وأكل وحده ، وجلد عبده ، احسن الظنّ بالله فإنّ من حسن ظنّه بالله كان الله عند ظنّه ، ومن رضي بالقليل من الرزق قبل منه اليسير من العمل ، ومن رضي باليسير من الحلال خفّت مؤونته ونعم أهله ، وبصره الله داء الدنيا ودواءها ، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام .

٣٥ ـ وعن مولانا الامام محمد بن علي الجواد صلوات الله عليه أنّه قال : أوحى الله إلى بعض الأنبياء : أمّا زهدك في الدنيا فتعجلك الراحة ، وأمّا انقطاعك إليّ فيعزّزك بي ولكن هل عاديت لي عدوّاً أو واليت لي وليّاً .

٣٦ ـ وعنه أيضاً أنّه كتب إلى بعض أوليائه : أمّا هذه الدنيا فإنّا فيها مغترفون ولكن من كان هواه هوى صاحبه ودان بدينه فهو معه حيث كان ، والآخرة هي دار القرار .

٣٧ ـ وعن مولانا الامام أبي الحسن الثالث صلوات الله عليه أنّه قال : إنّ الله جعل الدنيا دار بلوى ، والآخرة دار عقبى ، وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً ، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً .

٣٨ ـ وعنه أيضاً عليه السلام أنّه قال : الدنيا سوق ربح فيها بعض ، وخسر فيها آخرون .

٣٩ ـ وعن مولانا الامام الصادق عليه السلام أنّه قال : الرغبة في الدنيا تورث الغمّ والحزن والزهد في الدنيا راحة القلب والبدن .

٤٠ ـ وعن مولانا الامام الصادق عليه السلام أنّه قال : إنّ الله تعالى يعطي الدنيا من يحبّ ويبغض ولا يعطي الايمان إلّا أهل صفوته .

٤١ ـ وعنه عليه السلام أنّه قال : إذا أقبلت الدنيا على المرء أعطته محاسن غيره ، وإذا أعرضت عنه سلبته محاسن نفسه .

٤٢ ـ وعن مولانا الامام الصادق عليه السلام في وصيّته لهشام أنّه قال : يا هشام اصبر على طاعة الله ، واصبر عن معاصي الله ، فإنّما الدنيا ساعة ، فما مضى منها فليس تجد له سروراً ولا حزناً ، وما لم يأت منها فليس تعرفه ، فاصبر على تلك الساعة التي أنت فيها فكأنك قد اغتبطت .

٤٣ ـ وعنه عليه السلام أنّه قال : يا هشام ، من أحبّ الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه ، وما أوتي عبداً علماً فازداد للدنيا حبّاً إلاّ ازداد من الله بعداً ، وازداد الله عليه غضباً .

٤٤ ـ وجاء عن مولانا أمير المؤمنين وإمام المتّقين عليه آلاف التحية والصلاة والسلام أنّه قال في ذمّ الدنيا : هيهات من وطىء دحضك زلق ، ومن ركب لججك غرق ، ومن ازور عن حبائلك وفق ، والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه ، والدنيا عنده كيوم حان منه انسلاخه ، اغربي عنّي فو الله لا أذلّ لك فتستذلّني ، ولا أساس لك فتقودني ، وأيم الله يميناً استثنى فيها بمشيئة الله لأروضن

نفسي رياضة تهش معها إلى قرص الشعير إذا قدرت عليه مطعوماً وتقنع بالملح أدماً ولأدعنّ مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها ، أتمتلىء السائمة من ريعها فتبرك وتشبع الربيظة من عشبها فتربض ويأكل عليّ من زاده فيهتجع قرت إذا عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية ، طوبى لنفس أدّت إلى ربّها فرضها ، وعركت بجنبها بؤساً ، وهجرت في الليل غمضها حتى إذا الكرى غلبها افترست أرضها وتوسّدت كفّها في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم ، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم ، وهمهمت بذكر ربّهم شفاههم ، وتقشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم .

٤٥ ـ وقال أيضاً أمير المؤمنين وإمام المتّقين علي عليه السلام : أمّا بعد ، فإنّ الدنيا مشغلة من غير ولم يصب صاحبها منها شيئاً إلّا فتحت له حرصاً عليها ولهجاً بها ، ولم يستغن صاحبها بما نال فيها ولم يبلغه منها ، ومن وراء ذلك فراق ما جمع ، ونقض ما أبرم ، ولو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي .

٤٦ ـ وجاء عن صادق آل محمد عليه السلام أنّه قال : حدثني أبي محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام قال : لمّا تجهّز الامام الحسين عليه السلام إلى الكوفة أتاه ابن عبّاس فناشده الله والرحم أن يكون هو المقتول بالطفّ ، فقال : أنا أعرف بمصرعي منك وما وكدي من الدنيا إلّا فراقها ، ألا أُخبرك يا ابن عبّاس بحديث أمير المؤمنين عليه السلام والدنيا ؟

فقال له : بلى لعمري إنّي لأُحبّ أن تحدّثني بأمرها .

فقال : قال أبي : قال عليّ بن الحسين عليهما السلام سمعت أبا عبد الله الحسين عليه السلام يقول : حدّثني أمير المؤمنين عليه السلام قال : إنّي كنت بفدك في بعض حيطانها ، وقد صارت لفاطمة عليها السلام قال : فإذا بامرأة قد هجمت عليّ وفي يدي مسحاة وأنا أعمل بها ، فلمّا نظرت إليها طار قلبي ممّا تداخلني من جمالها فشبّهتها ببثينة بنت عامر الجمحي وكانت من أجمل نساء قريش فقالت : يا ابن أبي طالب ، هل لك أن

تتزوّج بي فأغنيك عن هذه المسحاة ، وأُدلّك على خزائن الأرض ، فيكون لك الملك ما بقيت ولعقبك من بعد ؟

فقال لها : من أنت حتّى أخطبك من أهلك ؟

فقالت : أنا الدنيا .

قال لها : فارجعي واطلبي زوجاً غيري ، فلست من شأني ، وأقبلت على مسحاتي وأنشأت أقول :

لقد خاب من غرّته دنيا دنية	وما هي إن غرَّت قروناً بنائل
أتتنا على زيّ العزيز بثينة	وزينتها في مثل تلك الشمائل
فقلت لها : غرّي سواي فإنّني	عزوف عن الدنيا فلست بجاهل
وما أنا والدنيا فإنّ محمداً	أحلّ صريعاً بين تلك الجنادل
وهبها أُتتنا بالكنوز ودرّها	وأموال قارون وملك القبائل
أليس جميعاً للفناء مصيرنا	ونطلب من خزّانها بالطوال
فغرّي سواي إنّني غير راغب	بما فيك من ملك وعزّ ونائل
فقد قنعت نفسي بما قد رزقته	فشأنك يا دنيا وأهل الغوائل
فإنّي أخاف الله يوم لقائه	وأخشى عذاباً دائماً غير زائل

فخرج من الدنيا صلوات الله وسلامه عليه وليس في عنقه تبعة لأحد حتّى لقي الله محموداً غير ملوم ولا مذموم ثم اقتدى به الأئمّة من بعده بما قد بلغكم لم يتلطّخوا بشيء من بوائقها صلوات الله عليهم أجمعين .

٤٧ ـ وقال مولانا الامام الصادق عليه‌السلام من جملة وصاياه لأصحابه : يا ابن جندب إن أحببت أن تجاور الجليل في داره ، وتسكن الفردوس في جواره فلتهن عليك الدنيا ، واجعل الموت نصب عينك ، ولا تدّخر شيئاً لغد ، واعلم أنّ لك ما قدّمت ، وعليك ما أخّرت .

٤٨ ـ وقال عليه‌السلام لهشام : يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوّة العقل ، فمن

عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها ورغب فيما عند الله وكان الله أنيسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة ، وغناه في العيلة ، ومعزّه في غير عشيرة .

٤٩ ـ وقال عليه السلام لهشام في وصيّته : يا هشام ، إنّ العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة ، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا ، فلذلك ربحت تجارتهم .

يا هشام ، ان كان يغنيك ما يكفيك فأدنى ما في الدنيا ، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يغنيك .

يا هشام ، إنّ العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب ، وترك الدنيا من الفضل وترك الذنوب من الفرض .

يا هشام ، إنّ العقلاء زهدوا في الدنيا ، ورغبوا في الآخرة ، لأنّهم علموا أنّ الدنيا طالبة ومطلوبة ، والآخرة طالبة ومطلوبة ، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه ، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته .

ثم قال عليه السلام بعد كلام تركناه للاختصار : يا هشام ، احذر هذه الدنيا واحذر أهلها ، فإنّ الناس فيها على أربعة أصناف : رجل متردّي معانق لهواه ، ومتعلّم مقري كلّما ازداد علماً ازداد كبراً ، يستعلي بقراءته وعلمه على من هو دونه ، وعابد جاهل يستصغر من هو دونه في عبادته ، ويحبّ أن يعظّم ويوقّر ، وذو بصيرة عالم عارف بطريق الحقّ يحبّ القيام به ، فهو عاجز أو مغلوب ولا يقدر على القيام بما يعرفه فهو محزون مغموم بذلك ، فهو أمثل أهل زمانه وأوجههم عقلاً .

٥٠ ـ ومن كلام لمولانا الامام الباقر عليه السلام لجابر : أصبحت والله يا جابر محزوناً مشغول القلب ، فقلت : جعلت فداك ، ما حزنك وشغلك وشغل قلبك على هذه الدنيا ؟

فقال عليه السلام : لا يا جابر ، ولكن حزن همّ الآخرة .

يا جابر ، من دخل قلبه خالص حقيقة الايمان شغل عمّا في الدنيا من زينتها ، إنّ زينة زهرة الدنيا إنّما هو لعب ولهو ، وإنّ الدار الآخرة لهي الحيوان .

يا جابر ، إنّ المؤمن لا ينبغي له أن يركن ويطمئنّ إلى زهرة الحياة الدنيا .

يا جابر ، اعلم أنّ أبناء الدنيا هم أهل غفلة وغرور وجهالة ، وانّ أبناء الآخرة هم المؤمنون العاملون الزاهدون أهل العلم والفقه ، وأهل فكرة واعتبار واختيار ، لا يملّون من ذكر الله .

يا جابر ، اعلم أنّ أهل التقوى هم الأغنياء أغناهم القليل من الدنيا فؤونتهم يسيرة ، إن نسيت الخير ذكروك ، وإن عملت به أعانوك . أخّروا شهواتهم ولذّاتهم خلفهم وقدّموا طاعة ربّهم أمامهم ، ونظروا إلى سبيل الخير وإلى ولاية أحبّاء الله فأحبّوهم ، وتولّوهم واتّبعوهم فأنزل نفسك من الدنيا كمثل منزل نزلته ساعة ثم ارتحلت عنه ، أو كمثل مال استفدته في منامك ففرحت به وسررت ثم انتبهت من رقدتك وليس في يدك شيء ، وإنّي إنّما ضربت لك مثلاً لتعقل وتعمل به وفّقك الله تعالى له ، فاحفظ يا جابر ما استودعتك من دين الله وحكمته وانصح لنفسك ، وانظر ما الله عندك في حياتك ، فكذلك يكون لك العهد عنده في مرجعك ، وانظر فإن تكن الدنيا عندك على غير ما وصفت لك فتحوّل عنها إلى دار المستعتب اليوم فلربّ حريص على أمر من أمور الدنيا قد ناله ، فلمّا ناله كان عليه وبالاً وشقي به ولربّ كاره لأمرٍ من أمور الآخرة قد ناله فسد به .

٥١ ـ وعن مولانا أمير المؤمنين وإمام المتقين عليه السلام أنّه قال : أيّها الناس إيّاكم وحبّ الدنيا فإنّها رأس كلّ خطيئة ، وباب كلّ بلية ، وقران كلّ فتنة ، وداعي كلّ رزية .

٥٢ ـ وعن مولانا الامام الحسن كريم أهل البيت عليهما السلام أنّه قال : اتّقوا الله عباذ الله وجدّوا في الطلب وتجاه الهرب ، وبادروا العمل قبل مقطعات النقمات ، وهادم اللذّات ، فإنّ الدنيا لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن فجيعها ، ولا تتوقى في

مساويها ، غرور حائل ، وسنادٌ مائل فاتّعظوا عباد الله بالعبر ، واعتبروا بالأثر ، وازدجروا بالنعم ، وانتفعوا بالمواعظ ، فكفى بالله معتصماً ونصيراً ، وكفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً ، وكفى بالجنة ثواباً ، وكفى بالنار عقاباً ووبالاً .

٥٣ ـ وجاء في الحديث أنّ الله تعالى قال لموسى عليه السلام : الدنيا نطفة ليست بثواب المؤمن ولا نقمة من فاجر ، فالويل الطويل لمن باع ثواب معاده بلقعة لم تبق ، وبلعبة لم تدم ، وكذلك فكن كما أمرتك فكلّ أمري رشاد .

يا موسى ، الدنيا وأهلها فتن بعضهم لبعض فكلّ مزين له ما هو فيه والمؤمن زيّنت له الآخرة فهو ينظر إليها فما يفتر ، قد حالت شهوتها بينه وبين لذّة العيش فأدلجته بالأسحار كفعل الراكب السابق إلى غايته يظلّ كئيباً ويمسي حزيناً ، فطوبى له لو قد كشف له الغطاء ما ذا يعاين من السرور .

٥٤ ـ وعن علي بن عيسى رفعه قال : إنّ موسى عليه السلام ناجى الله تبارك وتعالى فقال له في مناجاته : يا موسى ، لا تطول في الدنيا أملك فيقسوا قلبك وقاسي القلب مني بعيد ، وأمت قلبك بالخشية وكن خلق الثياب ، جديد القلب ، تخفى على أهل الأرض وتعرف في أهل السماء ، جليس البيوت مصباح الظلم ، واقنت بين يديّ قنوت الصابرين ، وصح إليّ من كثرة الذنوب صياح الهارب من عدوّه ، واستعن بي على ذلك فإنّي نعم العون ونعم المستعان .

٥٥ ـ وفي مناجاة ثانية قال الله تعالى له : يا موسى ، طب نفساً عن الدنيا وانطوي عنها فإنّها ليست لك ولست لها ، مالك ولدار الظالمين إلّا العامل فيها بالخير فإنّها له نعمت الدار .

٥٦ ـ وجاء في وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله الطويلة الجليلة لأبي ذرّ رضوان الله تعالى عليه بل سلام الله عليه ، عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي ، عن أبيه قال: قدمت الربذة فدخلت على أبي ذرّ جندب بن جنادة فحدّثني أبو ذرّ فقال : دخلت ذات يومٍ في صدر نهاره على رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده فلم أرفي المسجد

أحداً من الناس إلّا رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام إلى جانبه جالس فاغتنمت خلوة المسجد فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي أوصني بوصيّة ينفعني الله بها.

فقال: نعم وأكرم بك يا أبا ذر إنّك منّا أهل البيت، وإنّي موصيك بوصيّة فاحفظها، وساق ﷺ تلك الوصيّة الجليلة المشتملة على طرق الخير وسبله نأخذ منها ما يتعلّق بذمّ الدنيا.

قال ﷺ: ياأبا ذرّ، كن في الدنيا كأنّك غريب أو كعابر سبيل، وعد نفسك في أهل القبور.

يا أبا ذرّ، الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر وما أصبح فيها مؤمن إلّا وهو حزين فكيف لا يحزن وقد أوعده الله انّه وارد جهنّم ولم يعده أنّه صادر عنها وليلقين أمراضاً ومصيبات وأُموراً تغيظه وليظلمن فلا ينتصر يبتغي ثواباً من الله فما يزال فيها حزيناً حتى يفارقها فإذا فارقها أفضى إلى الراحة والكرامة.

يا أبا ذرّ والذي نفس محمد بيده لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الفاجر منها شربة من ماء.

يا أبا ذرّ إنّ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلّا ما ابتغى به وجه الله.

يا أبا ذرّ: ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من الدنيا خلقها ثم أعرض عنها ولم ينظر إليها، ولا ينظر إليها حتى تقوم الساعة وما من شيء أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من إيمان به وترك ما أمر أن يترك.

يا أبا ذرّ، إنّ الله جلّ ثناؤه أوحى إلى أخي عيسى عليه السلام لا تحبّ الدنيا فإنّي لست أحبّها وأحبّ الآخرة فإنّها هي دار المعاد.

يا أبا ذرّ، إنّ جبرئيل عليه السلام أتاني بخزائن الدنيا على بغلة شهباء فقال لي: يا محمد، هذه خزائن الدنيا ولا ينغصك من حظّك عند ربك.

قال: فقلت: حبيبي جبرئيل لا حاجة لي فيها إذا جعت سألت ربي، وإذا شبعت شكرته.

يا أبا ذرّ ، إذا أراد الله بعبد خيراً فقّهه في الدين ، وزهّده في الدنيا ، وبصّره بعيوب نفسه .

يا أبا ذرّ ، ما زهد عبد في الدنيا إلّا أثبت الله الحكمة في قلبه ، وأنطق بها لسانه ، وبصّره عيوب الدنيا وداءها ودوائها ، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام .

يا أبا ذرّ ، إذا رأيت أخاك قد زهد في الدنيا فاستمع منه فإنّه يـلقي إليك الحكمة .

فقلت : يا رسول الله ، من أزهد الناس ؟

قال : من لم ينس المقابر .

يا أبا ذرّ ، من لم ينس المقابر والبلى وترك ما يفنى لما يبقى ومن لم يعد غداً من أيّامه وعدّ نفسه في الموتى .

يا أبا ذرّ ، الدنيا مشغلة للقلب والبدن وإنّ الله عزّ وجلّ يسأل أهل الدنيا عما نعموا به في حلالها فكيف بما تنعموا به في حرامها .

يا أبا ذرّ ، طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة الذين اتّخذوا أرض الله بساطاً ، وترابها فراشاً ، ومائها طيباً ، واتّخذوا الكتاب شعاراً ، والدعاء لله عز وجل دثاراً ، وقرضوا الدنيا قرضاً .

يا أبا ذرّ ، حرث الآخرة العمل الصالح ، وحرث الدنيا المال والبنون .

يا أبا ذرّ ، ما من شابّ يدع لذّة الدنيا ولهوها وأهرم شبابه في طاعة الله إلاّ أعطاه الله أجر اثنين وسبعين صدّيقاً .

٥٧ ـ وقال مولانا أمير المؤمنين وإمام المـتّقين عـليه الصـلاة والسـلام : احذروا الدنيا فإنّها عدوّة أولياء الله وعدوّة أعدائه ، أما أوليائه فغمّتهم ، وأمّا أعدائه فغرّتهم .

٥٨ ـ وقال عيسى عليه‌السلام : بماذا نفع امرؤ نفسه باعها بجميع ما في الدنيا ، ثم

ترك ما باعها به ميراثاً لغيره أهلك نفسه ، ولكن طوبى لامرء خلص نفسه واختارها على جميع الدنيا .

٥٩ ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : حبّ الدنيا أصل كلّ معصية ، وأوّل كلّ ذنب .

٦٠ ـ وقال صلى الله عليه وآله أيضاً : حبّ الدنيا وحبّ الله لا يجتمعان في قلب أبداً .

٦١ ـ وعن مولانا أمير المؤمنين وإمام المتّقين صلوات الله وسلامه عليه أنّه قال : لا خير في الدنيا إلّا لأحد رجلين ، رجل يزداد في كل يوم إحساناً ، ورجل يتدارك منيته بالتوبة ، وأنّى له بالتوبة ! فو الله لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله منه عملاً إلّا بولايتنا أهل البيت ، ألا ومن عرف حقّنا ورجاء الثواب بنا رضى بقوته نصف مدّ كلّ يوم ، وما يستر به عورته وما اكن به رأسه وهم مع ذلك والله خائفون وجلون ودّوا انّه حظّهم من الدنيا وكذلك وصفهم الله عزّ وجلّ حيث يقول : ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾[1] ما الذي أتوا به ؟ أتوا والله بالطاعة مع المحبّة والولاية وهم في ذلك خائفون ان لا يقبل منهم وليس والله خوفهم خوف شكّ فيما هم فيه من إصابة الدين ، ولكن خافوا من أن يكونوا مقصّرين في محبّتنا وطاعتنا .

ثم قال : إن قدرت أن لا تخرج من بيتك فافعل فإنّ عليك في خروجك ان لا تغتاب ولا تكذب ولا تحسد ولا ترائي ولا تتصنّع ولا تداهن ، ثم قال : نعم صومعة المؤمن بيته يكف فيه نفسه وبصره ولسانه وفرجه ، إنّ من عرف نعمة الله عز وجل بقلبه استوجب المزيد من الله عز وجل قبل أن يظهر شكرها على لسانه ومن ذهب يرى أنّ له على الآخر فضلاً فهو من المستكبرين .

فقلت له : إنّما يرى انّ له عليه فضلاً بالعافية إذ رآه مرتكباً للمعاصي .

فقال : هيهات هيهات فلعلّه أن يكون قد غفر له ما أتى وأنت موقوف محاسب ، أما تلوت قصّة سحرة موسى عليه السلام ؟ ثم قال : كم من مغرور بما قد أنعم الله

---

(١) سورة المؤمنون : ٦٠ .

عليه، وكم من مستدرج يستر الله عليه، وكم من مفتون بثناء عليه من الناس، ثم قال: إنّي لأرجو النجاة لمن عرف حقّنا من هذه الأمّة إلّا لأحد ثلاث، صاحب سلطان جائر، وصاحب هوى، والفاسق المعلن، ثم تلا: ﴿ قُل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله ﴾[1]، ثم قال: يا حَفص، الحبّ أفضل من الخوف، ثم قال: والله ما أحبّ الله عز وجل من أحبّ الدنيا ووالى غيرنا ومن عرف حقّنا وأحبّنا فقد أحبّ الله عز وجل، فبكى رجل، فقال له: أتبكي لو أنّ أهل السماوات والأرض اجتمعوا يتضرّعون إلى الله عزّ وجلّ أن ينجيك من النار ثم يدخلك الجنة ثم شفعوا فيك ثم كان لك قلب حي لكنت أخوف الناس لله عز وجل في تلك الحال.

ثم قال: يا حفص، كن ذنباً ولا تكن رأساً.

يا حفص، قال رسول الله: من خاف الله عز وجل كلّ لسانه، ثم قال: بينما موسى عليه السلام يعظ أصحابه إذ قام رجل فشقّ قميصه، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى قل له لا تشق قميصك ولكن اشرح لي عن قلبك، ثم قال: مر موسى عليه السلام برجل من أصحابه وهو ساجد وانصرف من حاجته وهو ساجد على حالته، فقال موسى عليه السلام لو كانت حاجتك بيدي لقضيتها لك فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبلته أو يتحوّل عما أكره إلى ما أُحبّ.

٦٢ ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إذا تخلّى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حبّ الله تعالى، وكان عند أهل الدنيا كأنّه خولط وإنّما خالط القوم حلاوة حبّ الله فلم يشغلوه بغيره.

٦٣ ـ وعنه أيضاً عليه السلام أنّه قال: إنّ في طلب الدنيا إضراراً بالآخرة، وفي طلب الآخرة إضراراً بالدنيا، فاضرّوا بالدنيا فإنّها أحقّ بالاضرار.

٦٤ ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام فيما وعظ الله تعالى به عيسى عليه السلام: قال تعالى:

---

(١) سورة آل عمران: ٣١.

يا عيسى ابن البكر البتول ، ابك على نفسك بكاء من قد ودّع الأهل ، وقلا الدنيا وتركها لأهلها ، وصارت رغبته فيما عند إلهه .

يا عيسى رح من الدنيا يوماً فيوماً وذق لما قد ذهب طعمه فحقّاً أقول ما أنت إلّا بساعتك ويومك ، فرح من الدنيا بالبلغة ، وليكفيك الخشن والجشب فقد رأيت إلى ما الله عزّ وجل به ، ولا أعطى على الله شيئاً إلّا أجازه الله ان كان ليعطى الجنة فيجير الله ذلك له .

يا عيسى ما خير في لذّة لاتدوم ، وعيش عن صاحبه يزول .

يا عيسى بئست الدار الدنيا لمن ركن إليها ، وبئس القرار دار الظالمين ، إنّي أُحذّرك نفسك فكن بي خبيراً .

يا عيسى الدنيا سجن ضيّق منتن الريح وحش فيها ما قد ترى ممّا قد تذابح عليه الجبّارون والدنيا وكلّ نعيمها يزول وما نعيمها إلّا قليل .

يا عيسى : الدنيا قصيرة العمر ، طويلة الأمل وعندي دار خير ممّا يجمعون .

يا عيسى إنّ الدنيا حلوة وإنما استعملتك فيها فجانب منها ما حذّرتك ، وخذ منها ما اعطيتك عفواً .

٦٥ ـ وجاء عن حفص بن غياث ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قال عيسى بن مريم عليه السلام لأصحابه تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ، ولا تعملون للآخرة ، ولا ترزقون فيها إلّا بالعمل ، ويلكم علماء السوء الأُجرة تأخذون والعمل لا تصنعون ، يوشك ربّ العمل يطلب عمله ، ويوشك أن تخرجوا من الدنيا إلى ظلمة القبر ، وكيف يكون من أهل العلم من مصيره إلى آخرته وهو مقبل على دنياه وما يضرّه أشهى إليه ممّا ينفعه .

٦٦ ـ وجاء عن مولانا أمير المؤمنين وإمام المتّقين عليه أفضل الصلاة والسلام أنّه قال لابن مسعود : يابن مسعود ، إيّاك وسكر الخطيئة فإنّ للدنيا والخطيئة سكر كسكر الشراب .

٦٧ ـ وعن عنبسة بن بجاد العابد قال : لمّا مات إسماعيل بن جعفر بن محمد عليهما السلام وفرغنا من جنازته جلس الامام الصادق عليه السلام وجلسنا حوله وهو مطرق ، ثم رفع رأسه إلينا وقال : أيّها الناس إنّ هذه الدنيا دار فراق ودار التواء لا دار استواء علي أنّ الفراق المألوف حرقة لا تدفع ، ولوعة لا تقلع ، وإنّما يتفاضل بحسن العزاء وصحّة الفكر ، فمن لم يثكل أخاه ثكله أخوه ، ومن لم يقدم ولداً كان هو المقدم دون الولد ، ثم تمثل صلوات الله وسلامه عليه بقول أبي خراش الهذلي يرثي أخاه :

فلا تحسبي أني تناسيت عهده ولكن صبري يا أُميم جميل

٦٨ ـ يقال انّه مكتوب في صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تزيّنت وتصنّعت لهم : اني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك ، وما خلقت خلقاً أهون عليّ منك ، كلّ شأنك صغير ، وإلى الفناء تصيرين ، قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومي لأحد ، ولا يدوم أحد لك وإن بخل بك صاحبك وشحّ عليك .

٦٩ ـ وقال عيسى بن مريم عليها وعليه السلام : ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ، ويأمنها وتغرّه ، ويثق بها وتخذله ، ويل للمغترين كيف رهقهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبّون ، وجاءهم ما يوعدون ، ويل لمن الدنيا همّه ، والخطايا أمله كيف به غداً عند الله .

٧٠ ـ وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين ارضوا بدنيّ الدنيا مع السلامة في الدين كما رضى أهل الدنيا بدنيّ الدنيا .

وفي معناه قيل :

أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا ولا أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

٧١ ـ وقال عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا لتبر ، تركك الدنيا أبر .

٧٢ ـ وقال عيسى عليه السلام : عندما سأله رجل أن يعلمه عملا واحداً يحببه إلى الله تعالى ، أجاب عليه السلام ابغضوا الدنيا يحببكم الله .

٧٣ ـ وقال عيسى عليه السلام : من ذا الذي يبني على موج البحر داراً تلكم الدنيا فلا تتّخذوها قراراً .

وإلى هذا أشار بعض الشعراء حيث قال :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سروراً وأنعما
كباني بنى بنيانه فأتمّه فلمّا استوى ما قد بناه تهدّما

٧٤ ـ وقال لقمان لابنه : يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً .

٧٥ ـ وجاء عن مولانا أمير المؤمنين وإمام المتقين صلوات الله وسلامه عليه أنّه قال : من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن كان من قوت الدنيا لا يشبع لم يكفه منها ما يجمع ، ومن سعى للدنيا فاتته ، ومن قعد عنها أتته ، إنّما الدنيا ظلٌّ ممدود إلى اجل معدود ، رحم الله عبداً سمع حكماً فوعى ، ودعي إلى الرشاد فدنا ، وأخذ بحجزة ناج هاد فنجا ، قدّم صالحاً ، وعمل صالحاً ، قدّم مذخوراً ، واجتنب محذوراً ، رمى غرضاً وقدّم عوضاً ، كابر هواه ، وكذب مناه ، جعل الصبر مطيّة نجاته ، والتقوى عدّة وفاته ، لزم الطريقة الغراء ، والمحجة البيضاء ، واغتنم المهل ، وبادر بالأجل ، وتزوّد من العمل .

٧٦ ـ وقال عليه السلام أيضاً : من رضي من الدُنيا بما يجزيه كان أيسر ما فيه يكفيه ، ومن لم يرض من الدنيا بما يجزيه لم يكن فيها شيء يكفيه .

٧٧ ـ وقال عليه السلام : من أصبح على الدنيا حزيناً أصبح لقضاء الله ساخطاً ، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به إلى مخلوق مثله فإنّما يشكو ربّه ، ومن أتى غنياً يتواضع له لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه .

قالوا : ومعنى هذا أنّ المرء إنسان بجسده وقلبه ولسانه والتواضع يحتاج فيه

إلى استعمال الجسد واللسان فإن أضاف إلى ذلك القلب ذهب جميع دينه .

٧٨ ـ وقال لقمان لابنه : يا بني إنّك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد منها .

٧٩ ـ وقال عليه السلام : ألا إنّ هذه الدنيا التي أصبحتم تتمنّونها وترغبون فيها ، وأصبحت تعظكم وترميكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له ، ولا الذي دُعيتم إليه ، ألا وإنّها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها ، فلا يغرّنكم عاجلها فقد حذرتموها ، ووصفت لكم وجرّبتموها ، فأصبحتم لا تحمدون عاقبتها . فسابقوا رحمكم الله إلى منازلكم التي أمرتم ان تعمروها فهي العامرة التي لا تخرب أبداً ، والباقية التي لا تنفد ، رغّبكم الله فيها ودعاكم إليها ، وجعل لكم الثواب فيها .

٨٠ ـ وجاء في الخبر : أنّ الله عز وجل لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض قال : يا آدم ابن للخراب ولد للفناء .

٨١ ـ وجاء في الخبر عن مولانا الامام أبي عبد الله الحسين عليه آلاف الصلوات والتحيات والسلام أنّه قال : إنّ الله عزّ وجلّ يطّلع على الدنيا في كل يوم مرّة أو مرّتين فيقول : يا دنيا ، أنت دنية فتكدري على عبدي المؤمن ولا تحلي له فيفتتن ، من خدمك فاستخدميه ومن خدمني فاخدميه .

٨٢ ـ وقال يحيى بن عمران الحلبي : قلت لمولانا الامام أبي عبد الله عليه السلام أي الخصال بالمرء أجمل ؟

فقال عليه السلام : وقار بلا مهابة ، وسماح بلا طلب مكافاة وتشاغل بغير متاع الدنيا .

٨٣ ـ وجاء في الخبر عن السيد المطهر والنبي الأفخر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : من أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربّه ، ومن شكى مصيبة نزلت به فقد شكى ربّه ، وأيما فقير تضعضع لغني لدنياه ذهب ثلثي دينه ، ومن أصبح وهمّه لغير الله فليس من الله ، ومن لم يتّق الله فليس من الله ، ومن لم يهتم

للمسلمين فليس منهم ، ومن دخل النار بعد ما قرأ القرآن فقد انسلخ من آيات الله .

هذا آخر ما أردنا بيانه من أقوال أئمة أهل البيت مع جدّهم الاكرم محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وآله وأقوال سائر الانبياء عليهم السلام في ذمّ الدنيا ، وهناك الكثير من الأخبار الموجودة في مختلف كتب الحديث والتي تشتمل على ذمّ الدنيا عن النبي والعترة الطاهرة تركناها خشية الاطالة واكتفينا بهذا القدر من الأخبار الشريفة .

ثالثاً : ما جاء من أقوال العارفين والحكماء في ذمّ الدنيا وذمّ الركون إليها وانّه ينبغي للمؤمن الابتعاد عنها وإنزالها منزلة الميتة فيأخذ له منها القوت ، أتلو عليك جمّاً من تلكم الأقوال بحسب التسلسل المرقم فيما يلي :

١ ـ قال بعض الحكماء : إنّك لن تصبح في شيء من الدنيا إلّا وقد كان له أهل قبلك ويكون له أهل بعدك ، وليس لك من الدنيا إلّا عشاء ليلة وغذاء يوم فلا تهلك في أكله وصم الدنيا وأفطر على الآخرة فإنّ رأس مال الدنيا الهوى ، وربحها النار .

٢ ـ وقال حكيم : إيّاكم والدنيا فإنّه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظماً للدنيا ، فيقال له : هذا الذي عظم ما حقّره الله تعالى .

٣ ـ وقال حكيم : الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيّهما غلب كان الآخر تبعاً له .

٤ ـ وقال حكيم : إتّقوا السحارة فإنّها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا .

٥ ـ وقال بعض الأعلام : لا ينال عبدٌ الكرامة حتى يكون على إحدى صفتين : امّا أن يُسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا إلّا خالقه ، وأن أحداً لايقدر على أن يضرّه ولا ينفعه . وامّا أن يُسقط الناس عن قلبه فلا يبالي بأيّ حال يرونه .

٦ ـ وقال حكيم : بقدر ما تحزن للدنيا يخرج همّ الآخرة من قلبك ، وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج همّ الدنيا من قلبك .

٧ ـ وقال حكيم : خذ من الدنيا لبدنك ، وخذ من الآخرة لقلبك .

٨ ـ وقال وهب : قرأت في بعض الكتب : الدنيا غنيمة الأكياس ، وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا .

٩ ـ وقال حكيم : إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راضي فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر .

١٠ ـ وقال حكيم : من سأل الله الدنيا فإنّما سأله طول الوقوف بين يديه .

١١ ـ وقال حكيم : لا يصبر عن الشهوات في الدنيا إلّا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة .

١٢ ـ وقال بعضهم : ما في الدنيا شيء يسرّك إلّا وقد لزق إليه شيء يسوؤك .

١٣ ـ وقال حكيم : اصطلحنا على حبّ الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضاً ، ولا ينهى بعضنا بعضاً .

١٤ ـ وقال وهب بن منبّه : من خرج قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ، ومن جعل شهوته تحت قدميه فرّق الشيطان من ظلّه ، ومن غلب هواه فهو الغالب .

١٥ ـ وقال بعضهم : عجباً لمن يعرف أنّ الموت حقّ كيف يفرح وعجباً لمن يعرف أنّ النار حقّ كيف يضحك وعجباً لمن يرى تقلّب الدنيا بأهلها كيف يطمئنّ .

١٦ ـ وقال الحسن البصري لرجل : سلام عليك كأنّك بالدنيا بآخر من كتب عليه الموت قد ماتوا ، فأجابه سلام عليك كأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل .

١٧ ـ وقدم رجل على معاوية الخبيث لعنه الله تعالى والرجل من نجران

عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها ؟

فقال : سنيات بلاء ، وسنيات رخاء ، يوم فيوم ، وليلة فليلة ، يولد مولود ، ويهلك هالك ،فلولا المولود لباد الخلق ، ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها .

فقال له : سل ما شئت .

قال : عمر مضى فترده ، وأجل حضر فتدفعه .

فقال معاوية لعنه الله : لا أملك ذلك .

فقال الرجل العظيم : لا حاجة لي إليك .

١٨ ـ وقال بعضهم : يابن آدم ، فرحت ببلوغ أملك ، إنّما بلغته بـانقضاء أجلك ، ثم سوّفت بعملك كأنّ منفعته لغيرك .

١٩ ـ وقال حكيم : يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة .

٢٠ ـ وقيل لحكيم : قد نلت الغنى . فقال : إنّما نال الغنى من عتق من رقّ الدنيا .

٢١ ـ وقال الحسن البصري : لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلّا بحسرات ثلاث انّه لم يشبع بما جمع ، ولم يدرك ما أمل ، ولم يحسن الزاد لما قدم عليه .

٢٢ ـ وقال الحسن البصري : إذا أراد الله بعبد خيراً أعطاه من الدنيا عطيّة ، ثمّ يمسك فإذا نفذ أعاد عليه ، وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطاً .

٢٣ ـ وقال حكيم : حبّ الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير إليه .

٢٤ ـ وقيل لبعضهم : مات فلان ، فقال : جمع للدنيا ، وذهب إلى الآخرة ضيّع نفسه .

قيل : إنه كان يفعل كذا وكذا وذكر أبواباً من الخير والبرّ .

فقال : وما ينفع هذا وهو يجمع للدنيا .

٢٥ ـ قيل لحكيم : الدنيا لمن هي ؟

قال : لمن تركها .

فقيل له : الآخرة لمن هي ؟ فقال : لمن طلبها.

٢٦ ـ وقال حكيم : الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها ، والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها .

٢٧ ـ وقال بعضهم : العقل ثلاثة : من ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبنى قبره قبل أن يدخله ، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه .

٢٨ ـ وقال بندار : إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلّمون في الزهد فاعلم أنّهم في سخريّة الشيطان .

٢٩ ـ وقال بعض الحكماء : الأيّام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيّامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكم بقاء سلامتك مع وقوع الأيّام بك وسرعة الليالي في بدنك ، لو كشف لك عمّا أحدثت لك الأيّام من النقص فيك لاستوحشت في كلّ يوم يأتي عليك واستثقلت ممرّ الساعات بك ولكن تدبير الله فوق الاعتبار ، وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذّاتها وإنّها لأمر من العلقم إذا عجنها الحكيم ، وقد أعيت الواصفين لعيوبها بظاهر أفعالها ، وما تأتي به من العجائب أكثر ممّا يحيط به المواعظ ، فنستوهب الله رشدنا إلى الصواب .

٣٠ ـ وقال بعضهم : بلغني أن رجلاً عرج بروحه فإذا إمرأة على قارعة الطريق ، عليها من كل زينة الحلي والثياب ولا يمر عليها أحد إلّا جرحته ، وإذا أدبرت كانت كأحسن شيء رآها الناس وإذا هي أقبلت كانت أقبح شيء رآها الناس ، عجوز شمطاء .

قال : فقلت : أعوذ بالله منك .

قالت : لا والله لا يعيذك الله حتى تبغض الدنيا قلت : من أنت ؟

قالت : أنا الدنيا .

وتقدّم هذا الكلام في أمثلتها.

٣١ ـ وكتب سلمان المحمدي الفارسي سلام الله عليه إلى أبي الدرداء: يا أخي إيّاك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدّي شكره، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلّما تكفّأ به الصراط، قال له ماله: أمضى فقد أُدّيت حقّ الله فيّ، ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلّما تكفّأ به الصراط قال له ماله: ويلك ألا أدّيت حقّ الله فيّ؟ فما يزال حتى يدعو بالثبور والويل.

٣٢ ـ وقال بعض العارفين: إنّما بطنك فلم يدخلك النار

٣٣ ـ وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟

قال: قلّة تمنّيك، ورضاك بما يكفيك، ولذلك قيل:

العيش ساعات تمرّ وخطوب أيّام تكرّ

٣٤ ـ وقال ابن مسعود: ما من يوم إلّا وملك ينادي: يا بن آدم، قليل يكفيك خير من كثير يطغيك.

٣٥ ـ قال بعض العارفين: وجدت أطول الناس غمّاً الحسود، وأهنأهم عيشاً القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع، وأخفضهم عيشاً أرفضهم للدنيا، وأعظمهم ندامة العالم المفرط.

٣٦ ـ وعاتب أعرابي أخاه على الحرص فقال: يا أخي، أنت طالب ومطلوب يطلبك مالاً تفوته وتطلب أنت ما قد كفيته، وكل ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت إليه كأنّك يا أخي لم تر حريصاً محروماً وزاهداً مرزوقاً.

قال بعضهم:

أراك يزيدك الاثراء حرصاً على الدنيا كأنّك لا تموت

فهل لك غاية إن صرت يوماً إليها قلت حسبي قد كفيت

٣٧ ـ وقال بعضهم : حكي أنّ رجلاً صاد قنبرة فقالت : ما تريد أن تصنع بي ؟

قال : أذبحك وآكلك .

قالت : والله ما أشفي من قرم ، ولا أشبع من جوع ، ولكن أُعلمك ثلاث خصال هن خير لك من الدنيا وأكلي ، أمّا واحدة فاعلمك بها وأنا في يدك ، وأمّا الثانية فإذا صرت على الشجرة ، وأمّا الثالثة فإذا صرت على الجبل .

قال هات الأُولى ، قالت : لا تلهفن على ما فات فخلاها فلما صارت على الشجرة قال : هات الثانية .

قالت : لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ، ثم طارت على الجبل ، فقالت : يا شقي لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي درّتين وزن كلّ درّة عشرون مثقالاً .

قال : فعضّ على شفتيه وتلهف وقال : هات : الثالثة .

قالت : أنت قد نسيت الثنتين فكيف أخبرك الثالثة ؟! ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ، ولا تصدقن بما لا يكون أنا ولحمي وريشي لا يكون عشرين مثقالاً فكيف يكون في حوصلتي درّتان وزن كل واحدة عشرون مثقالاً ، ثم طارت وهذا مثال لفرط طمع ابن آدم على الدنيا فإنّه يعميه عن درك الحقّ حتى يقدر ما لا يكون .

٣٨ ـ وقال حكيم : كانت الدنيا ولم أكن فيها ، وتذهب ولا أكون فيها ، فكيف أسكن إليها ؟ فإنّ عيشها نكد ، وصفوها كدر ، وأهلها منها على وجل ، أمّا بنعمة زائلة ، أو بليّة نازلة ، أو منيّة قاضية .

٣٩ ـ وقال بعض العرفاء : الدنيا حانوت الشيطان ، فلا تسرق من حانوته شيئاً ، فيجيء في طلبك ويأخذك .

٤٠ ـ قيل إنّه لما بعث النبي صلى الله عليه وآله أتت إبليس جنوده ، فقالوا له : قد بعث نبي واخرجت أمة .

قال يحبّون الدنيا ؟

قالوا : نعم .

قال : إن كانوا يحبّونها ما أُبالي إلّا يعبدوا الأوثان ، وأنا أغدو عليهم وأروح بثلاثة : أخذ المال من غير حقّه ، وإنفاقه في غير حقّه ، وإمساكه عن حقّه ، والشر كلّه لهذا تبع .

٤١ ـ وقال بعض الصحابة : ما أصبح أحد في الدنيا إلّا وهو ضيف ، وماله عارية ، فالضيف مرتحل ، والعارية مردودة .

٤٢ ـ وقال بعض العارفين : الدنيا جعلها الله تعالى ثلاثة أجزاء : جزء للمؤمن ، وجزء للمنافق، وجزء للكافر . فالمؤمن يتزوّد ، والمنافق يتزيّن ، والكافر يتمتّع .

٤٣ ـ قيل : إنّ الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه : احذر مقتك عندي فتسقط من عيني فأصبّ عليك الدنيا صبّاً .

٤٤ ـ وقال بعضهم : من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها حتى يصير رماداً ، ومن أقبل على الآخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع بها ، ومن أقبل على الله أحرقته نيران التوحيد فصار جوهر لاحدّ لقيمته .

٤٥ ـ وقيل أيضاً : العقلاء ثلاثة : من ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبنى قبره قبل أن يدخله ، وارتضى خالقه قبل أن يلقاه .

٤٦ ـ وقال بعض أكابر العارفين : الدنيا تخلق الأبدان ، وتجدّد الآمال ، وتقرب المنيّة ، وتبعد الأُمنية ، ومن ظفر بها تعب ، ومن فاتته نصب .

٤٧ ـ وقال بعضهم : من آمن بالآخرة لم يحرص على الدنيا .

٤٨ ـ وقال حكيم : من أراد أن يستغني بالدنيا عن الدنيا فهو كمن يطفىء النار بالحلفاء .

٤٩ ـ وقال حكيم : من شارك السلطان في عزّ الدنيا شاركه في ذلّ الآخرة .

٥٠ ـ وقال بعضهم : المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلّها ، ولا ينافس في عزّها ، لأهلها حال وله حال ، قد أهمّته نفسه ، والناس منه في راحة ونفسه منه في شغل .

٥١ ـ وقال بعضهم :اجتزت بفناء خربة كانت دار الفقهاء ، فادخلت رأسي في الخراب وقلت شعراً :

نـاد ربّ الدار ذا المـال الذي ... جمـع الدنـيا بحـرص مـا فـعل

فأجابني هاتف من الخربة :

كـان في دار سـواهـا داره ... عـللته بـالمنى حـتى انـتقل

هذا آخر ما أردنا بيانه من أقوال الحكماء والعارفين في ذمّ الدنيا .

رابعاً : ما جاء في مختلف كتب التاريخ والتفاسير والحديث وغيرها من الحكايات المفيدة المشعرة بذمّ الدنيا ، وتقلبات أحوالها ، وعدم ديموميتها ، وجورها على الابرار ، واتّخاذها الاشرار ، ولا يمكننا أيضاً إيراد كلّما جاء في ذلك من حكايات وإنّما نقتصر على إيراد ثلاث حكايات مفيدات نعرضها لقارئنا الكريم بحسب التسلسل المرقّم فيما يلي :

الحكاية الأُولى : عن أبي علي أحمد بن الحسن القطّان ، عن الحسن بن علي الامام العسكري عليه السلام قال : حدّثنا محمد بن زكريّا أنّ ملكاً من ملوك الهند واسع المملكة مهيباً في أنفس الناس ، مظفراً على الأعداء وكان مع ذلك عظيم النهمة في شهوات الدنيا ولذّاتها وملاهيها ، مؤثراً لهواه ، مطيعاً له ، وكان أحبّ الناس إليه وأنصحهم له في نفسه من زيّن له حاله وحسن رأيه ، وأبغض الناس إليه ، وأغشهم له في نفسه ، من أمره بغيرها وترك أمره فيها ، وكان قد أصاب الملك فيها في حداثة سنّه ، وعنفوان شبابه ، وكان له رأي أصيل ، ولسان بليغ ، ومعرفة بتدبير الناس وضبطهم ، فعرف الناس ذلك منه فانقادوا له ، وخضع له كل صعب

وذلول ، واجتمع له سكر الشباب وسكر السلطان ، والشهوة والعجب ، ثم قوي ذلك ما أصاب من الظفر على ناصبه ؛ والقهر لأهل مملكته ، وانقياد النـاس له ، فاستطال على الناس واحتقرهم ، ثم ازداد عجباً برأيه ونفسه لما مدحه النـاس وزينوا أمره عنده ، فكان لا همّة له إلّا الدنيا ، وكانت الدنيا له مؤاتية لا يريد منها شيئاً إلّا ناله ، غير أنّه كان مئناثاً[1] لا يولد له ذكر ، وقد كان الدين فشى في أرضه قبل ملكه وكثر أهله ، فزيّن له الشيطان عداوة الدين وأهله ، وأضرَّ بأهل الدين فأقصاهم مخافة على ملكه وقرَّب أهل الأوثان ، وصنع لهم أصـناماً مـن ذهب وفضّة ، وفضّلهم وشرّفهم ، وسجد لأصنامهم .

فلمّا رأى الناس ذلك منه سارعوا الى عبادة الأوثان والاستخفاف بأهل الدين ثم إن الملك سأل يوماً عن رجل من أهل بلاده كانت له منه منزلة حسنة ومكانة رفيعة وكان أراد أن يستعين به على بعض أُموره ويحبوه ويكرمه ، فقيل له : أيّها الملك إنّه قد خلع الدنيا وخلى منها ولحق بالنسّاك فثقل ذلك على الملك ، وشق عليه ، ثم إنّه أرسل إليه فأوتي به ، فلمّا نظر إليه في زيّ النسّاك وتخشعهم زبره وشتمه[2] وقال له : بينا أنت من عبيدي وعيون مملكتي ووجههم وأشرافـهم إذ فضحت نفسك ، وضيّعت أهلك ومالك ، واتّبعت أهل البطالة والخسـارة حـتى صرت ضحكة ومثلاً ، وقد كنت أعددتك لمهمّ أموري ، والاستعانة بك على ما ينوبني ، فقال له : أيّها الملك إن لم يكن لي عليك حقّ فلعقلك عليك حقّ ، فاستمع قولي بغير غضب ، ثمّ ائمر بما بدا لك بعد الفهم والتثبت ، فإنّ الغضب عدوّ العقل ، ولذلك يحول ما بين صاحبه وبين الفهم ، قال له الملك : قل ما بدا لك .

قال الناسك : فإنّي أسألك أيّها الملك أفي ذنبي على نفسي عتبت عليّ أم في ذنب منّي إليك سالف ؟

---

(١) المئناث : التي اعتادت أن تلد الاناث ، وكذلك الرجل لا نهما يستويان في مفعال ويقابله المذكار وهي التي تلد الذكور كثيراً .

(٢) النسّاك : العبّاد ، وزبره : أي زجره .

قال الملك : إنّ ذنبك إلى نفسك أعظم الذنوب عـندي ، وليس كـلّما أراد رجل من رعيّتي أن يهلك نفسه أخلّي بينه وبين ذلك ، ولكنّي أعدُّ إهلاكه لنفسه كإهلاكه لغيره ممّن أنا وليّه والحاكم عليه وله ، فأنا أحكم عليك لنفسك وآخذ لها منك إذ ضيّعت أنت ذلك .

فقال له الناسك : أراك أيّها الملك لا تأخذني إلّا بحجّة ، ولا نفاذ لحجّة إلّا عند قاض ، وليس عليك من النّاس قاض ، لكن عندك قضاة وأنت لأحكامهم منفذ ، وأنا ببعضهم راض ، ومن بعضهم مشفق .

قال الملك : وما أُولئك القضاة ؟

قال : أمّا الذي أرضى قضاءه فعقلك وأمّا الّذي أنا مشفق منه فهواك .

قال الملك : قل ما بدا لك وأصدقني خبرك ، ومتى كان هذا رأيك ؟ ومن أغواك ؟

قال : أمّا خبري فإنّي كنت سمعت كلمة في حداثة سـنّي وقـعت في قـلبي فصارت كالحبّة المزروعة ثمّ لم تزل تنمي حتّى صارت شجرة إلى ما ترى ، وذلك أنّي كنت قد سمعت قائلاً يقول : يحسب الجاهل الأمر الذي هو لا شيء شيئاً والأمر الّذي هو الشيء لا شيء ، ومن لم يرفض الأمر الّذي هو لا شيء لم ينل الأمر الذي هو شيء ، ومن لم يبصر الأمر الّذي هو الشيء لم تطب نفسه برفض الأمر الّذي هو لا شيء ، والشيء هو الآخرة ، ولا شيء هو الدنيا فكان لهذه الكلمة عندي قرار لأنّي وجدت الدنيا حياتها موتاً وغناها فقراً ، وفرحها ترحاً وصحتها سقماً ، وقوّتها ضعفاً ، وعزّها ذلّاً ، كيف لا تكون حياتها موتا ، وإنّما يحيى فيها صاحبها ليموت ، وهو من الموت على يقين ، ومن الحياة على قُلعة ، وكيف لا يكون غناؤها فقراً وليس أُصيب أحد منها شيئاً إلّا احتاج لذلك الشيء إلى شيء آخر يصلحه وإلى أشياء لابدّ له منها .

ومثل ذلك أنّ الرجل ربّما يحتاج إلى دابّة فإذا أصابها احتاج إلى عـلفها

وقيّمها ومربطها[1] وأدواتها ، ثمّ احتاج لكلّ شيء من ذلك إلى شيء آخر يصلحه، وإلى أشياء لابدّ له منها ، فمتى تنقضي حاجة من هو كذلك وفاقته ؟ وكيف لا يكون فرحها ترحاً وهي مرصدة لكلّ من أصاب منها قرّة أعين أن يرى من ذلك الأمر بعينه أضعافه من الحزن ، إن رأى سروراً في ولده فما ينتظر من الأحزان في موته وسقمه وجائحة إن أصابته أعظم من سروره به ، وإن رأى السرور في مال فما يتخوّف من التلف أن عاجل عليه أعظم من سروره بالمال ، فإذا كان الأمر كذلك فأحقّ الناس بأن لا يتلبس بشيء منها من عرف هذا منها ، وكيف لا يكون صحتها سقماً وإنّما صحّتها من أخلاطها وأصحّ أخلاطها وأقربها من الحياة الدم ، وأظهر ما يكون الانسان دماً أخلق ما يكون صاحبه بموت الفجأة ، والذبحة[2] والطاعون ، والآكله والبرسام ، وكيف لا تكون قوّتها ضعفاً وإنّما تجمع القوى فيها ما يضرّه ويوبقه ، وكيف لا يكون عزّها ذلّاً ولم ير فيها عزٌّ قطٌّ إلّا أورث أهلها ذلّاً طويلاً ، غير أنّ أيّام العزِّ قصيرة ، وأيّام الذّلِّ طويلة ، فأحق الناس بذمِّ الدنيا من بسطت له الدنيا فأصاب حاجته منها ، فهو يتوقّع كل يوم وليلة وساعة وطرفة عين أن يعدّى على ماله فيحتاج ، وعلى حميمه فيختطف، وعلى جمعه فينهب ، وأن يؤتى بنيانه من القواعد فيهدم ، وأن يدبّ الموت إلى جسده فيستأصل ويفجع بكل ما هو به ضنين ، فأذمّ إليك أيّها الملك الدنيا الآخذة ما تعطى ، والمورثة بعد ذلك التبعة ، السالبة لمن تكسو ، والمورثة بعد ذلك العرى ، المواضعة لمن ترفع، والمورثة بعد ذلك الجزع ،التاركة لمن يعشقها، والمورثة بعد ذلك الشقوة ، المغرية لمن أطاعها واغترّ بها ، الغدّارة بمن ائتمنها وركن إليها ، هي المركب القموص[3] والصاحب الخؤون ، والطريق الزلق

---

(١) المربط ـ بفتح الباء وكسرها ـ موضع ربط الدوابّ .

(٢) الذبحة ـ بضمّ الذال وفتح الباء والعامّة تسكن الباء ـ ورم حادّ في العضلات من جانب الحلقوم التي بها يكون البلع .

(٣) القموص ـ على وزن جموش .

والمهبط المهوي ، هي المكرمة التي لا تكرم أحداً إلا أهانته ، المحبوبة التي لا تحب أحداً ، الملزومة التي لا تلزم أحداً ، يوفي لها وتغدر ، ويصدق لها وتكذب ، وينجز لها وتخلف ، هي المعوجّة لمن استقام بها ، المتلاعبة بمن استمكنت[1] منه ، بينا هي تطعمه إذ حوّلته مأكولاً ، وبينا هي تخدمه إذ جعلته خادماً ، وبينا هي تضحكه إذ ضحكت منه ، وبينا هي تشتمه إذ شتمت منه[2] ، وبينا هي تبكيه إذا بكت عليه ، وبينا هي قد بسطت يده بالعطيّة إذ بسطتها بالمسألة ، وبينا هو فيها عزيز إذ أذلّته ، وبينا هو فيها مكرَّم إذ أهانته ، وبينا هو فيها معظم إذ صار محقوراً ، وبينا هو فيها رفيع إذ وضعته ، وبينا هي له مطيعة إذ عصته ، وبينا هو فيها مسرور إذ أحزنته ، وبينا هو فيها شبعان إذ أجاعته ، وبينا هو فيها حيّ إذ أماتته .

فأُفّ لها من دار إذ كان هذا فعالها ، وهذه صفتها ، تضع التاج على رأسه غدوة وتصغّر خدّه بالتراب عشيّة ، وتجعلها في الأغلال غدوة [تحـلّى الأيـدي بأسورة الذهب عشية ، وتجعلها في الأغلال غدوة ـ خ ل] وتقعد الرجـل عـلى السرير غدوة ، وترمي به في السجن عشية ، تفرش له الديباج عشيّة ، وتفرش له التراب غدوة وتجمع له الملاهي والمعازف غدوة ، وتجمع عليه النوائح والنوادب عشية تحبّب إلى أهله قربه عشية وتحبب إليهم بُعده غدوة ، تطيب ريحه غدوة ، وتنتن ريحه عشية ، فهو متوقع لسطواتها ، غير ناج من فتنتها وبلائها ، تمتّع نفسه من أحاديثها وعينه من أعاجيبها ، ويده مملوءة من جمعها ، ثمَّ تصبح الكفّ صفراً والعين هامدة ، ذهب ما ذهب ، وهوى ما هوى ، وباد ما باد ، وهلك ما هلك ، تجد في كلّ من كلّ خلفاً ، وترضى بكلّ من كلّ بدلاً ، تسكن دار كل دار قرناً ، وتطعم سؤر كلّ قوم قوماً ، تقعد الأراذل مكان الأفاضل والعجزة مكان الحزمة تـنقل أقواماً من الجدب إلى الخصب ومن الرجلة الى المركب ، ومن البؤس إلى النعمة ،

---

(١) بعض النسخ « استمسكت » .
(٢) تسمته اذا تشمت منه .

ومن الشدّة إلى الرخاء ، ومن الشقاء إلى الخفض والدّعة ، حتى إذا غمستهم في ذلك انقلبت بهم فسلبتهم الخصب ، ونزعت منهم القوّة ، فعادوا إلى أبأس البؤس ، وأفقر الفقر ، وأجدب الجدب .

فأمّا قولك أيّها الملك في إضاعة الأهل وتركهم فإنّي لم أُضيّعهم ، ولم أتركهم، بل وصلتهم وانقطعت إليهم ، ولكنّي كنت وأنا أنظر بعين مسحورة لا أعرف بها الأهل من الغرباء ، ولا الأعداء من الأولياء ، فلمّا انجلى عنّي السحر استبدلت بالعين المسحورة عيناً صحيحة ، واستنبت الأعداء من الأولياء ، والأقرباء من الغرباء ، فإذا الذين كنت أعدّهم أهلين وأصدقاء وإخواناً وخلطاء إنّما هم سباع ضارية لاهمة لهم إلّا أن تأكلني وتأكل بي ، غير أنَّ اختلاف منازلهم في ذلك على قدر القوّة ، فمنهم كالأسد في شدّة السّورة ومنهم كالذئب في الغارة والنهبة ، ومنهم كالكلب في الهرير والبصبصة ، ومنهم كالثعلب في الحيلة والسرقة ، فالطرق واحدة ، والقلوب مختلفة .

فلو أنّك أيّها الملك في عظيم ما أنت فيها من ملكك ، وكثرة من تبعك من أهلك وجنودك وحاشِيتك وأهل طاعتك ، نظرت في أمرك عرفت أنّك وحيد فريد ، ليس معك أحد من جميع أهل الأرض ، وذلك أنّك قد عرفت أنَّ عامّة الأُمم عدوّ لك ، وأنَّ هذه الأمّة الّتي أُوتيت الملك عليها كثيرة الحسد من أهل العداوة والغشّ الّذين هم أشدّ عداوة لك من السباع الضارية ، وأشدّ حنقاً عليك من كلِّ الأُمم الغريبة ، وإذا صرت إلى أهل طاعتك ومعونتك وقرابتك وجدت لهم قوماً يعملون عملاً بأجرٍ معلوم ، يحرصون مع ذلك أن ينقصوك من العمل فيزدادوك من الأجر ، وإذا صرت إلى أهل خاصّتك وقرابتك صرت إلى قوم جعلت كدّك وكدحك ومهنّأك وكسبك لهم ، فأنت تؤدّي إليهم كلّ يوم الضريبة ، وليس كلّهم وإن وزعت بينهم جميع كدّك عنك براضٍ فإن أنت حبست عنهم ذلك فليس منهم البتّة براض ، أفلا ترى أنّك أيّها الملك وحيد لا أهل لك ولا مال،

فأمّا أنا فإنّ لي أهلاً ومالاً وإخواناً وأخواتاً وأولياء ، لا يأكلوني ، ولا يأكلون بي ، يحبّوني وأحبّهم ، فلا يفقد الحبّ بيننا ، ينصحوني وأنصحهم فلا غشَّ بيننا ، ويصدّقوني وأصدّقهم فلا تكاذب بيننا ، ينصحوني وأنصحهم ، ويوالوني وأُواليهم فلا عداوة بيننا ، ينصروني وأُنصرهم فلا تخاذل بيننا ، يطلبون الخير الذي إن طلبته معهم لم يخافوا أن أغلبهم عليه أو أستأثر به دونهم ، فلا فساد بيننا ولا تحاسد ، يعملون لي وأعمل لهم بأُجور لا تنفد ولا يزال العمل قائماً بيننا ، هم هداتي إن ضللت ، ونور بصري إن عميت ، وحصني إن أُتيت ومجني إن رميت ، وأعواني إذا فزعت ، وقد تنزّهنا عن البيوت والمخاني[1] فلا نريدها وتركنا الذخائر والمكاسب لأهل الدنيا فلا تكاثر بيننا ، ولا تباغي ، ولا تباغض ، ولا تفاسد ، ولا تحاسد ، ولا تقاطع ، فهؤلاء أهلي أيّها الملك وإخواني وأقربائي وأحبّائي ، أحببتهم وانقطعت إليهم ، وتركت الّذين كنت أنظر إليهم بالعين المسحورة لمّا عرفتهم ، والتمست السلامة منهم ، فهذه الدنيا أيّها الملك التي أخبرتك أنّها لا شيء فهذا نسبها وحسبها ومسيرها إلى ما قد سمعت ، قد رفضتها لمّا عرفتها ، وأبصرت الأمر الذّي هو الشيء فإن كنت تحبّ أيّها الملك أن أصف لك ما أعرف عن أمر الآخرة التي هي الشيء فاستعدّ إلى السماع ، تسمع غير ما كنت تسمع به من الأشياء فلم يزده الملك عليه إلّا أن قال له : كذبت لم تصب شيئاً ، ولم تظفر إلّا بالشقاء والعناء ، فاخرج ولا تقيمن في شيء من مملكتي ، فإنك فاسد مفسد . وولد للملك في تلك الأيّام بعد إياسه من الذّكور غلامٌ لم ير النّاس مولوداً مثله قطُّ حسناً وجمالاً وضياءً ، فبلغ السرور من الملك مبلغاً عظيماً كاد يشرف منه على هلاك نفسه من الفرح ، وزعم أنَّ الأوثان التي كان يعبدها هي التي وهبت له الغلام ، فقسّم عامّة ما كان في بيوت أمواله على بيوت أوثانه ، وأمر الناس بالأكل والشرب سنة وسمّى الغلام يوذاسف ، وجمع العلماء والمنجمين

(١) لعله جمع خان وهو الحانوت والفندق . وفي بعض النسخ « المخابي » .

لتقويم ميلاده ، فرفع المنجّمون إليه أنّهم يجدون الغلام يبلغ من الشرف والمنزلة مالا يبلغه أحدٌ قطٌّ في أرض الهند ، واتفّقوا على ذلك جميعاً ، غير أنّ رجلاً قال : ما أظنّ الشرف والمنزلة والفضل الذي وجدناه يبلغه هذا الغلام إلّا شرف الآخرة ولا أحسبه إلّا أن يكون إماماً في الدين والنسك ، وذا فضيلة في درجات الآخرة لأنّي أرى الشرف الّذي تبلغه ليس يشبه شيئاً من شرف الدنيا وهو شبيه بشرف الآخرة ، فوقع ذلك القول من الملك موقعاً كاد أن ينغصه سروره بالغلام ، وكان المنجم الّذي أخبره بذلك من أوثق المنجمين في نفسه وأعلمهم وأصدقهم عنده ، وأمر الملك للغلام بمدينة فأخلاها ،وتخيّر له من الظّؤرة[1] والخدم كلَّ ثقة ، وتقدَّم إليهم أن لا يذكر فيما بينهم موت ولا آخرة ولا حزن ولا مرض ولا فناء حتّى تعتاد ذلك ألسنتهم وتنساه قلوبهم ، وأمرهم إذا بلغ الغلام أن لا ينطقوا عنده بذكر شيء ممّا يتخوفونه عليه خشية أن يقع في قلبه منه شيء فيكون ذلك داعية إلى اهتمامه بالدين والنسك ، وأن يتحفّظوا ويتحرّزوا من ذلك ، ويتفقّد بعضهم من بعض ، وازداد الملك عند ذلك حنقاً على النسّاك مخافة على ابنه .

وكان لذلك الملك وزير قد كفل أمر وحمل عنه مؤونة سلطانه ؛ وكان لا يخونه ولا يكذبه ولا يكتمه ، ولا يؤثر عليه ، ولا يتوانى في شيء من علمه ، ولا يضيعه ، وكان الوزير مع ذلك رجلاً لطيفاً طلقاً معروفاً بالخير يحبّه الناس ويرضون به إلّا أن أحبّاء الملك وأقربائه كانوا يحسدونه ، ويبغون عليه ، ويستثقلون بمكانه ، ثم ان الملك خرج ذات يوم إلى الصّيد ومعه ذلك الوزير فاتى به في شعب من الشعاب على رجل قد أصابته زمانة شديدة في رجليه ، ملق في أصل شجرة لا يستطيع براحاً فسأله الوزير عن شأنه فأخبره أنّ السباع أصابته ، فرقَّ له الوزير فقال له الرجل : ضمّني إليك واحملني إلى منزلك فإنّك تجد عندي منفعة .

---

(١) جمع لظئر : المرضعة .

فقال الوزير : إنّي لفاعل وإن لم أجد عندك منفعة ، ولكن يا هذا ما المنفعة الّتي تعدنيها ، هل تعمل عملاً أو تحسن شيئاً ؟

فقال الرجل : نعم أنا أرتق السلام[1] .

فقال : وكيف ترتق الكلام ؟ قال : إذا كان فيه فتق أرتقه حتّى لا يجيء من قبله فساد ، فلم ير الوزير قوله شيئاً ، وأمر بحمله إلى منزله وأمر له بما يصلحه حتّى إذا كان بعد ذلك احتال أحبّاء الملك للوزير وضربوا له الأمور ظهراً وبطناً فأجمع رأيهم على أن دسّوا رجلاً منهم إلى الملك ، فقال له : أيّها الملك ، إنّ هذا الوزير يطمع في ملكك أن يغلب عليه عقبك من بعدك فهو يصانع الناس على ذلك ، ويعمل عليه دائباً ، فإن أردت أن تعلم صدق ذلك فأخبره أنّه قد بدالك أن ترفض الملك وتلحق بالنسّاك ، فإنّك سترى من فرحه بذلك ما تعرف به أمره ، وكان القوم قد عرفوا من الوزير رقّة عند ذكر فناء الدنيا والموت ولين النسّاك وحبّاً لهم فعملوا فيه من الوجه الّذي ظنّوا أنّهم يظفرون بحاجتهم منه ، فقال الملك : لئن هجمت منه على هذا لم أسأل عمّا سواه ، فلمّا أن دخل عليه الوزير قال له الملك : إنّك قد عرفت حرصي على الدنيا وطلب الملك وإنّي ذكرت ما مضى من ذلك فلم أجد معنى منه طائلاً ، وقد عرفت أنّ الّذي بقي منه كالذي مضى فإنّه يوشك أن ينقضي ذلك كلّه بأجمعه فلا يصير في يدي منه شيء ، وأنا أُريد أن أعمل في حال الآخرة عملاً قوياً على قدر ما كان من عملي في الدنيا وقد بدا لي أن ألحق بالنسّاك وأخلّي هذا العمل لأهله فما رأيك ؟

قال : فرقّ الوزير لذلك رقّة شديدة حتّى عرف الملك ذلك منه ، ثمّ قال : أيّها الملك ، إنّ الباقي وإن كان عزيزاً لأهل أن يطلب وإن الفاني وان استمكنت منه لأهل أن يرفض ونعم الرأي رأيت ، وإنّي لأرجو أن يجمع الله لك مع الدنيا شرف الآخرة .

---

(١) رتق الفتق : أصلحه .

قال : فكبر ذلك على الملك ووقع منه كلّ موقع ولم يبدله شيئاً غير أنّ الوزير عرف الثقل في وجهه فانصرف إلى أهله كئيباً حزيناً لا يدري من أين أتي ولا من دهاه[1]، ولا يدري ما دواء الملك فيما استنكر عليه فسهر لذلك عامّة الليل، ثمّ ذكر الرجل الذي زعم أنّه يرتق الكلام فأرسل إليه فأُتي به، فقال له : إنّك ذكرت ذكراً من رتق الكلام، فقال الرجل : فهل احتجت إلى شيء من ذلك ؟

فقال الوزير : نعم أخبرك أنّي صحبت هذا الملك قبل ملكه ومنذ صار ملكاً فلم أستنكره فيما بيني وبينه قطّ لما يعرفه من نصيحتي وشفقتي وإيثاري إيّاه على نفسي وعلى جميع الناس، حتّى إذا كان هذا اليوم استنكرته استنكاراً شديداً لا أظنّ خيراً عنده بعده .

فقال له الراتق : هل لذلك سبب أو علّة ؟

قال الوزير : نعم دعاني أمس وقال لي كذا وكذا، فقلت له كذا وكذا .

فقال : من هاهنا جاء الفتق، وأنا أرتقه إن شاء الله .

اعلم أنّ الملك قد ظنّ أنّك تحبّ أن ينجلي هو عن ملكه وتخلفه أنت فيه فإذا كان عند الصبح فاطرح عنك ثيابك وحليتك والبس أوضع ما تجده من زي النسّاك وأشهره، ثمّ احلق رأسك وامض على وجهك إلى باب الملك فإنّ الملك سيدعو بك ويسألك عن الّذي صنعت، فقل له : هذا الّذي دعوتني إليه ولا ينبغي لأحد أن يشير على صاحبه بشيء إلّا واساه فيه وصبر عليه، وما أظنّ الّذي دعوتني إليه إلاّ خيراً ممّا نحن فيه، فقم إذا بدالك، ففعل الوزير ذلك فتخلّى عن نفس الملك ما كان فيها عليه .

ثمّ أمر الملك بنفي النسّاك من جميع بلاده وتوعّدهم بالقتل، فجدّوا في الهرب والاستخفاء، ثمّ إنّ الملك خرج ذات يوم متصيّداً فوقع بصره على شخصين من بعيد، فأرسل إليهما فأُتي بهما فإذا هما ناسكان فقال لهما : ما بالكما لن

---

(١) في بعض النسخ « ما دهاه » .

تخرجا من بلادي ؟

قالا : قد أتتنا رسلك ونحن على سبيل الخروج .

قال : ولم خرجتما راجلين ؟

قالا : لأنّا قوم ضعفاء ليس لنا دوابّ ولا زاد ولا نستطيع الخروج إلّا بالتقصير .

قال الملك : إنّ من خاف الموت أسرع بغير دابّة ، ولا زاد فقالا له : إنّا لا نخاف الموت بل لا ننظر قرّة عين في شيء من الأشياء إلّا فيه .

قال الملك : وكيف لا تخافان الموت وقد زعمتما أنّ رسلنا لما أتتكم وأنتم على سبيل الخروج أفليس هذا هو الهرب من الموت ؟

قالا : إنّ الهرب من الموت ليس من الفرق[1] فلا تظنّ أنّا فرقناك ولكنّا هربنا من أن نعينك على أنفسنا ، فأسف الملك وأمر بهما أن يحرقا بالنار ، وأذن في أهل مملكته بأخذ النسّاك وتحريقهم بالنار ، فتجرّد رؤساء عبدة الأوثان في طلبهم وأخذوا منهم بشراً كثيراً وأحرقوهم بالنار ، فمن ثمّ صار التحريف سنّة باقية في أرض الهند ، وبقي في جميع تلك الأرض قوم قليل من النسّاك كرهوا الخروج من البلاد ، واختاروا الغيبة والاستخفاء ليكونوا دعاة وهداة لمن وصلوا إلى كلامه فنبت ابن الملك أحسن نبات في جسمه وعقله وعلمه ورأيه ، ولكنّه لم يؤخذ بشيء من الآداب إلّا بما يحتاج إليه الملوك ممّا ليس فيه ذكر موت ولا زوال ولا فناء وأُوتي الغلام من العلم والحفظ شيئاً كان عند الناس من العجائب ، وكان أبوه لايدري أيفرح بما أُوتي ابنه من ذلك أو يحزن له لما يتخوّف عليه أن يدعوه ذلك إلى ما قيل فيه فلمّا فطن الغلام بحصرهم إيّاه في المدينة ومنعهم إيّاه من الخروج والنظر والاستمتاع وتحفّظهم عليه ارتاب وسكت عنه وقال في نفسه هؤلاء أعلم بما يصلحني منّي حتّى إذا ازداد بالسنّ والتجربة علماً قال : ما أرى هؤلاء عليّ

(١) الفرق ـ محرّكة ـ: الخوف .

فضلاً، وما أنا بحقيق أن أُقلّدهم أمري ، فأراد أن يكلّم أباه إذا دخل عليه ويسأله عن سبب حصره إيّاه ، ثم قال : ما هذا الأمر إلّا من قبله وما كان ليطلعني عليه ولكنّي حقيق أن ألتمس علم ذلك من حيث أرجو إدراكه ، وكان في خدمة رجل كان ألطفهم به وأرأفهم به ، وكان الغلام إليه مستأنساً فطمع الغلام في إصابة الخير من قبل ذلك الرجل فازداد له ملاطفة وبه استئناساً ، ثمّ إنّ الغلام واضعه الكلام في بعض الليل باللين وأخبره أنّه بمنزلة والده وأولى الناس به ، ثمّ أخذه بالترغيب والترهيب وقال له : إنّي لأظنّ هذا الملك سائر لي بعد والدي وأنت فيه سائر أحد رجلين إمّا أعظم الناس فيه منزلة وإمّا أسوء الناس حالاً ، قال له الحاضن وبأيّ شيء أتخوّف في ملكك سوء الحال قال : بأن تكتمني اليوم أمراً أفهمه غداً من غيرك ، فانتقم منك بأشدّ ما أقدر عليك ، فعرف الحاضن منه الصدق وطمع منه في الوفاء فأفشى إليه خبره ، والذي قال المنجّمون لأبيه ، والّذي حذر أبوه من ذلك ، فشكر له الغلام ذلك وأطبق عليه حتّى إذا دخل عليه أبوه .

قال : يا أبه إنّي وإن كنت صبياً فقد رأيت في نفسي واختلاف حالي أذكر من ذلك ما أذكر وأعرف بما لا أذكر منه ما أعرف وأنا أعرف أنّي لم أكن على هذا المثال وأنّك لم تكن على هذه الحال ، ولا أنت كائن عليها إلى الأبد وسيغيّرك الدهر عن حالك هذه ، فلئن كنت أردت أن تخفي عنّي أمر الزوال فما خفي عليّ ذلك، ولئن كنت حبستني عن الخروج وحلتَ بيني وبين الناس لكيلا تتوق نفسي إلى غير ما أنا فيه لقد تركتني بحصرك إيّاي ، وإن نفسي لقلقة مما تحول بيني وبينه حتى مالي همّ غيره ، ولا أردت سواء حتّى لا يطمئنّ قلبي إلى شيء ممّا أنا فيه ولا أنتفع به ولا آلفه ، فخلّ عنّي وأعلمني بما تكره من ذلك وتحذره حتّى أجتنبه وأؤثر موافقتك ورضاك على ما سواهما .

فلمّا سمع الملك ذلك من ابنه علم أنّه قد علم ما الّذي يكرهه وأنّه من حبسه وحصره لا يزيده إلّا إغراء وحرصاً على ما يحال بينه وبينه ، فقال : يا بنيَّ ما

أدرتُ بحصري إيّاك إلّا ان أُنحّي عنك الأذى ، فلا ترى إلّا ما يوافقك ولا تسمع إلّا ما يسرُّك ، فأمّا إذا كان هواك في غير ذلك فإنّ آثر الأشياء عندي ما رضيت وهويت .

ثمّ أمر الملك أصحابه أن يركبوه في أحسن زينة ، وأن ينحّوا عن طريقه كلّ منظر قبيح ، وأن يعدُّوا له المعازف والملاهي ، ففعلوا ذلك ، فجعل بعد ركبته تلك يكثر الركوب ، فمرَّ ذات يومٍ على طريق قد غفلوا عنه فأتى على رجلين من السؤال أحدهما قد تورَّم وذهب لحمه ، واصفرَّ جلده ، وذهب ماء وجهه ، وسمج منظره ، والآخر أعمى يقوده قائد ، فلمّا رأى ذلك اقشعرَّ منهما وسأل عنهما فقيل له : إنّ هذا المورّم من سقم باطن ، وهذا الأعمى من زمانة ، فقال ابن الملك : وإنّ هذا البلاء ليصيب غير واحد ؟

قالوا : نعم .

فقال : هل يأمن أحدٌ من نفسه أن يصيبه مثل هذا ؟

قالوا : لا ، وانصرف يومئذ مهموماً ثقيلاً محزوناً باكياً مستخفّاً بما هو فيه من ملكه وملك أبيه فلبث بذلك أيّاماً .

ثم ركب ركبة فأتى في مسيره على شيخ كبير قد انحنى من الكبر ، وتبدّل خلقه ، وابيضَّ شعره ، واسودّ لونه ، وتقلّص جلده ، وقصر خطوه ، فعجب منه وسأل عنه ، فقالوا : هذا الهرم .

فقال : وفي كم يبلغ الرجل ما أرى ؟

قالوا : في مائة سنة أو نحو ذلك .

قال : فما وراء ذلك ؟

قالوا : الموت .

قال : فما يخلّي بين الرجل وبين ما يريد من المدّة ؟

قالوا : لا ، وليصيرنّ إلى هذا في قليل من الأيّام .

فقال : الشهر ثلاثون يوماً ، والسنة اثنا عشرَ شهراً ، وانقضاء العمر مائة سنة فما أسرع اليوم في الشهر ، وما أسرع الشهر في السنة ، وما أسرع السـنة في العمر فانصرف الغلام ، وهذا كلامه يبديه ويعيده مكرّراً له .

ثم سهر ليلته كلّها وكان له قلب حيٌّ ذكيٌّ ، وعقلٌ لا يستطيع معه نسياناً ولا غفلة ، فعلاه الحزن والاهتمام فانصرف نفسه عن الدنيا وشهواتها وكان في ذلك يداري أباه ويتلطّف عنده وهو مع ذلك قد أصغى بسمعه إلى كلّ متكلّم بكـلمة طمع أن يسمع شيئاً يدلّه على غير ما هو فيه ، وخلا بحاضنه الّذي كان أفضى إليه بسرّه ، فقال له : هل تعرف من الناس أحداً شأنه غير شأننا ؟

قال : نعم قد كان قوم يقال لهم : النسّاك ، رفضوا الدنيا وطلبوا الآخرة ، ولهم كلام ، وعلم لا يـدري مـا هـو ، غـير أن النـاس عـادوهم وأبـغضوهم وحرّقوهم ، ونفاهم الملك عن هذه الأرض ، فلا يعلم اليوم ببلادنا مـنهم أحـدٌ فإنّهم قد غيّبوا أشخاصهم ينتظرون الفـرج ، وهـذه سـنّة في أوليـاء الله قـديمة يتعاطونها في دول الباطل ، فاغتصّ لذلك الخبر فؤاده ، وطال به اهتمامه ، وصار كالرجل الملتمس ضالّته الّتي لابدّ له منها ، وذاع خبره في آفاق الأرض ، وشهر بتفكّره وجماله وكماله وفهمه وعقله وزهادته في الدنيا وهوانها عليه ، فبلغ ذلك رجلاً من النسّاك يقال له : بلوهر ، بأرض يقال لها : سرانـديب ، وكـان رجـلاً ناسكاً حكيماً فركب البحر حتّى أتى أرض سولابط ثمّ عمد إلى باب ابن الملك ، فلزمه وطرح عنه زيَّ النسّاك ولبس زيّ التجّار وتردّد إلى باب ابن الملك حتّى عرف الأهل والأحباء والداخلين إليه ، فلمّا استبان له لطف الحاضن بابن الملك ، وحسن منزلته منه أطاف به بلوهر حتّى اصاب منه خلوة ، فقال له : إنّي رجل من تجّار سرانديب ، قدمت منذ أيّام ، ومعي سلعة عظيمة نفيسة الثمن ، عظيمة القدر ، فأردت الثقة لنفسي فعليك وقع اختياري ، وسلعتي خيرٌ من الكبريت الأحمر ، وهي تبصر العميان ، وتسمع الصمّ ، وتداوي من الأسقام ، وتقوّي من الضعف ،

وتعصم من الجنون ، وتنصر على العدوّ ، ولم أر بهذا أحداً هو أحقّ بها من هذا الفتى فإن رأيت أن تذكر له ذلك ذكرته فإن كان له فيها حاجة أدخلتني عليه ، فإنّه لم يخف عنه فضل سلعتي لو قد نظر إليها .

قال الحاضن للحكيم : إنّك لتقول شيئاً ما سمعنا به من أحد قبلك ، ولا أرى بك بأساً ، وما مثلي يذكر مالا يدري به ما هو ، فأعرض عليّ سلعتك أنظر إليها فإن رأيت شيئاً ينبغي لي أن أذكره ذكرته .

قال له بلوهر : إنّي رجلٌ طبيب وإنّي لأرى في بصرك ضعفاً فأخاف إن نظرت إلى سلعتي أن يلتمع بصرك ، ولكن ابن الملك صحيح البصر حدث السنّ ولست أخاف عليه أن ينظر إلى سلعتي فإن رأى ما يعجبه كانت له مبذولة على ما يحبّ ، وإن كان غير ذلك لم تدخل عليه مؤونة ولا منقصة ، وهذا امرٌ عظيم لا يسعك أن تحرمه إيّاه أو تطويه دونه ، فانطلق الحاضن إلى ابن الملك فأخبره خبر الرجل فحسّ قلب ابن الملك بأنّه قد وجد حاجته ، فقال عجّل إدخال الرجل عليّ ليلاً وليكن ذلك في سرّ وكتمان ، فإنّ مثل هذا لا يتهاون به .

فأمر الحاضن بلوهر بالتهيء للدخول عليه ، فحمل معه سفطاً فيه كتب له ، فقال الحاضن : ما هذا السفط ؟

قال بلوهر : في هذا السفط سلعتي فإذا شئت فأدخلني عليه فانطلق به حتى أدخله عليه ، فلمّا دخل عليه بلوهر : سلّم عليه وحيّاه وأحسن ابن الملك إجابته ، وانصرف الحاضن ، وقعد الحكيم عند الملك ، فأوّل ما قال له بلوهر: رأيتك يا ابن الملك زدتني في التحيّة على ما تصنع بغلمانك وأشراف أهل بلادك ؟

قال ابن الملك : ذلك لعظيم ما رجوت عندك .

قال بلوهر : لئن فعلت ذلك بي فقد كان رجلاً من الملوك في بعض الآفاق يعرف بالخير ويرجى ، فبينا هو يسير يوماً في موكبه إذ عرض له في مسيره رجلان ماشيان، لباسهما الخَلقان ، وعليهما أثر البؤس والضرّ ، فلمّا نظر إليهما الملك

لم يتمالك أن وقع على الأرض فحيّاهما وصافحهما ، **فلمّا رأى ذلك وزراؤه اشتدّ** جزعهم ممّا صنع الملك فأتوا أخاً له وكان جريّاً عليه فقالوا : إنّ الملك أزرى بنفسه، وفضح أهل مملكته، وخرّ عن دابته لإنسانين دنيّين ، فعاتبه على ذلك كيلا يعود ، ولامه على ما صنع، ففعل ذلك أخُ الملك فأجابه الملك بجواب لا يدري ما حاله فيه أساخط عليه أم راض عنه ، فانصرف إلى منزله حتّى إذا كان بعد أيّام أمر الملك منادياً وكان يسمّى منادي الموت فنادى في فناء داره ، وكانت تلك سنّتهم فيمن أرادوا قتله ، فقامت النوائح والنوادب في دار أخ الملك ولبس ثياب الموتى وانتهى إلى باب الملك وهو يبكي بكاء شديداً ونتف شعره ، فلمّا بلغ ذلك الملك دعا به ، فلمّا أذن له الملك دخل عليه ووقع على الأرض ونادى بالويل والثبور ، ورفع يده بالتضرّع فقال له الملك : اقترب أيّها السفيه أنت تجزع من مناد نادى من بابك بأمر مخلوق وليس بأمر خالق ، وأنا أخوك وقد تعلم أنّه ليس لك إليّ ذنب أقتلك عليه ، ثمّ أنتم تلومونني على وقوعي إلى الأرض حين نظرت إلى منادي ربّي إليّ وأنا أعرف منكم بذنوبي ، فاذهب فإنّي قد علمت أنّه إنّما استغرّك وزرائي وسيعلمون خطأهم .

ثم أمر الملك بأربعة توابيت فصنعت له من خشب فطلا تابوتين منها بالذهب وتابوتين بالقار ، فلمّا فرغ منها ملأ تابوتي القار ذهباً وياقوتاً وزبرجداً وملأ تابوتي الذهب جيفاً ودماً وعذرة وشعراً ، ثم جمع الوزراء والأشراف الّذين ظنّ أنّهم أنكروا صنيعه بالرجلين الضعيفين الناسكين فعرض عليهم التوابيت الأربعة وأمرهم بتقويمها ، فقالوا : أمّا في ظاهر الأمر وما رأينا ومبلغ علمنا فإنّ تابوتي الذهب لا ثمن لهما لفضلهما وتابوتي القار لا ثمن لهما لرذالتهما .

فقال الملك : أجل هذا لعلمكم بالأشياء ومبلغ رأيكم فيها ، ثمّ أمر بتابوتي القار فنزعت عنهما صفائحهما فأضاء البيت بما فيهما من الجواهر فقال : هذان مثل الرجلين الّذين أرديتم لباسهما وظاهرهما وهما مملوّان علماً وحكمة وصدقاً وبرّاً

وسائر مناقب الخير الذي هو أفضل من الياقوت واللؤلؤ والجوهر والذهب .

ثم أمر بتابوتي الذهب فنزع عنهما أبوابهما فاقشعرّ القوم من سوء منظرهما وتأذّوا بريحهما ونتنهما .

فقال الملك : وهذان مثل القوم المتزيّنين بظاهر الكسوة واللباس وأجوافهما مملوّة جهالة وعمى وكذباً وجوراً وسائر أنواع الشر التي هي أفضع وأشنع وأقذر من الجيف .

قال القوم : قد فقّهنا واتّعضنا أيّها الملك. ثمّ قال بلوهر : هذا مثلك يا ابن الملك فيما تلقّيني به من التحية والبشر فانتصف يوذاسف ابن الملك وكان متكئاً، ثمّ قال : زدني مثلاً .

قال الحكيم : إنَّ الزارع خرج ببذره الطيّب ليبذره ، فلمّا ملأكفّه ونثره وقع بعضه على حافّة الطريق فلم يلبثان أن التقطه الطير ، ووقع بعضه على صفاة قد أصابها ندى وطين ، فمكث حتى اهتزّ فلمّا صارت عروقه إلى يبس الصفاة مات ويبس ، ووقع بعضه بأرض ذات شوك فنبت حتّى سنبل ، وكاد أن يثمر فمنعه الشوك فأبطله ، وأمّا ما كان منه وقع في الأرض الطيّبة وإن كان قليلاً فإنّه سلم وطاب وزكى ، فالزارع حامل الحكمة ، وأمّا البذر ففنون الكلام ، وأمّا ما وقع منه على حافّة الطريق فالتقطه الطير فما لا يجاوز السمع منه حتّى يمرّ صفحاً ، وأمّا ما وقع على الصخرة في الندى فيبس حتى بلغت عروقه الصفاة فما استحلاه صاحبه سمعه بفراغ قلبه ، وعرفه بفهمه ولم يفقه بحصافة ولايته ، وأمّا ما نبت منه وكاد أن يثمر فمنعه الشوك فأهلكه ، فما وعاه صاحبه حتّى إذا كان عند العمل به حفّته الشهوات فأهلكته ، وأمّا ما زكي وطاب وسلم منه وانتفع به رآه البصر ووعاه الحفظ ، وأنقذه العزم بقمع الشهوات وتطهير القلوب من دنسها .

قال ابن الملك : إنّي أرجو أن يكون ما تبذره أيّها الحكيم ما يزكو ويسلم ويطيب فاضرب لي مثل الدنيا وغرور أهلها بها .

قال بلوهر: بلغنا أنّ رجلاً حمل عليه فيل مفتلم فانطلق مولّياً هارباً وأتبعه الفيل حتّى غشيه فاضطرّه إلى بئر فتدلّى فيها وتعلّق بغصنين نابتين على شفير البئر ووقعت قدماه على رؤوس حيّات، فلمّا تبيّن له الغصنين فإذا في أصلهما جرذان يقرضان الغصنين أحدهما أبيض والآخر أسود، فلمّا نظر إلى تحت قدميه، فإذا رؤوس أربع أفاع قد طلعن من جحرهنّ فلمّا نظر إلى قعر البئر إذا بتنّين فاغرٌ فاه نحوه يريد التقامه، فلمّا رفع رأسه إلى أعلا الغصنين إذ اعليهما شيء من عسل النحل فتطعم من ذلك العسل فألهاه ما طعم منه، وما نال من لذة العسل وحلاوته عن الفكر في أمر الأفاعي اللواتي لا يدري متى يبادرنه، وألهاه عن التنّين الذي لا يدري كيف مصيره بعد وقوعه في لهواته. أمّا البئر فالدنيا مملوّة آفات وبلايا وشرور، وأمّا الغصنان فالعمر، وأمّا الجرذان فالليل والنهار يسرعان في الأجل، وأمّا الأفاعي الأربعة فالأخلاط الأربعة التي هي السموم القاتلة من المرّة والبلغم والريح والدم الّتي لا يدري صاحبها متى تهيج به، وأمّا التنين الفاغر فاه ليلتقمه فالموت الراصد الطالب، وأمّا العسل الّذي اغترّ به المغرور فما ينال الناس من لذّة الدنيا وشهواتها ونعيمها ودعتها من لذّة المطعم والمشرب والشمّ واللمس والسمع والبصر.

قال ابن الملك: إنّ هذا المثل عجيب وأنّ هذا التشبيه حقّ، فزدني مثلاً للدنيا وصاحبها المغرور بها المتهاون بما ينفعه فيها؟

قال بلوهر: زعموا أنّ رجلاً كان له ثلاثة قرناء، وكان قد آثر أحدهم على الناس جميعاً، ويركب الأهوال والأخطار بسببه ويغرّر بنفسه له، ويشغل ليله ونهاره في حاجته، وكان القرين الثاني دون الأوّل منزلة وهو على ذلك حبيب إليه مشفق عنده، ويكرمه ويلاطفه ويخدمه ويطيعه ويبذل له ولا يغفل عنه، وكان القرين الثالث محقوراً مستقلاً، ليس له من ودّه وماله إلّا أقله حتى إذا نزل بالرجل الأمر الّذي يحتاج فيه إلى قرنائه الثلاثة، فأتاه جلاوزة الملك ليذهبوا به ففزع إلى

قرينه الأوّل فقال له : قد عرفت إيثاري إيّاك وبذل نفسي لك ، وهذا اليوم يوم حاجتي إليك فماذا عندك ؟

قال : ما أنا لك بصاحب ، وإنَّ لي أصحاباً يشغلوني عنك ، هم اليوم أولى بي منك ولكن لعلّي أزودك ثوبين لتنتفع بهما ، ثمّ فزع إلى قرينه الثاني ذي المحبّة واللطف ، فقال له : قد عرفت كرامتي إيّاك ، ولطفي بك ، وحرصي على مسرّتك ، وهذا يوم حاجتي إليك فماذا عندك ؟

فقال : إنَّ أمر نفسي يشغلني عنك وعن أمرك ، فاعمد لشأنك ، واعلم أنّه قد انقطع الّذي بيني وبينك ، وأنّ طريقي غير طريقك إلّا أني لعلّي أخطو معك خطوات يسيرة لا تنتفع بها ، ثمَّ أنصرف الى ما هو أهمّ إليَّ منك ، ثم فزع إلى قرينه الثالث الّذي كان يحقّره ويعصيه ولا يلتفت إليه أيّام رخائه ، فقال له : إنّي منك لمستحٍ ولكن الحاجة اضطرّتني إليك فماذا لي عندك ؟

قال : لك عندي المواساة ، والمحافظة عليك ، وقلّة الغفلة عنك ، فابشر وقرَّ عيناً فإنّي صاحبك الّذي لا يخذلك ولا يسلّمك ، فلا يهمّك قلّة ما أسلفتني واصطنعت إليّ ، فانّي قد كنت أحفظ لك ذلك وأوفره عليك كلّه ، ثم لم أرض لك بعد ذلك به حتّى اتّجرت لك به فربحت أرباحاً كثيرة ، فلك اليوم عندي من ذلك أضعاف ما وضعت عندي منه فأبشر ، وإنّي أرجو أن يكون في ذلك رضى الملك عنك اليوم وفرجاً ممّا أنت فيه .

فقال الرجل عند ذلك : ما أدري على أيّ الأمرين أنا أشدّ حسرة عليه على مافرّطت في القرين الصالح أم على ما اجتهدت فيه من المحبّة لقرين السوء ؟

قال بلوهر : فالقرين الأوّل هو المال والقرين الثاني هو الأهل والولد ، والقرين الثالث هو العمل الصالح .

قال ابن الملك : إنّ هذا هو الحقّ المبين فزدني مثلاً للدنيا وغرورها وصاحبها المغرور بها ، المطمئنّ إليها .

قال بلوهر : كان أهل مدينة يأتون الرجل الغريب الجاهل بأمرهم فيملّكونه عليهم سنة ، فلا يشكّ أنّ ملكه دائمٌ عليهم لجهالته بهم فإذا انقضت السنة أخرجوه من مدينتهم عرياناً مجرَّداً سليباً ، فيقع في بلاء وشقاء لم يحدِّث به نفسه ، فصار ما مضى عليه من ملكه وبالاً وحزناً ومصيبةً وأذى ، ثمّ إن أهل المدينة أخذوا رجلاً آخر فملّكوه عليهم ، فلمّا رأى الرجل غربته فيهم لم يستأنس بهم ، وطلب رجلاً من أهل أرضه خبيراً بأمرهم حتّى وجده فأفضى إليه بسرِّ القوم وأشار إليه أن ينظر إلى الأموال الّتي في يديه فيخرج منها ما استطاع الأوّل فالأوّل حتّى يحرزه في المكان الّذي يخرجونه إليه فإذا أخرجه القوم صار إلى الكفاية والسعة بما قدَّم وأحرز ، ففعل ما قال له الرجل ولم يضيّع وصيّته .

قال بلوهر : وإنّي لارجو أن تكون ذلك الرجل يا ابن الملك الّذي لم يستأنس بالغرباء ولم يغترّ بالسلطان ، وأنا الرجل الّذي طلبت ولك عندي الدلالة والمعرفة والمعونة . قال ابن الملك : صدقت أيّها الحكيم أنا ذلك الرجل وأنت ذلك الرجل وأنت طلبتي التي كنت طلبتها فصف لي أمر الآخرة تامّاً ، فأمّا الدنيا فلعمري لقد صدقت ولقد رأيت منها ما يدلّني على فنائها ويزهّدني فيها ، ولم يزل أمرها حقيراً عندي .

قال بلوهر : إنّ الزهادة في الدنيا يا ابن الملك مفتاح الرغبة إلى الآخرة ، ومن طلب الآخرة فأصاب بابها دخل ملكوتها ، وكيف لا تزهد في الدنيا وقد آتاك الله من العقل ما آتاك ، وقد ترى أنّ الدنيا كلّها وإن كثرت إنّما يجمعها أهلها لهذه الأجساد الفانية ، والجسد لا قوام له ، ولا امتناع به ، فالحرّ يُذيبه ، والبرد يجمده ، والسموم تتخلّله ، والماء يغرقه ، والشمس تحرقه ، والهواء يسقمه ، والسباع تفترسه ، والطير تنفره ، والحديد يقطعه ، والصدم يحطمه ، ثمّ هو معجون بطينة من ألوان الأسقام والأوجاع والأمراض ، فهو مرتهن بها ، مترقّب لها وجل منها، غير طامع في السلامة ، ثمّ هو مقارن الآفات السبع الّتي لا يتخلّص منها ذو

جسد وهي الجوع والظمأ والحرّ والبرد والوجع والخوف والموت .

فأمّا ما سألت منه من الأمر الآخرة ، فإنّي أرجو أن تجد ما تحسبه بعيداً قريباً ، وما كنت تحسبه عسيراً يسيراً ، وما كنت تحسبه قليلاً كثيراً .

قال ابن الملك : أيّها الحكيم أرأيت القوم الذّين كان والدي حرقهم بالنار ونفاهم أهم أصحابك ؟

فقال : نعم .

قال : فإنّه بلغني أنّ الناس اجتمعوا على عداوتهم وسوء الثناء عليهم .

قال بلوهر : نعم قد كان ذلك ، قال : فما سبب ذلك أيّها الحكيم ؟

قال بلوهر : أمّا قولك يا ابن الملك في سوء الثناء عليهم فما عسى أن يقولوا فيمن يصدق ولا يكذب ، ويعلم ولا يجهل ، ويكفّ ولا يؤذي ، ويصلّي ولا ينام ، ويصوم ولا يفطر ، ويبتلى فيصبر ، ويتفكّر فيعتبر ، ويطيب نفسه عن الأموال والأهلين ، ولا يخافهم الناس على أموالهم وأهليهم .

قال ابن الملك : فكيف اتّفق الناس على عداوتهم وهم فيما بينهم مختلفون ؟

قال بلوهر : مثلهم في ذلك مثل كلاب اجتمعوا على جيفة تنهشها ويهار بعضها بعضاً ، مختلفة الألوان والأجناس فبينا هي تقبل على الجيفة إذ دنى رجل منهم فترك بعضهنَّ بعضاً وأقبلن على الرجل فيهرن عليه جميعاً معاويات عليه وليس للرجل في جيفتهنّ حاجة ولا أراد أن ينازعهنَّ ، ولكن هنّ عرفن غربية منهنّ فاستوحشن منه ، واستأنسن ببعضهنّ وإن كنَّ مختلفات متعادية فيما بينهنَّ من قبل أن يرد الرجل عليهنَّ .

قال بلوهر : فمثل الجيفة متاع الدنيا ومثل صنوف الكلاب ضروب الرجال الذين يقتتلون على الدنيا ويهرقون دماءهم وينفقون لها أموالهم ، ومثل الرجل الّذي اجتمعت عليه الكلاب ولا حاجة له في جيفتهنَّ كمثل صاحب الدِّين الّذي رفض الدنيا وخرج منها ، فليس ينازع فيها أهلها ولا يمنع ذلك الناس من ان

يعادونه لغربته عندهم ، فإن عجبت فأعجبت من الناس أنهم لا همّة لهم إلّا الدنيا وجمعها والتكاثر والتفاخر والتغالب عليها حتّى إذا رأوا من قد تركها في أيديهم وتخلّى عنها كانوا له أشدّ قتالاً عليه وأشدّ حنقاً منهم للّذي يشاحّهم عليها ، فأيّ حجة لله يا ابن الملك أدحض من تعاون المختلفين على من لا حجة لهم عليه ؟

قال ابن الملك أعمد لحاجتي .

قال بلوهر : إن الطبيب الرفيق إذا رأى الجسد قد أهلكته الأخلاط الفاسدة فأراد أن يقوّيه ويسمنه لم يغذّه بالطعام الّذي يكون منه اللحم والدم والقوّة لأنّه يعلم أنّه متى أدخل الطعام على الأخلاط الفاسدة أضرّ بالجسد ولم ينفعه ولم يقوّه ، ولكن يبدأ بالأدوية والحمية من الطعام ، فإذا أذهب من جسده الأخلاط الفاسدة أقبل عليه بما يصلحه من الطعام ، فحينئذ يجد طعم الطعام ويسمن ويقوي ويحمل الثقل بمشيئة الله عزّ وجلّ .

وقال ابن الملك أيّها الحكيم ، أخبرني ماذا تصيب من الطعام والشراب؟

قال الحكيم: زعموا أنّ ملكاً من الملوك كان عظيم الملك كثير الجند والأموال وأنّه بدا له أن يغزو ملكاً آخر ليزداد ملكاً إلى ملكه ، ومالاً إلى ماله ، فسار إليه بالجنود والعدد والعدَّة ، والنساء والأولاد والأثقال ، فأقبلوا نحوه فظهروا عليه واستباحوا عسكره ، فهرب وساق امرأته وأولاده صغاراً فألجأه الطلب عند المساء إلى أجمة على شاطىء النهر ، فدخلها مع أهله وولده وسيّب دوابّه مخافة أن تدلّ عليه بصهيلها ، فباتوا في الأجمة وهم يسمعون وقع حوافر الخيل من كلّ جانب فأصبح الرجل لا يطيق براحاً ، وأمّا النهر فلا يستطيع عبوره، وأمّا الفضاء فلا يستطيع الخروج إليه لمكان العدوّ فهم في مكان ضيّق قد آذاهم البرد وأهجرهم الخوف ، وطواهم الجوع ، وليس لهم طعام ولا معهم زاد ولا إدام ، وأولاده صغار جياع يبكون من الضرّ الذي قد أصابهم فمكث بذلك يومين ، ثمّ إنّ أحد بنيه مات فألقوه في النهر، فمكث بعد ذلك يوماً آخر فقال

الرجل لامرأته إنّا مشرفون على الهلاك جميعاً ، وإن بقي بعضنا وهلك بعضنا كان خيراً من أن نهلك جميعاً ، وقد رأيت أن أُعجّل ذبح صبيّ من هؤلاء الصبيان فنجعله قوتاً لنا ولأولادنا إلى أن يأتي الله عز وجل بالفرج ، فإن أخّرنا ذلك هزل الصبيان حتّى لا يشبع لحومهم وتضعف حتّى لا نستطيع الحركة إن وجدنا إلى ذلك سبيلاً ، وطاوعته امرأته فذبح بعض أولاده ووضعوه بينهم ينهشونه ، فما ظنّك ياابن الملك بذل المضطر أأكل الكلب المستكثر يأكل ؟ أم أكل المضطرّ المستقلّ ؟

قال ابن الملك : بل أكل المستقلّ .

قال الحكيم : كذلك أكلي وشربي يا ابن الملك في الدنيا.

فقال له ابن الملك : أرأيت هذا الّذي تدعوني إليه أيّها الحكيم أهو شيء نظر الناس فيه بعقولهم وألبابهم حتّى اختاروه على ما سواه لأنفسهم أم دعاهم الله إليه . فأجابوا؟

قال الحكيم : علا هذا الأمر ولطف عن أن يكون من أهل الأرض أو برأيهم دبروه ، ولو كان من أهل الأرض لدعوا إلى عملها وزينتها وحفظها ودعتها ونعيمها ولذّتها ولهوها ولعبها وشهواتها ، ولكنّه أمر غريب ودعوة من الله عزّ وجلّ ساطعة ، وهدى مستقيم ناقضٌ على أهل الدنيا أعمالهم ، مخالف لهم ، عائب عليهم ، وطاعن ناقل لهم عن أهوائهم ، داعٍ لهم إلى طاعة ربّهم ، وإنّ ذلك لبيّن لمن تنبّه ، مكتوم عنده عن غير أهله حتّى يظهر الله الحقّ بعد خفائه ويجعل كلمته العليا وكلمة الذين جهلوا السفلى .

قال ابن الملك : صدقت أيّها الحكيم ، ثمّ قال الحكيم : إنّ من الناس من تفكّر قبل مجيء الرسل عليهم السلام فأصاب ، ومنهم من دعته الرسل بعد مجيئها فأجاب ، وأنت يا ابن الملك ممّن تفكّر بعقله فأصاب .

قال ابن الملك : فهل تعلم أحداً من الناس يدعو إلى التزهيد في الدنيا غيركم ؟

قال الحكيم : أمّا في بلادكم هذه فلا، وأمّا في سائر الأُمم ففيهم قوم ينتحلون الدين بألسنتهم ولم يستحقّوه بأعمالهم ، فاختلف سبيلنا وسبيلهم.

قال ابن الملك : كيف صرتم أولى بالحقّ منهم وإنّما أتاكم هذا الأمر الغريب من حيث أتاهم ؟

قال الحكيم : الحقّ إنّما عند الله عزّ وجلّ ، وإنّه تبارك وتعالى دعا العباد إليه فقبله قوم بحقّه وشروطه حتى أدّوه إلى أهله كما أمروا ، لم يظلموا ولم يخطئوا ولم يضيّعوا ، وقبله آخرون فلم يقوموا بحقّه وشروطه ، ولم يؤدّوه إلى أهله ، ولم يكن لهم فيه عزيمة ، ولا على العمل به نيّة ضمير ، فضيّعوه واستثقلوه فالمضيّع لا يكون مثل الحافظ ، والمفسد لا يكون كالمصلح ، والصابر لا يكون كالجازع ، فمن هاهنا كنّا نحقّ أحقَّ به منهم وأولى .

ثم قال الحكيم : إنّه ليس يجري على لسان أحد منهم من الدين والتزهيد والدعاء إلى الآخرة إلّا وقد أخذ ذلك عن أصل الحقّ الّذي عنه أخذنا، ولكنّه فرق بيننا وبينهم أحداثهم الّتي أحدثوا وابتغاؤهم الدنيا وإخلادهم إليها، وذلك أنّ هذه الدعوة لم تزل تأتي وتظهر في الأرض مع أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم في القرون الماضية على ألسنة مختلفة متفرّقة ، وكان أهل دعوة الحقّ أمرهم مستقيم ، وطريقهم واضح ، ودعوتهم بيّنة ، لا فرقة فيهم ولا اختلاف ، فكان الرسل عليهم السلام إذا بلّغوا رسالات ربّهم ، واحتجّوا لله تبارك وتعالى على عباده بحجّة وإقامة معالم الدِّين وأحكامه، قبضهم الله عز وجلّ إليه عند انقضاء آجالهم ومنتهى مدَّتهم ، ومكثت الأُمّة من الأمم بعد نبيّها برهة من دهرها لا تغيّر ولا تبدّل ، ثمّ صار الناس بعد ذلك يتحدّثون الأحداث ، ويبتغون الشهوات ، ويضيّعون العلم ، فكان العالم البالغ المستبصر منهم يخفي شخصه ولا يظهر علمه ، فيعرفونه باسمه ولا يهتدون إلى مكانه ولا يبقى منهم إلّا الخسيس من أهل العلم ، يستخفّ به أهل الجهل والباطل ، فيخمل العلم ويظهر الجهل ، وتتناسل القرون فلا

يعرفون إلّا الجهل .

ويزداد الجهّال استعلاء وكثرة ، والعلماء خمولاً وقلّة ، فحوَّلوا معالم الله تبارك وتعالى عن وجوهها ، وتركوا قصد سبيلها ، وهم مع ذلك مقرّون بتنزيله ، متّبعون شبهه ابتغاء تأويله ، متعلّقون بصفته ، تاركون لحقيقته ، نابذون لأحكامه ، فكلّ صفة جاءت الرسل تدعوا إليها فنحن لهم موافقون في تلك الصفة ، مخالفون لهم في أحكامهم وسيرتهم ، ولسنا نخالفهم في شيء إلّا ولنا عليهم الحجّة الواضحة والبيّنة العادلة من نعت ما في أيديهم من الكتب المنزلة من الله عزّ وجلّ فكلّ متكلّم منهم يتكلّم بشيء من الحكمة فهي لنا وهي بيننا وبينهم تشهد لنا عليهم بأنّها توافق صفتنا وسيرتنا وحكمنا وتشهد عليهم بأنّها مخالفة لسنّتهم وأعمالهم ، فليسوا يعرفون من الكتاب إلّا وصفه ، ولا من الذكر إلّا اسمه ، فليسوا بأهل الكتاب حقيقة حتّى يقيموه .

قال ابن الملك : فما بال الأنبياء والرسل عليهم السلام يأتون في زمان دون زمان ؟

قال الحكيم : إنّما مثل ذلك ، كمثل ملك كانت له أرض موات لاعمران فيها، فلمّا أراد أن يقبل عليها بعمارته أرسل إليها رجلاً جلداً أميناً ناصحاً ، ثم أمره إن يعمر تلك الأرض وأن يغرس فيها صنوف الشجر وأنواع الزرع ، ثمَّ أمره أن لا يعدو ما ألواناً من الغرس معلومة ، وأنواعاً من الزرع معروفة ، ثمّ أمره أن لا يعدو ما سمى له وأن لا يحدث فيها من قبله شيئاً لم يكن أمره به سيّده ، وأمره أن يخرج لها نهراً ويسدَّ عليها حائطاً ، ويمنعها من أن يفسدها مفسدٌ ، فجاء الرسول الّذي أرسله الملك إلى تلك الأرض فأحياها بعد موتها وعمّرها بعد خرابها ، وغرس فيها وزرع من الصنوف الّتي أمره بها ، ثمَّ ساق نهر الماء إليها حتّى نبت الغرس واتّصل الزرع ، ثم لم يلبث قليلاً حتّى مات قيّمها ، وأقام بعده من يقوم مقامه وخلف من بعده خلف خالفوا من أقامة القيّم بعده ، وغلبوه على أمره ، فأخربوا العمران ، وطمّوا الأنهار ، فيبس الغرس ، وهلك الزرع ، فلمّا بلغ الملك خلافهم

على القيّم بعد رسوله وخراب أرضه أرسل إليها رسولاً آخر يحييها ويعيدها ويصلحها كما كانت في منزلتها الأُولى ، وكذلك الأنبياء والرسل عليهم السلام يبعث الله عزّ وجلّ الواحد بعد الواحد فيصلح أمر الناس بعد فساده .

قال ابن الملك أيخصّ الأنبياء والرسل عليهم السلام إذا جاءت[1] بما يبعث به أم تعمّ ؟

قال بلوهر : إنّ الأنبياء والرسل إذا جاءت تدعوا عامّة الناس فمن أطاعهم كان منهم ، ومن عصاهم لم يكن منهم ، وما تخلو الأرض قطّ من أن يكون لله عزّ وجلّ فيها مطاع من أنبيائه ورسله ومن أوصيائه ، وإنّما مثل ذلك مثل طائر كان في ساحل البحر يقال له قدم يبيض بيضاً كثيراً ، وكان شديد الحبِّ للفراخ وكثرتها ، وكان يأتي عليه زمان يتعذّر عليه فيه ما يريده من ذلك ، فلا يجد بدّاً من اتّخاذ أرض أُخرى حتّى يذهب ذلك الزمان فيأخذ بيضه مخافة عليه من أن يهلك من شفقته فيفرّقه في أعشاش الطير فتحضن الطير بيضته مع بيضتها وتخرج فراخه مع فراخها ، فإذا طال مكث فراخ قدم مع فراخ الطير ألفها بعض فراخ الطير واستأنس بها ، فإذا كان الزمان الّذي ينصرف فيه قدم إلى مكانه مرَّ بأعشاش الطير وأوكارها بالليل فأسمع فراخه وغيرها صوته ، فإذا سمعت فراخه صوته تبعته وتبع فراخه ما كان ألفها من فراخ سائر الطير ، ولم يجبه ما لم يكن من فراخه ولا ما لم يكن ألف فراخه وكان قد يضُم إليه من أجابه من فراخه حبّاً للفراخ ، وكذلك الأنبياء إنّما يستعرضون الناس جميعاً بدعائهم فيجيبهم أهل الحكمة والعقل لمعرفتهم لفضل الحكمة ، فمثل الطير الذي دعا بصوته مثل الأنبياء والرسل الّتي تعمّ الناس بدعائهم ، ومثل البيض المتفرّق في أعشاش الطير مثل الحكمة ، ومثل سائر فراخ الطير الّتي ألفت فراخ قدم مثل من أجاب الحكماء قبل مجيء الرسل ، لأنّه عزّ وجلّ جعل لأنبيائه ورسله من الفضل والرأي ما لم يجعل لغيرهم

(١) هكذا في النسخة ـ ولكن الأصحّ : إذا جاؤا .

من الناس ، وأعطاهم من الحجج والنور والضياء ما لم يعط غيرهم ، وذلك لما يريد من بلوغ رسالته ومواقع حججه ، وكانت الرسل إذا جاءت وأظهرت دعوتها أجابهم من الناس أيضاً من لم يكن أجاب الحكماء وذلك لما جعل الله عزّ وجلّ على دعوتهم من الضياء والبرهان .

قال ابن الملك : أفرأيت ما يأتي به الرسل والأنبياء إذ زعمت أنه ليس بكلام الناس وكلام الله عزّ وجلّ وهو كلام وكلام ملائكته كلام .

قال الحكيم : أما رأيت الناس لمّا أرادوا أن يفهموا بعض الدوابّ والطير مايريدون من تقدّمها وتأخّرها وإقبالها وإدبارها لم يجدوا الدوابّ والطير يتحمل كلامهم الّذي هو كلامهم ، فوضعوا من النقر والصفير والزجز ما يبلغوا به حاجتهم وما عرفوا أنّها تطيق حمله ، وكذلك العباد يعجزوا أن يعلموا كلام الله عزّ وجلّ وكلام ملائكته على كنهه وكماله ولطفه وصفته فصار ما تراجع الناس بينهم من الأصوات التي سمعوا بها الحكمة شبيهاً بما وضع الناس للدوابّ ، والطير ولم يمنع ذلك الصوت مكان الحكمة المخبرة في تلك الأصوات من أن تكون الحكمة واضحة بينهم ، قويّة منيرة شريفة عظيمة ، ولم يمنعها من وقوع معانيها على مواقعها وبلوغ ما احتجَّ به الله عزّ وجلّ على العباد فيها فكان الصوت للحكمة جسداً ومسكناً ، وكانت الحكمة للصوت نفساً وروحاً ، ولا طاقة للناس أن ينفذوا غور كلام الحكمة ، ولا يحيطوا به بعقولهم ، فمن قبل ذلك تفاضلت العلماء في علمهم، فلا يزال عالم يأخذ علمه من عالم حتى يرجع العلم إلى الله عزّ وجلّ الّذي جاء من عنده ، وكذلك العلماء قد يصيبون من الحكمة والعلم ما ينجيهم من الجهل ، ولكن لكلٍّ ذي فضل فضله ، كما أن الناس ينالون من ضوء الشمس ما ينتفعون به في معائشهم وأبدانهم ولا يقدرون أن ينفذوها بأبصارهم فهي كالعين الغزيرة الطاهر مجراها ، المكنون عنصرها ، فالناس قد يحيبون بما ظهر لهم من مائها ، ولا يدركون كون غورها وهي كالنجوم الزاهرة التي يهتدي بها الناس ،

ولا يعلمون مساقطها ، فالحكمة أشرف وأرفع وأعظم ممّا وصفناها به كلّه ، هي مفتاح باب كلّ خير ، والنجاة من كلّ شر يتقّى ، وهي شراب الحياة الّتي من شرب منه لم يمت أبداً ، والشفاء للسقم الذي من استشفى به لم يسقم أبداً ، والطريق المستقيم الذي من سلكه لم يضلّ أبداً ، هي حبل الله المتين الّذي لا يخلقه طول التكرار ، من تمسّك به انجلى عنه العمى ، ومن اعتصم به فاز واهتدى ، وأخذ بالعروة الوثق .

قال : فما بال هذه الحكمة التي وصفت بما وصفت من الفضل والشرف والارتفاع والقوّة والمنفعة والكمال والبرهان لا ينتفع بها الناس كلّهم جميعاً ؟

قال الحكيم : إنّما مثل الحكمة كمثل الشمس الطالعة على جميع الناس الأبيض والأسود منهم ، والصغير والكبير ، فمن أراد الانتفاع بها لم تمنعه ولم يحل بينه وبينها من أقربهم وأبعدهم ، ومن لم يرد الانتفاع بها فلا حجّة له عليها ، ولا تمنع الشمس على الناس جميعاً ، ولا يحول بين الناس وبين الانتفاع بها ، وكذلك الحكمة وحالها بين الناس إلى يوم القيامة ، والحكمة قد عمّت الناس جميعاً إلّا أنّ الناس يتفاضلون في ذلك ، والشمس ظاهرة إذ طلعت على الأبصار الناظرة فرّقت بين الناس على ثلاثة منازل ، فمنهم الصحيح البصر الّذي ينفعه الضوء ويقوى على النظر، ومنهم الأعمى القريب من الضوء الّذي لو طلعت عليه شمس أو شموس لم تغن عنه شيئاً ، ومنهم المريض البصر الّذي لا يعدّ في العميان ولا في أصحاب البصر ، كذلك الحكمة هي شمس القلوب إذا طلعت تفرَّق على ثلاثة منازل : منزل لأهل البصر الّذين يعقلون الحكمة فيكونون من أهلها ، ويعملون بها ، ومنزل لأهل العمى الّذين تنبوا الحكمة عن قلوبهم لإنكارهم الحكمة وتركهم قبولها كما ينبو ضوء الشمس عن العميان ، ومنزل لأهل مرضى القلوب الذين يقصر علمهم ، ويضعف عملهم ، ويستوي فيهم السيء والحسن ، والحقّ والباطل ، وإنّ أكثر من تطلع عليه الشمس وهي الحكمة ممّن يعمى عنها.

قال ابن الملك : فهل يسع الرجل الحكمة فلا يجيب إليها حتّى يلبث زماناً ناكباً عنها ، ثمّ يجيب ويراجعها ؟

قال بلوهر : نعم هذا أكثر حالات الناس في الحكمة .

قال ابن الملك : ترى والدي سمع شيئاً من هذا الكلام قطّ ؟

قال بلوهر : لا أراه سمع سماعاً صحيحاً رسخ في قلبه ولا كلّمه فيه ناصح شفيق .

قال ابن الملك : وكيف ترك ذلك الحكماء منه طول دهرهم ؟

قال بلوهر : تركوه لعلمهم بمواضع كلامهم ، فربّما تركوا ذلك ممّن هو أحسن إنصافاً وألين عريكة ، وأحسن استماعاً من أبيك حتّى أنّ الرجل ليعايش الرجل طول عمره بينهما الاستيناس والمودّة والمفاوضة ، ولا يفرّق بينهما شيء إلّا الدين والحكمة ، وهو متفجّع عليه ، متوجّع له ، ثمّ لا يقضي إليه أسرار الحكمة إذ لم يره لها موضعاً . وقد بلغنا أنّ ملكاً من الملوك كان عاقلاً قريباً من الناس مصلحاً لأمورهم ، حسن النظر والانصاف لهم ، وكان له وزير صدق صالح يعينه على الاصلاح ، ويكفيه مؤونته ويشاوره في أموره ، وكان الوزير أديباً عاقلاً ، له دين وورع ونزاهة وزهادة عن الدنيا وكان قد لقي أهل الدين ، وسمع كلامهم ، وعرف فضلهم ، فأجابهم وانقطع إليهم بإخائه وودّه ، وكانت له من الملك منزلة حسنة وخاصّة ، وكان الملك لا يكتمه شيئاً من أمره ، وكان الوزير له أيضاً بتلك المنزلة ، إلاّ أنّه لم يكن ليطلعه على أمر الدين ، ولا يفاوضه أسرار الحكمة ، فعاشا بذلك زماناً طويلاً ، وكان الوزير كلّما دخل على الملك سجد للأصنام وعظّمها وأخذ شيئاً في طريق الجهالة والضلالة تقية له فأشفق الوزير على الملك من ذلك واهتمّ به واستشار في ذلك أصحابه وإخوانه ، فقالوا له : انظر لنفسك وأصحابك فإن رأيته موضعاً للكلام فكلّمه وفاوضه وإلّا فإنّك إنّما تعينه على نفسك ، وتهيجه على أهل دينك ، فإنّ السلطان لا يغترّ به ولا تؤمن سطوته ، فلم يزل الوزير على اهتمامه به

ن الملك مع ضلالته متواضعاً سهلاً قريباً ، حسن السيرة في رعيّته ، حريصاً على إصلاحهم ، متفقّداً لأُمورهم ، فاصطحب الوزير الملك على هذا برهة من زمانه . ثمّ انّ الملك قال للوزير ذات ليلة من الليالي بعدما هدأت العيون : هل لك أن تركب فنسير في المدينة فننظر إلى حال الناس وآثار الأمطار التي أصابتهم في هذه الأيّام ؟

فقال الوزير : نعم ، فركبا جميعاً يجولان في نواحي المدينة فمرّا في بعض الطريق على مزبلة تشبه الجبل ، فنظر الملك إلى ضوء النار تبدو في ناحية المزبلة ، فقال للوزير : إنّ لهذه النار لقصّة فانزل بنا نمشي حتّى ندنو منها فنعلم خبرها ، ففعلا ذلك ، فلمّا انتهيا إلى مخرج الضوء وجدا نقباً شبيهاً بالغار ، وفيه مسكين من المساكين ، ثمّ نظرا في الغار من حيث لا يراهما الرّجل فإذا الرجل مشوه الخلق ، عليه ثياب خلقان من خلقان المزبلة ، متكىء على متّكأ قد هيّأه من الزبل ، وبين يديه إبريق فخار ، فيه شراب وفي يده طنبور ، يضرب بيده وامرأته في مثل خلقه ولباسه قائمة بين يديه تسقيه منها ، وترقص له إذا ضرب ، وتحيّيه بتحية الملوك كلما شرب وهو يسمّيها سيّدة النساء ، وهما يصفان أنفسهما بالحسن والجمال وبينهما من السرور والضحك والطرب مالا يوصف ، فقام الملك على رجليه مليّاً والوزير ينظر كذلك ويتعجّبان من لذّتهما وإعجابهما بما هما فيه ، ثمّ انصرف الملك والوزير فقال الملك : ما أعلمني وإيّاك أصابنا الدهر من اللذة والسرور والفرح مثل ما أصاب هذين الليلة مع أنّي أظنّهما يصنعان كلّ ليلة مثل هذا ، فاغتنم الوزير ذلك منه ، ووجد فرصة فقال له : أخاف أيّها الملك أن يكون دنيانا هذه من الغرور ، ويكون ملكك وما نحن فيه من البهجة والسرور في أعين من يعرف الملكوت الدائم مثل هذه المزبلة ، ومثل هذين الشخصين اللّذين رأيناهما ، وتكون مساكننا وما شيّدنا منها عند من يرجو مساكن السعادة وثواب الآخرة

مثل هذا الغار في أعيننا ، وتكون أجسادنا عند من يعرف الطهارة والنضارة والحسن والصحّة مثل جسد هذا المشوّه الخلق في أعيننا ، ويكون تعجّبهم عن إعجابنا بما نحن فيه كتعجّبنا من إعجاب هذين الشخصين بما هما فيه .

قال الملك : وهل تعرف لهذه الصفة أهلاً ؟

قال الوزير : نعم .

قال الملك : من هم ؟

قال الوزير : أهل الدين الذين عرفوا ملك الآخرة ونعيمها فطلبوه .

قال الملك : وما ملك الآخرة ؟

قال الوزير : هو النعيم الّذي لا بؤس بعده ، والغنى الّذي لا فقر بعده ، والفرح الذي لا فرح بعده ، والصحّة التي لا سقم بعدها والرضى الّذي لا سخط بعده ، والأمن الّذي لا خوف بعده ، والحياة الّتي لا موت بعدها ، والملك الّذي لا زوال له ، التي هي دار البقاء ودار الحيوان ، الّتي لا انقطاع لها ، ولا تغيّر فيها ، رفع الله عزّ وجلّ عن ساكنيها فيها السقم والهرم والشقاء والنصب والمرض والجوع والظمأ والموت ، فهذه صفة ملك الآخرة وخبرها أيها الملك .

قال الملك : وهل تدركون إلى هذه الدّار مطلباً ، وإلى دخولها سبيلاً ؟

قال الوزير : نعم هي مهيّأة ان طلبها من وجه مطلبها ، ومن أتاها من بابها ظفر بها .

قال الملك : ما منعك أن تخبرني بهذا قبل اليوم ؟

قال الوزير : منعني من ذلك إجلالك والهيبة لسلطانك .

قال الملك : لئن كان هذا الأمر الّذي وصفت يقيناً فلا ينبغي لنا أن نضيّعه ولا نترك العمل به في إصابته ، ولكنّا نجتهد حتّى يصحّ لنا خبره .

قال الوزير : أفتأمرني أيّها الملك أن أواضب عليك في ذكره والتكرير له ؟

قال الملك : بل آمرك أن لا تقطع عنّي ليلاً ولا نهاراً ، ولا تريحني ولا تمسك

عنّي ذكره فإنّ هذا أمر عجيب لا يتهاون به ولا يغفل عن مثله ، وكان سبيل ذلك الملك والوزير إلى النجاة قال ابن الملك : ما أنا بشاغل نفسي بشيء من هذه الأمور عن هذا السبيل ولقد حدّثت نفسي بالهرب معك في جوف الليل حيث بدا لك أن تذهب .

قال بلوهر : وكيف تستطيع الذهاب معي والصبر على صحبتي وليس لي جحر يأويني ، ولا دابّة تحملني ، ولا أملك ذهباً ولا فضّة ، ولا أدّخر غذاء العشاء ، ولا يكون عندي فضل ثوب ، ولا أستقرّ ببلدة إلّا قليلاً حتّى أتحوّل عنها ولا أتزوّد من الأرض إلى أرض أُخرى رغيفاً أبداً .

قال ابن الملك : إنّي أرجو أن يقوّيني الذي قوّاك .

قال بلوهر : أمّا إنّك إن أبيت إلّا صحبتي كنت خليقاً أن تكون كالفتى الّذي صاهر الفقير .

قال يوذاسف : وكيف كان ذلك ؟

قال بلوهر : زعموا أنّ فتى كان من أولاد الأغنياء فأراد أبوه أن يزوّجه ابنة عمّ له ذات جمال ومال ، فلم يوافق ذلك الفتى ولم يطّلع أباه على كراهية ذلك حتّى خرج من عنده متوجّهاً إلى أرض أُخرى ، فمرّ في طريقه على جارية عليها ثياب خلقان لها ، قائمة على باب بيت من بيوت المساكين فأعجبته الجارية فقال لها : من أنت أيّتها الجارية ؟

قالت : ابنة شيخ كبير في هذا البيت ، فنادى الفتى الشيخ فخرج إليه ، فقال له : هل تزوّجني ابنتك هذه ؟ قال : ما أنت بمتزوّج لبنات الفقراء وأنت فتى من الأغنياء .

قال : أعجبتني هذه الجارية ، ولقد خرجت هارباً من امرأة ذات حسب ومال أرادوا منّي تزويجها ، فكرهتها ، فزوّجني ابنتك فإنّك واجد عندي خيراً إن شاء الله تعالى .

قال الشيخ : كيف أُزوّجك ابنتي ونحن لا تطيب أنفسنا أن تنقلها عنّا ولا أحتسب مع ذلك أنّ أهلك يرضون أن تنقلها إليهم .

قال الفتى : فنحن معكم في منزلكم هذا .

قال الشيخ : إن صدقت فيما تقول فاطرح عنك زيّك وحليتك هذه .

قال : ففعل الفتى ذلك وأخذ أطماراً رثّة من أطمارهم فلبسها وقعد معهم ، فسأله الشيخ عن شأنه وعرض له بالحديث حتّى فتّش عقله فعرف أنّه صحيح العقل وأنّه لم يحمله على ما صنع السفه ، فقال له الشيخ : أمّا إذا اخترتنا ورضيت بنا فقم معي إلى هذا السرب ، فأدخله فإذا خلف منزله بيوت ومساكن لم ير مثله قطّ سعة وحسناً ، وله خزائن من كلّ ما يحتاج إليه ، ثم دفع إليه مفاتيحه وقال : إنّ كلّ ما هاهنا لك فاصنع به ما أحببت ، فنعم الفتى أنت ، وأصاب الفتى ما كان يريده .

قال يوذاسف : إنّي لأرجو أن أكون أنا صاحب هذا المثل إن الشيخ فتّش عقل هذا الغلام حتّى وثق به ، فلعلّك تطوّل بي على تفتيش عقلي فأعلمني ما عندك في ذلك .

قال الحكيم : لو كان هذا الأمر إليّ لاكتفيت منك بأدنى المشافهة ، ولكن فوق رأسي سنّة قد سنّها أئمّة الهدى في بلوغ الغاية في التوفيق ، وعلم ما في الصدور فإنّي أخاف إن خالفت السنّة أن أكون قد أحدثت بدعة ، وأنا منصرف عنك الليلة وحاضر بابك في كلّ ليلة ، ففكّر في نفسك بهذا واتّعظ به ، وليحضرك فهمك وتثبّت ولا تعجل بالتصديق لما يورده عليك همّك حتى تعلمه بعد التؤدة والأناة وعليك بالاحتراس في ذلك أن يغلبك الهوى والميل إلى الشبهة والعمى ، واجتهد في المسائل التي تظنّ أنّ فيها شبهة ، ثم كلّمني فيها رأيك في الخروج إذا أردت ، وافترقا على هذا تلك الليلة ، ثمّ عاد الحكيم إليه فسلّم عليه ودعا له ، ثمّ جلس ، فكان من دعائه أن قال : أسأل الله الأوّل الّذي لم يكن قبله شيء ، والآخر الّذي

لا يبق معه شيء ، والباقي الّذي لا فناء له ، والعظيم الّذي لا منتهى له ، والواحد الفرد الصمد الّذي ليس معه غيره ، والقاهر الّذي لا شريك له ، والبديع الّذي لا خالق معه ، القادر الّذي ليس له ضدّ ، الصمد الذي ليس له ندّ ، الملك الّذي ليس معه أحد أن يجعلك ملكاً عدلاً ، إماماً في الهدى ، قائداً إلى التقوى ، ومبصراً من العمى، وزاهداً في الدنيا ، ومحباً لذوي النهّى ، ومبغضاً لأهل الردى ، حتّى يفضي بنا وبك إلى ما وعد الله أوليائه على ألسنة أنبيائه من جنّته ورضوانه ، فإنّ رغبتنا إلى الله في ذلك ساطعة ، ورهبتنا منه باطنة ، وابصارنا إليه شاخصة ، وأعناقنا له خاضعة ، وأمورنا إليه صائرة . فرقّ ابن الملك لذلك الدعاء رقّة شديدة ، وازداد في الخير رغبة ، وقال متعجّباً من قوله : أيّها الحكيم أعلمني كم أتى لك من العمر ؟

فقال : اثنتا عشر سنة ، فارتاع لذلك ابن الملك ، وقال : ابن اثنتي عشر سنة طفل وأنت مع ما أرى من التكهّل كابن ستّين سنة .

قال الحكيم : أمّا المولد فقد راهق الستين سنة ، ولكنّك سألتني عن العمر وإنّما العمر الحياة ، ولا إلاّ في الدين والعمل به ، والتخلّي من الدنيا ولم يكن ذلك لي إلّا من اثنتي عشرة سنة ، فأمّا قبل ذلك فإنّي كنت ميّتاً ولست أعتمد في عمري بأيّام الموت .

قال ابن الملك : كيف تجعل الآكل والشارب والمتقلّب ميتاً ؟

قال الحكيم : لأنّه شارك الموتى في العمى والصمّ والبكم وضعف الحياة وقلّة الغنى ، فلمّا شاركهم في الصفه وافقهم في الاسم .

قال ابن الملك : لئن كنت لا تعدّ حياتك تلك حياة ولا غبطة ما ينبغي لك أن تعدّ ما تتوقّع من الموت موتاً ، ولا تراه مكروهاً .

قال الحكيم : تغريري في الدخول عليك بنفسي يا ابن الملك مع علمي لسطوة أبيك على أهل ديني يدلّك على أنّي لا أرى الموت موتاً ، ولا أرى هذه الحياة حياة ، ولا ما أتوقّع من الموت مكروهاً ، فكيف يرغب في الحياة من قد

ترك حظّه منها ؟

أو يهرب من الموت من قد أمات نفسه بيده ، أو لا ترى يا ابن الملك أنّ صاحب الدين قد رفض الدنيا من أهله وماله وما لا يرغب فيها إلاّ له واحتمل من نصب العبادة ما لا يريحه منه إلّا الموت ، فما حاجة من لا يتمتّع بلذّة الحياة إلى الحياة ؟ أو يهرب من لا راحة له إلّا الموت من الموت .

قال ابن الملك : صدقت أيّها الحكيم ، فهل يسرّك أن ينزل بك الموت من غد ؟

قال الحكيم : بل يسرّني أن ينزل بي الليلة دون غد فإنّه من عرف السيّء والحسن وعرف ثوابهما من الله عزّ وجلّ ترك السيء مخافة عقابه ، وعمل الحسن رجاء ثوابه ، ومن كان موقناً بالله وحده مصدّقاً بوعده فإنّه يحبّ الموت لما يرجو بعد الموت من الرخاء ويزهد في الحياة لما يخاف على نفسه من الشهوات الدنيا والمعصية لله فيها فهو يحبّ الموت مبادرة من ذلك .

فقال ابن الملك : إنّ هذا لخليق أن يبادر الهلكة لما يرجو في ذلك من النجاة ، فاضرب لي مثل أُمّتنا هذه وعكوفها على أصنامها .

قال الحكيم : إنّ رجلاً كان له بستان يعمره ، ويحسن القيام عليه إذ رأى في بستانه ذات يوم عصفوراً واقعاً على شجرة من شجر البستان يصيب من ثمرها فغاضه ذلك فنصب فخّاً فصاده ، فلمّا همَّ بذبحه أنطقه الله عزَّ وجلَّ بقدرته ، فقال لصاحب البستان : إنّك تهتمّ بذبحي وليس فيّ ما يشبعك من جوع ولا يقوّيك من ضعف فهل لك في خير عمّا هممت به ؟

قال الرّجل : ما هو ؟

قال العصفور : تخلّي سبيلي ، وأعلّمك ثلاث كلمات إن أنت حفظتهنّ كان خيراً لك من أهل ومال هو لك .

قال : قد فعلت فأخبرني بهنَّ .

قال العصفور : احفظ عنّي ما أقول لك : لا تأس على ما فاتك ، ولا تصدّقن بما لا يكون ، ولا تطلبن ما لا تطيق ، فلمّا قضى الكلمات خلّى سبيله ، فطار فوقع على بعض الأشجار ، ثم قال للرجل : لو تعلم ما فاتك منّي لعلمت أنّك قد فاتك منّي عظيم جسيم من الأمر .

فقال الرجل وما ذاك ؟

قال العصفور : لو كنت قضيت على ما هممت به من ذبحي لا ستخرجت من حوصلتي درّة كبيضة الأوزة فكان لك في ذلك غنى الدهر ، فلمّا سمع الرّجل منه ذلك اسرَّ في نفسه ندماً على ما فاته ، وقال : دع عنك ما مضى ، وهلمّ أنطلق بك إلى منزلي فأحسن صحبتك ، وأكرم مثواك .

فقال له العصفور : أيّها الجاهل ما أراك حفظتني إذا ظفرت بي ، ولا انتفعت بالكلمات الّتي افتديت بها منك نفسي ، ألم أعهد إليك ألّا تأس على ما فاتك ، ولا تصدِّق ما لا يكون ، ولا تطلب ما لا يدرك ؟ أما أنت متفجّع على ما فاتك ، وتلتمس منّي رجعتي إليك ، وتطلب ما لا تدرك ، وتصدّق أنّ في حوصلتي درَّة كبيضة الأوزة ، وجميعي أصغر من بيضها ، وقد كنت عهدت إليك أن لا تصدّق بما لا يكون . وانّ أُمّتكم صنعوا أصنامهم بأيديهم ثمّ زعموا أنّها هي الّتي خلقتهم وحفظوها من أن تسرق مخافة عليها وزعموا أنّها هي الّتي تحفظهم ، وأنفقوا عليها من مكاسبهم وأموالهم ، وزعموا أنّها هي الّتي ترزقهم فطلبوا من ذلك ما لا يدرك ، وصدّقوا بما لا يكون ، فلزمهم منه ما لزم صاحب البستان .

قال ابن الملك : صدقت أمّا الأصنام فإنّي لم أزل عارفاً بأمرها ، زاهداً فيها ، آيساً من خيرها ، فأخبرني بالّذي تدعوني إليه والّذي ارتضيته لنفسك ما هو ؟

قال بلوهر : جماع الدين أمران ، أحدهما معرفة الله عزّ وجلّ ، والآخر العمل برضوانه .

قال ابن الملك : وكيف معرفة الله عزّ وجلّ ؟

قال الحكيم : أدعوك إلى أن تعلم أنّ واحد ليس له شريك ، لم يزل فرداً ربّاً، وما سواه مربوب ، وأنّه خالق وما سواه مخلوق ، وأنه قديم وما سواه محدث ، وأنّه صانع وما سواه مصنوع ، وأنّه مدبِّر وما سواه مدبَّر ، وأنّه باق وما سواه فان ، وأنّه عزيز وما سواه ذليل ، وأنّه لا ينام ولا يغفل ولا يأكل ولا يشرب ولا يضعف ولا يغلب ولا يعجزه شيء ، لم تمتنع منه السماوات والأرض والهواء والبرّ والبحر ، وأنّه كوّن الأشياء لا من شيء ، وأنّه لم يزل ولا يزال ، ولا تحدث فيه الحوادث ، ولا تغيّره الأحوال ، ولا تبدّله الأزمان ، ولا يتغيّر من حالٍ إلى حالٍ ، ولا يخلو منه مكان ، ولا يشتغل به مكان ، ولا يكون في مكان أقرب منه إلى مكان ، ولا يغيب عنه شيء ، عالم لا يخفى عليه شيء ، قديرٌ لا يفوته شيء ، وأن تعرفه بالرأفة والرحمة والعدل ، وأنّ له ثواباً أعدّه لمن أطاعه ، وعذاباً أعدّه لمن عصاه ، وأن تعمل لله برضاه ، وتجتنب سخطه .

قال ابن الملك : فما يرضي الواحد الخالق من الأعمال ؟

قال الحكيم : يا ابن الملك أن تصبه ، وأن تأتي إلى غيرك ما تحبّ أن يؤتى إليك ، وتكفَّ عن غيرك ما تحبّ أن يكفَّ عنك في مثله ، فإنَّ ذلك عدل وفي العدل رضاه ، وفي اتباع آثار أنبياء الله ورسله بأن لاتعدو سنتّهم .

قال ابن الملك : زدني أيّها الحكيم تزهيداً في الدنيا وأخبرني بحالها .

قال الحكيم : إنّي لمّا رأيت الدنيا دار تصرّف وزوال وتقلّب من حالٍ إلى حالٍ ، ورأيت أهلها فيها أغراضاً للمصائب ، ورهائن للمتالف ، ورأيت صحّة بعدها سقماً ، وشباباً بعده هرماً ، وغنى بعده فقراً ، وفرحاً بعده حزناً ، وعزّاً بعده ذلّاً ، ورخاء بعده شدَّة ، وأمناً بعده خوفاً ، وحياة بعدها مماة ، ورأيت أعماراً قصيرة ، وحتوفا راصدة ، وسهاماً قاصدة ، وأبداناً ضعيفة مستسلمة ، غير ممتنعة ولا حصينة ، عرفت أن الدنيا منقطعة بالية فانية ، وعرفت بما ظهر لي منها ما غاب عنّي منها ، وعرفت بظاهرها باطنها ، وغامضها بواضحها ، وسرّها بعلانيتها ،

وصدورها ، فحذرتها لما عرفتها ، وفررت منها لما أبصرتها بينا ترى المرء فيها مغتبطاً محبوراً ، وملكاً مسروراً في خفض ودعة ونعمة وسعة في بهجة من شبابه ، وحداثة من سنّه ، وغبطة من ملكه ، وبهاء من سلطانه ، وصحّة من بدنه إذا انقلبت الدنيا به أسرّ ما كان فيها نفساً ، وأقرّ ما كان فيها عيناً ، فأخرجته من ملكها ، وغبطتها وخفضها ودعتها وبهجتها ، فأبدلته بالعزِّ ذلّاً ، وبالفرح ترحاً ، وبالسرور حزناً ، وبالنعمة بؤساً ، وبالغنى فقراً ، وبالسعة ضيقاً ، وبالشباب هرماً ، وبالشرف ضعة ، وبالحياة موتاً ، فدلّته في حفرة ضيّقة شديدة الوحشة ، وحيداً فريداً غريباً ، قد فارق الأحبّة وفارقوه ، وخذله إخوانه فلم يجد عندهم دفعاً ، وصار عزّه وملكه وأهله وماله نهبة من بعده ، كأن لم يكن في الدنيا ولم يذكر فيها ساعة قطّ ولم يكن له فيها خطر ، ولم يملك من الأرض حظّاً قطُّ فلا تتخذ فيها يا ابن الملك داراً ولا تتّخذنّ فيها ولا عقاراً ، فأُفّ لها وتف .

قال ابن الملك : أفّ لها ولمن يغترّ بها إذ كان هذا حالها ، ورقّ ابن الملك وقال : زدني أيّها الحكيم من حديثك فإنّه شفاء لما في صدري .

قال الحكيم : إنّ العمر قصير ، والليل والنهار يسرعان فيها ، والارتحال من الدنيا حثيث قريب ، وإنّه وإن طال العمر فيها فإنّ الموت نازل ، والظاعن لا محالة راحلٌ ، فيصير ما جمع فيها مفرّقاً ، وما عمل فيها متبّراً ، وما شيّد فيها خراباً ، ويصير اسمه مجهولاً ، وذكره منسيّاً ، وحسبه خاملاً ، وجسده بالياً ، وشرفه وضيعاً ، ونعمته وبالاً ، وكسبه خساراً ، ويورث سلطانه ، ويستذلّ عقبه ، ويستباح حريمه ، وتنقض عهوده ، وتخفر ذمّته ، وتدرس آثاره ، ويوزَّع ماله ، ويطوى رحله ، ويفرح عدوّه ، ويبيد ملكه ، ويورث تاجه ، ويتخلف على سريره ، ويخرج من مساكنه مسلوباً مخذولاً ، فيذهب به إلى قبره فيدلى في حفرته في وحدة وغربة وظلمة ووحشة ومسكنة وذلّة ، قد فارق الأحبّة ، وأسلمته العصبة فلا تؤنس وحشته أبداً ، ولا تردّ غربته أبداً ، واعلم أنّها يحقّ على المرء

اللبيب من سياسة نفسه خاصّة كسياسة الإمام العادل الحازم الّذي يؤدّب العامّة، ويستصلح الرعيّة ويأمرهم بما يصلحهم، وينهاهم عمّا يفسدهم، ثمّ يعاقب من عصاه منهم، ويكرم من أطاعه منهم، فكذلك للرجل اللبيب أن يؤدّب نفسه في جميع أخلاقها وأهوائها وشهواتها وأن تحملها وإن كرهت على لزوم منافعها فيما أحبّت وكرهت وعلى اجتناب مضارّها، وأن يجعل لنفسه عن نفسه ثواباً وعقاباً من مكانها من السرور إذا أحسنت، ومن مكانها من الغمّ إذا أساءت وممّا يحقّ على ذي العقل النظر فيما ورد عليه من أموره، والأخذ بصوابها، وينهى نفسه عن خطائها، وأن يحتقر عمله ونفسه في رأيه لكيلا يدخله عجبٌ، فإنَّ الله عزّ وجلّ قد مدح أهل العقل وذمَّ أهل العجب، ومن لا عقل له، وبالعقل يدرك كلَّ خير بإذن الله تبارك وتعالى، وبالجهل تهلك النفوس، وانَّ من أوثق الثقات عند ذوي الألباب ما أدركته عقولهم، وبلغته تجاربهم، ونالته أبصارهم في الترك للأهواء والشهوات، وليس ذو العقل بجدير أن يرفض ما قوي على حفظه من العمل احتقاراً له إذا لم يقدر على ما هو أكثر منه، وإنّما هذا من أسلحة الشيطان الغامضة الّتي لا يبصرها إلّا من تدبّرها، ولا يسلم منها إلّا من عصمه الله منها، ومن أسلحته سلاحان أحدهما إنكار العقل أن يوقع في قلب الإنسان العاقل أنّه لا عقل له ولا بصر ولا منفعة له في عقله وبصره، ويريد أن يصدّه عن محبّة العلم وطلبه، ويزيّن له في عقله الاشتغال بغيره من ملاهي الدنيا، فإن أتبعه الإنسان العاقل من هذا الوجه فهو ظفره، وإن عصاه وغلبه فرغ إلى السلاح الآخر وهو أن يجعل الإنسان إذا عمل شيئاً وأبصره عرض له بأشياء لا يبصرها ليغمزه ويضجره بما لا يعلم حتّى يبغّض إليه ما هو فيه بتضعيف عقله عنده، وبما يأتيه من الشبهة، ويقول: ألست ترى أنّك لا تستكمل هذا الأمر ولا تطيقه أبداً فبم تعنى نفسك وتشقيها فيما لا طاقة لك به، فبهذا السلاح صرع كثيراً من الناس، فاحترس من أن تدع اكتساب علم ما تعلمه وأن تخدع عمّا اكتسبت منه، فإنّك في دار قد

استحوذ على أكثر أهلها الشيطان بألوان حيله ، ووجوه ضلالته ، ومنهم من قد ضرب على سمعه وعقله وقلبه فتركه لا يعلم شيئاً ، ولا يسأل عن علم ما جهل منه كالبهيمة ، وإنّ لعامّتهم أدياناً مختلفة فمنهم المـجتهدون في الضـلالة حـتّى أنّ بعضهم ليستحلّ دم بعض وأموالهم ، ويموّه ضلالتهم بأشياء من الحقّ ليلبس عليهم دينهم ، ويزيّنه لضعيفهم ، ويصدّهم عن الدين القيّم ، فالشيطان وجنوده دائبون في إهلاك الناس وتضليلهم ، لا يسأمون ولا يفترون ولا يحصي عددهم إلّا الله ، ولا يستطاع دفع مكائدهم إلّا بعون من الله عزّ وجلّ والاعتصام بدينه ، فنسأل الله تعالى توفيقاً لطاعته ونصراً على عدوّنا ، فإنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله .

قال ابن الملك : صف لي الله سبحانه وتعالى حتّى كأنّي أراه .

قال : إنّ الله تقدّس ذكره لا يوصف بالروية ولا يبلغ بالعقول كنه صفته ، ولا تبلغ الألسن كنه مدحته ، ولا يحيط العباد من علمه إلّا بما علمهم منه عـلى ألسنة أنبيائه عليهم السلام بما وصف به نفسه ، ولا تدرك الأوهام عظم ربوبيّته ، هو أعلى من ذلك وأجلّ وأعزّ وأعظم وأمنع وألطف ، فتّاح للعباد من عـلمه بمـا أحبَّ ، وأظهرهم من صفته على ما أراد ، وأدلّهم على معرفته ومعرفة ربوبيّته بإحداث ما لم يكن ، وإعدام ما أحدث .

قال ابن الملك : وما الحجّة ؟

قال : إذا رأيت شيئاً مصنوعاً غاب عنك صانعه علمت بعقلك أنّ له صانعاً ، فكذلك السماء والأرض وما بينهما ، فأيّ حجة أقوى من ذلك .

قال ابن الملك : فأخبرني أيّها الحكيم أبقدر من الله عز وجلّ يصيب الناس ما يصيبهم من الأسقام والأوجاع والفقر والمكاره أو بغير قدر ؟

قال بلوهر : لا بل بقدر .

قال : فأخبرني عن أعمالهم السيئة .

قال : إنّ الله عزّ وجلّ من سيء أعمالهم بريء ولكنّه عـزّ وجـلّ أوجب

الثواب العظيم لمن أطاعه ، والعقاب الشديد لمن عصاه .

قال : فأخبرني من أعدل الناس ومن أجورهم ، ومن أكيسهم ومن أحمقهم، ومن أشقاهم ومن أسعدهم ؟

قال : أعدلهم أنصفهم من نفسه ، وأجورهم من كان جوره عنده عدلاً وعدل أهل العدل عنده جوراً ، وأمّا أكيسهم فمن أخذ لآخرته أهبتها ، وأحمقهم من كانت الدنيا همّه ، والخطايا عمله ، وأسعدهم من ختم عاقبة عمله بخير ، وأشقاهم من ختم له بما يسخط الله عزّ وجلّ .

ثم قال : من دان الناس بما إن دين بمثله هلك فذلك المسخط لله ، المخالف لما يحبّ ، ومن دانهم بما إن دين بمثله صلح فذلك المطيع لله الموافق لما يحبّ المجتنب لسخطه ، ثم قال : لا تستقبحنَّ الحسن وإن كان في الفجّار ولا تستحسننّ القبيح وإن كان في الأبرار .

ثم قال له : أخبرني أيّ الناس أولى بالسعادة ؟ وأيّهم أولى بالشقاوة ؟

قال بلوهر : أولاهم بالسعادة المطيع لله عزّ وجلّ في أمره ، والمجتنب لنواهيه ، وأولاهم بالشقاوة العامل بمعصية الله ، التارك لطاعته ، المؤثر لشهوته على رضى الله عزّ وجلّ .

قال : فأيّ الناس أطوعهم لله عزّ وجلّ ؟

قال : أتبعهم لأمره ، وأقواهم في دينه ، وأبعدهم من العمل بالسيئات .

قال : فما الحسنات والسيئات ؟

قال : الحسنات صدق النيّة والعمل ، والقول الطيّب ، والعمل الصالح ، والسيئات سوء النية ، وسوء العمل ، والقول السيء .

قال : فما صدق النيّة ؟

قال : الاقتصاد في الهمّة .

قال : فما سوء القول ؟

قال : الكذب .

قال : فما سوء العمل ؟

قال : معصية الله عزّ وجلّ .

قال : أخبرني كيف الاقتصاد في الهمّة ؟

قال : التذكر لزوال الدنيا وانقطاع أمرها ، والكفّ عن الأمور الّتي فيها النقمة والتبعة في الآخرة .

قال : فما السخاء ؟

قال : إعطاء المال في سبيل الله عزّ وجلّ .

قال : فما الكرم ؟

قال : التقوى .

قال : فما البخل ؟

قال : منع الحقوق عن أهلها ، وأخذها من غير وجهها .

قال : فما الحرص ؟

قال : الإخلاد إلى الدنيا ، والطماح إلى الأمور الّتي فيها الفساد ، وثمرتها عقوبة الآخرة .

قال : فما الصدق ؟

قال : طريقة في الدين بأن لا يخادع المرء نفسه ولا يكذبها .

قال : فما الحمق ؟

قال : الطمأنينة إلى الدنيا ، وترك ما يدوم ويبقى .

قال : فما الكذب ؟

قال : أن يكذب المرء نفسه فلا يزال بهواه شغفاً ، ولدينه مسوّفاً .

قال : أيّ الرجال أكملهم في الصلاح ؟

قال : أكملهم في العقل ، وأبصرهم بعواقب الأمور ، وأعلمهم بخصومه ،

وأشدّهم منهم احتراساً .

قال : أخبرني ما تلك العاقبة ، وما أُولئك الخصماء الّذين يعرفهم العـاقل فيحترس منهم ؟

قال : العاقبة الآخرة ، والعناء الدنيا .

قال : فما الخصماء ؟

قال : الحرص والغضب والحسد والحميّة والشهوة والرياء واللجاجة .

قال : أيّ هؤلاء الذين عددت أقوى وأجدر أن لا يسلم منه ؟

قال الحرص أقلّ رضاً ، وأفحش غضباً ، والغضب أجور سـلطاناً وأقـلّ شكراً ، وأكسب للبغضاء ، والحسد أسوء الخيبة للنيّة ، وأخلف للظنّ ، والحميّة أشدّ لجاجة وأفضع معصية ، والحقد أطول توقّداً وأقل رحمة ، وأشدّ سطوة ، والرياء أشدّ خديعة ، وأخفى اكتناناً وأكذب ، واللجاجة أعي خصومة ، واقطع معذرة .

قال : أيّ مكائد الشيطان للناس في هلاكهم أبلغ ؟

قال : تعميته عليهم البر والإثم والثواب والعقاب وعـواقب الأمـور في ارتكاب الشهوات .

قال : أخبرني بالقوَّة التي قوّى الله عزّ وجلّ بها العباد في تـغالب تـلك الأُمور السيّئة والأهواء المردية ؟

قال : العلم والعقل والعمل بهما ، وصبر النفس عن شهواتهـا ، والرجـاء للثواب في الدين ، وكثرة الذكر لفناء الدنيا ، وقرب الأجل ، والاحتفاظ من أن ينقض ما يبقى بما يفنى ، واعتبار ماضي الأُمور بعاقبتها ، والاحتفاظ بما لا يعرف إلّا عند ذوي العقول وكفِّ النفس عن العادة السيئة ، والخلق وذلك بحملها على العادة الحسنة ، وأن يكون أمل المرء بقدر عيشه حتّى يبلغ غايته ، فإنّ ذلك هو القنوع وعمل الصبر والرضا بالكفاف واللزوم للقضاء والمعرفة بما فيه في الشدَّة من التعب وما في الإفراط من الاغتراف ، وحسن العزاء عمّا فات ، وطيب النفس

عنه، وترك معالجة ما لا يتمّ، والصبر بالأُمور الّتي إليها يرد، واختيار سبيل الرشد على سبيل الغيّ، وتوطين النفس على أنّه إن عمل خيراً جزي به وإن عمل شرّاً جزي به، والمعرفة بالحقوق والحدود في التقوى، وعمل النصيحة، وكفّ النفس عن اتّباع الهوى وركوب الشهوات، وحمل الأمور على الرأي والأخـذ بـالجزم والقوّة، فإن أتاه البلاء أتاه وهو معذور غير معلوم.

قال ابن الملك: أيّ الأخلاق أكرم واعزّ؟

قال: التواضع ولين الكلمة للإخوان في الله عزّ وجلّ.

قال: أيّ العبادة أحسن؟

قال: الوقار والمودة.

قال: فأخبرني أيّ الشيم أفضل؟

قال: حبّ الصالحين.

قال: أيّ الذكر أفضل؟

قال: ما كان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال: فأيّ الخصوم ألدّ؟

قال: ترك الذنوب.

قال ابن الملك: أخبرني أيّ الفضل أفضل؟

قال: الرضا بالكفاف.

قال: أخبرني أيّ الأدب أحسن؟ قال: أدب الدين.

قال: أيّ الشيء أجفا؟

قال: السلطان العاتي، والقلب القاسي.

قال: أيّ شيء أبعد غاية؟

قال: عين الحريص التي لا يشبع من الدّنيا.

قال: أيّ الأمور أخبث عاقبة؟

قال : التماس رضى الناس في سخط الله عزَّ وجلَّ .
قال : أيّ شيء أسرع تقلّباً ؟
قال : قلوب الملوك الذين يعملون للدّنيا .
قال : فأخبرني أيّ الفجور أفحش ؟
قال : إعطاء عهد الله والغدر فيه .
قال : فأيّ شيء أسرع انقطاعاً ؟
قال : مودة الفاسق .
قال : فأيُّ شيء أخون ؟
قال : الكاذب .
قال : فأيُّ شيء أشدُّ اكتتاماً ؟
قال : شر المرائي المخادع .
قال : فأيّ شيء أشبه بأحوال الدّنيا ؟
قال : أحلام النائم .
قال : أيّ الرجال أفضل رضى ؟
قال : أحسنهم ظنّاً بالله عزّ وجلّ ، وأتقاهم ، وأقلّهم غفلة عن ذكـر الله وذكر الموت وانقطاع المدَّة .
قال : أيّ شيء من الدنيا أقرّ للعين ؟
قال : الولد الأديب والزوجة الموافقة المؤاتية المعينة على أمر الآخرة .
قال : أيّ الدَّاء ألزم في الدّنيا ؟
قال : الولد السوء والزوجة السوء الذين لا يجد منهما بدّاً .
قال : أيّ الخفض أخفض ؟
قال : رضى المرء بحظّه واستيناسه بالصالحين .
ثم قال ابن الملك للحكيم : فرّغ لي ذهنك ، فقد أردت مساءلتك عن أهمّ

الاشياء إليّ بعد إذ بصّرني الله عزّ وجلّ من أمري ما كنت به جاهلاً ، ورزقني من الدين ما كنت منه آيساً .

قال الحكيم : سل عمّا بدا لك .

قال ابن الملك : أرأيت من أُوتي الملك طفلاً ، ودينه عبادة الاوثان ، وقد غذي بلذّات ، واعتادها ونشأ فيها إلى أن كان رجلاً وكهلاً لا ينتقل من حالته تلك في جهالته بالله تعالى ذكره وإعطائه نفسه شهواتها متجرّداً لبلوغ الغاية فيما زين له من تلك الشهوات مشتغلاً بها ، مؤثراً لها ، جرياً عليها ، لا يرى الرشد إلّا فيها ، ولا تزيده الأيام إلّا حباً لها ، واغتراراً بها ، وعجباً وحبّاً لأهل ملّته ورأيه ، وقد دعته بصيرته في ذلك إلى أن جهل أمر آخرته وأغفلها فاستخفّها وسهى عنها قساوة قلب وخبث نيّة وسوء رأي ، واشتدَّت عداوته لمن خالفه من أهل الدين ، والاستخفاء بالحقّ ، والمغيبين لأشخاصهم انتظاراً للفرج من ظلمه وعداوته ، هل يطمع له ان طال عمره في النزوع عمّا هو عليه والخروج منه الى ما الفضل فيه بيّن والحجة فيه واضحة ! والحظ جزيل من لزوم ما ابصرت من الدين ، فيأتي ما يرجى له بعد مغفرة ما قد سلف من ذنوبه ، وحسن الثواب في مآبه .

قال الحكيم : قد عرفت هذه الصفة ، وما دعاك إلى هذه المسألة ؟

قال ابن الملك : ما ذاك منك بمستنكر لفضل ما أوتيت من الفهم وخصصت به من العلم .

قال الحكيم : أمّا صاحب هذه الصفة فالملك والذي دعاك إليه العناية بما سألت عنه ، والاهتمام به من أمره ، والشفقة عليه من عذاب ما أوعد الله عزّ وجلّ من كان على مثل رأيه وطبعه وهواه ، مع ما نويت من ثواب الله تعالى ذكره في أداء حقّ ما أوجب الله عليك له ، وأحسبك تريد بلوغ غاية العذر في التلطّف لإنفاذه وإخراجه عن عظيم الهول ودائم البلاء الّذي لا انقطاع له من عذاب الله إلى السّلامة وراحة الأبد في ملكوت السّماء .

قال ابن الملك : لم تحرم حرفاً عمّا أردت فأعلمني رأيك فيما عنوت من أمر الملك وحاله التي أتخوّف أن يدركه الموت عليها فتصيبه الحسرة والنّدامة حين لا أُغني عنه شيئاً ، فاجعلني منه على يقين ، وفرِّج عنّي ، فأنابه مغموم شديد الاهتمام به ، فإنّي قليل الحيلة فيه .

قال الحكيم : أمّا رأينا فإنّا لا نبعد مخلوقاً من رحمة الله خالقه عزّ وجلّ ، ولا تيأس له منها ما دام فيه الروح ، وإن كان عاتياً طاغياً ضالاً لما قد وصف ربّنا تبارك وتعالى نفسه من التحنّن والرأفة والرحمة ، ودلّ من الايمان ، وما أمر به من الاستغفار والتوبة ، وفي هذا فضل الطمع لك في حاجتك إن شاء الله تعالى وزعموا أنّه كان في زمن من الازمنة ملك عظيم الصوت في العلم ، رفيق سايس يحبّ العدل في أمته ، والإصلاح لرعيّته ، عاش بذلك زماناً بخير حال ، ثمّ هلك فجزعت عليه أُمّته ، وكان بامرأة له حمل ، فذكر المنجّمون والكهنة أنّه غلام ، وكان يدبر ملكهم من كان يلي ذلك في زمان ملكهم ، فاتّفق الأمر كما ذكره المنجّمون والكهنة ، وولد من ذلك الحمل غلام ، فأقاموا عند ميلاده سنة بالمعازف والملاهي والأشربة والأطعمة ، ثمَّ إنّ أهل العلم منهم والفقه والربّانيّين قالوا لعامّتهم : إنَّ هذا المولود إنّما هو هبة من الله تعالى ، وقد جعلتم الشكر لغيره ، وإن كان هبة من غير الله عزّ وجلّ فقد أدّيتم الحقَّ إلى من أعطاكموه ، واجتهدتم في الشكر لمن رزقتموه ، فقال لهم العامّة : ما وهبه لنا إلّا الله تبارك وتعالى ، ولا امتن به علينا غيره ، قال العلماء : فإن كان الله عزَّ وجلَّ هو الذي وهبه لكم فقد أرضيتم غير الذي أعطاكم ، واسخطتم الله الّذي وهبه لكم .

فقالت لهم الرعيّة : فاشيروا لنا أيّها الحكماء ، وأخبرونا أيّها العلماء فنتّبع قولكم ، ونتقبّل نصيحتكم ، وأمرونا بامركم .

قالت العلماء : فإنّا نرى لكم أن تعدوا عن اتّباع مرضاة الشيطان بالمعازف والملاهي والمسكر إلى ابتغاء مرضاة الله عزّ وجلّ وشكره على ما أنعم به عليكم

أضعاف شكركم للشيطان حتى يغفر لكم ما كان منكم .

قالت الرعية : لا تحمل أجسادنا كلَّ الذي قلتم وأمرتم به .

قالت العلماء : يا أولي الجهل كيف أطعتم من لا حقَّ له عليكم ، وتعصون من له الحقّ الواجب عليكم ؟ وكيف قويتم على ما لا ينبغي وتضعفون عمّا ينبغي ؟

قالوا لهم : يا أئمّة الحكماء عظمت فينا الشهوات وكثرت فينا اللذات فقوينا بما عظم فينا منها على العظيم من مشكلها ، وضعفت منّا النيّات فعجزنا عن حمل المثقّلات ، فأرضوا منّا في الرجوع عن ذلك يوماً فيوماً ، ولا تكلّفونا كلّ هذا الثقل .

قالوا لهم : يا معشر السفهاء ألستم أبناء الجهل وإخوان الضلال حين خفت عليكم الشقوة ، وثقلت عليكم السعادة .

قالوا لهم : أيّها السادة الحكماء والقادة العلماء إنّا نستجير من تعنيفكم إيّانا بمغفرة الله عزّ وجلّ ، ونستتر من تعييركم لنا بعفوه فلا تؤنبونا ، ولا تعيّرونا بضعفنا ، ولا تعيبوا الجهالة علينا ، فإنّا إن أطعنا الله مع عفوه وحلمه وتضعيفه الحسنات ، أو اجتهدنا في عبادته مثل الذي بذلنا لهوانا من الباطل بلغنا حاجتنا ، وبلغ الله عزّ وجلّ بنا غايتنا ، ورحمنا كما خلقنا .

فلمّا قالوا ذلك أقرّهم علماؤهم ورضوا قولهم فصلوا وتعبدوا وأعظموا الصدقات سنة كاملة .

فلمّا انقضى ذلك منهم .

قالت الكهنة إنّ الذي صنعت هذه الأمّة على هذا المولود يخبر أنّ هذا الملك يكون فاجراً ، ويكون بارّاً ، ويكون متجبّراً ويكون متواضعاً ويكون مسيئاً ويكون محسناً . وقال المنجّمون مثل ذلك ، فقيل لهم : كيف قلتم ذلك ؟ قال الكهنة : قلنا هذا من قبل اللهو والمعازف والباطل الذي صنع عليه ، وما صنع عليه من ضدّه بعد ذلك .

وقال المنجمون : قلنا ذلك من قبل استقامة الزّهرة والمشتري . فنشأ الغلام بكبر لا يوصف عظمته ، ومرح لا ينعت ، وعدوان لا يطاق ، فعسف وجار وظلم في الحكم وغشم ، وكان أحب الناس إليه من وافقه على ذلك ، وأبغض الناس إليه من خالفه في شيء من ذلك ، واغترّ بالشباب والصحة والقدرة والظفر والنظر فامتلأ سروراً وإعجاباً بما هو فيه ، ورأى كلّما يحبّه ، وسمع كلّما اشتهى ، حتى بلغ اثنين وثلاثين سنة ، ثم جمع نساء من بنات الملوك ، وصبياناً والجواري والمخدّرات ، وخيله المطهمات العتاق ،وألوان مراكبه الفاخرة ، ووصائفه وخدَّامه الذين يكونون في خدمته ، فأمرهم أن يلبسوا أجدد ثيابهم ، ويتزيّنوا بأحسن زينتهم ، وأمر ببناء مجلس مقابل مطلع الشمس ، صفائح أرضه الذهب مفضّضاً بأنواع الجواهر ، طوله مائة وعشرون ذراعاً ، وعرضه ستون ذراعاً ، مزخرفاً سقفه وحيطانه ، قد زيّن بكرائم الحلي ، وصنوف الجوهر واللؤلؤ النظيم وفاخره ، وأمر بضروب الأموال ، فأخرجت من الخزائن ، ونضّدت سماطين أمام مجلسه ، وأمر جنوده وأصحابه وقوّاده وكتّابه وحجّابه وعظماء أهل بلاده وعلمائهم فحضروا في أحسن هيئتهم وأجمل جمالهم ، وتسلّح فرسانه وركبت خيوله في عدّتهم ، ثمَّ وقفوا على مراكزهم ومراتبهم صفوفاً وكراديس ، وإنّما أراد بزعمه أن ينظر الى منظر رفيع حسن تسرّ به نفسه ، وتقرّ به عينه ، ثمَّ خرج فصعد إلى مجلسه، فأشرف على مملكته ، فخرّوا له سجّداً ! فقال لبعض غلمانه : قد نظرت في أهل مملكتي إلى منظر حسن ، وبقي أن أنظر إلى صورة وجهي ، فدعا بمرآة فنظر إلى وجهه ، فبينا هو يقلّب طرفه فيها ، إذ لاحت له شعرة بيضاء من لحيته كغراب أبيض بين غربان سود ، واشتد منها ذعره وفزعه ،وتغيّر في عينه حاله ، وظهرت الكآبة والحزن في وجهه ، وتولّى السّرور منه .

ثم قال في نفسه : هذا حين نعي إليّ شبابي ، وبيّن لي أنّ ملكي في ذهاب ، وأُوذنت بالنزول عن سرير ملكي ، ثمّ قال : هذه مقدّمة الموت ، ورسول البلاء لم

يحجبه عنّي حاجب ، ولم يمنعه عنّي حارس ، فنعى إلى نفسي ، وأذن لي بـزوال ملكي ، فما أسرع هذا في تبديل بهجتي وذهاب سروري ، وهدم قوّتي . لم يمنعه منّي الحصون ، ولم تدفعه عنّي الجنود ، هذا سالب الشباب والقـوّة ، ومـاحـق العـزّ والثروة ، ومفرّق الشمل ، وقاسم التراث بين الأولياء والأعداء ، مفسد المعاش ، ومنغّص اللذّات ومخرّب العمارات ومشتّت الجمع ، وواضع الرفيع ، ومذلّ المنيع ، قد أناخت بي أثقاله ونصب لي حبائله . ثم نزل عن مجلسه حافياً ماشياً ، وقـد صعد إليه محمولاً . ثمّ جمع إليه جنوده ودعا إليه ثقاته .

فقال : أيّها الملأ ماذا صنعت فيكم ؟ وما أتيت إليكم منذ ملكتكم ووليّت أموركم ؟

قالوا له : أيّها الملك المحمود عظم بلاؤك عندنا ، وهذه أنفسنا مـبذولة في طاعتك ، فمرنا بأمرك .

قال : طرقني عدوّ مخيف لم تمنعوني منه حتى نزل بي ، وكنتم عدّتي وثقاتي .

قالوا : أيّها الملك أين هذا العدوّ ؟

أيرى أم لا يرى ؟

قال : يرى بأثر ولا يرى عينه .

قالوا : أيّها الملك هذه عدّتنا كما ترى وعندنا سكن وفـينا ذووا الحـجي والنّهي ، فأرناه نكفك ما مثله يكفي .

قال : قد عظم الاغترار منّي بكم ، ووضعت الثقة في غير مـوضعها حـين اتّخذتكم وجعلتكم لنفسي جنّة . وإنّما بذلت لكم الأمـوال ، ورفـعت شرفكـم ، وجعلتكم البطانة دون غيركم لتحفظوني من الأعـداء ، وتحـرسوني مـنهم ، ثمّ أيّدتكم على ذلك بتشييد البلدان ، وتحصين المدائن والثقة من الصلاح ، ونحّيت عنكم الهموم ، وفرغتكم للنجدة والاحتفاظ ، ولم أكن أخشى أن اراع معكم ، ولا أتخوّف المنون على بنياني ، وأنتم عكوف مطيفون به ، فطرقت وأنتم حولي وأتيت

وأنتم معي ، فلئن كان هذا ضعف منكم ! فما أخذت أمري بثقة ، وإن كانت غفلة منكم ، فما أنتم بأهل النصيحة ولا عليّ بأهل الشفقة .

قالوا : أيّها الملك أمّا شيء نطيق دفعه بالخيل والقوة فليس بواصلٍ إليك إن شاء الله ونحن أحياء ، وأمّا ما لا يرى فقد غيّب عنا علمه ، وعجزت قوّتنا عنه .

قال : أليس اتّخذتكم لتمنعوني من عدوّي ؟

قالوا : بلى .

قال : فمن أيِّ عدوّ تحفظوني من الذي لا يضرني ؟

قالوا : من الذي يضرك ؟

قال : أفمن كل ضار لي أو من بعضهم ؟

قالوا : من كل ضارّ .

قال : فإن رسول البلاء قد أتاني ينعى إلي نفسي وملكي ويزعم أنّه يرى خراب ما عمّرت ، وهدم ما بنيت ، وتفريق ما جمعت وفساد ما أصلحت ، وتبذير ما أحرزت ، وتبديل ما عملت ، وتوهين ما وثقت ، وزعم أنّ معها الشماتة من الأعداء وقد قرّت بي أعينهم ، فإنّه يريد أن يعطيهم منّي شفاء صدورهم ، وذكر انّه سيهزم جيشي ، ويوحش انسي ، ويذهب عزي ، ويـؤتم ولدي ويـفجع بي إخواني وأهلي وقرابتي ، ويقطع أوصالي ويسكن مساكن أعدائي .

قالوا : أيّها الملك إنّما نمنعك من الناس والسباع والهوام ودواب الأرض ، فأمّا البلاء فلا طاقة به ولا قوّة لنا عليه ، ولا امتناع لنا منه .

فقال : فهل من حيلة في دفع ذلك منّي ؟

قالوا : لا .

قال : فشيء دون ذلك تطيقونه ؟

قالوا : وما هو ؟

قال : الأوجاع والأحزان والهموم .

قالوا : أيّها الملك إنّما قد قدر هذه الأشياء قويٌّ لطيف وذلك يثور من الجسم والنفس وهو يصل إليك إذا لم يوصل ولا يحجب عنك وإن حجب .

قال : فأمر دون ذلك .

قالوا : وما هو ؟

قال : ما قد سبق من القضاء .

قالوا : أيّها الملك ومن ذا غالب القضاء فلم يُغلب ! ومن ذا كابره فلم يقهر ! فما الذي تريد ؟

قال : أريد أصحاباً يدوم عهدهم ، ويفوا لي ، وتبقى لي إخوتهم ، ولا يحجبهم عنّي الموت ، ولا يمنعهم البلاء عن صحبتي ، ولا يستمل بهم الامتناع عن صحبتي ، ولا يفردوني إن متّ ، ولا يسلّموني إن عشت ، ويدفعون عنّي ما عجزتم عنه من أمر الموت .

قالوا : أيّها الملك ومن هؤلاء الّذين وصفت ؟

قال : هم الذين أفسدتهم باستصلاحكم .

قالوا : أيّها الملك أفلا تصطنع عندنا وعندهم معروفاً ؟ فإنّ أخلاقك تامّة ورأفتك عظيمة .

قال : إنَّ في صحبتكم إيّايَّ السمّ القاتل ، والصمم والعمى في طاعتكم ، والبكم في موافقتكم .

قالوا : كيف ذاك أيّها الملك ؟

قال : صارت صحبتكم إيّاي في الاستكثار ، وموافقتكم على الجمع ، وطاعتكم إيّاي في الاغتفال فبطأتموني عن المعاد ، وزيّنتم لي الدنيا ، ولو نصحتموني ذكرتموني الموت ، ولو أشفقتم عليَّ ذكرتموني البلاء ، وجمعتم لي ما يبقى ، ولم تستكثروا لي ما يفنى ، فإنّ تلك المنفعة التي ادّعيتموها ضررٌ ، وتلك المودَّة عداوة ، وقد رددتها عليكم لا حاجة لي فيها منكم .

قالوا : أيّها الملك الحكيم المحمود قد فهمنا مقالتك ، وفي أنفسنا إجابتك ، وليس لنا أن نحتجّ عليك ، فقد رأينا مكان الحجّة ، فسكوتنا عن حجّتنافسادٌ لملكنا ، وهلاك لديننا ، وشماتة لعدوّنا ، وقد نزل بنا امر عظيمٌ بالذي تبدّل من رأيك ، وأجمع عليه أمرك .

قال : قولوا آمنين واذكروامابدا لكمغير مرعوبين ، فإنّي كنت إلى اليوم مغلوباً بالحميّة والأنفة ، وأنا اليوم غالب لهما ، وكنت إلى اليوم مقهوراً لهما وأنا اليوم قاهر لهما ، وكنت إلى اليوم ملكاً عليكم فقد صرت عندكم مملوكاً ، وأنا اليوم عتيق ، وأنتم من مملكتي طلقاء .

قالوا : أيّها الملك ما الذي كنت مملوكاً إذ كنت علينا ملكاً .

قال كنت مملوكاً لهواي ، ومقهوراً بالجهل ، مستعبداً لشهواتي ، فقد قطعت تلك الطاعة عنّي ونبذتها خلف ظهري .

قالوا : فقل ما أجمعت أيّها الملك ؟

قال : القنوع والتخلّي لآخرتي ، وترك هذا الغرور ، ونبذ هذا الثقل عن ظهري ، والاستعداد للموت والتأهب للبلاء ، فإنّ رسوله عندي قد ذكر أنه قد أمر بملازمتي والاقامة معي حتّى يأتيني الموت .

فقالوا : أيّها الملك ومن هذا الرسول الذي قد أتاك ولم نره ، وهو مقدمة الموت الذي لا نعرفه .

قال : أمّا الرسول فهذا البياض يلوح بين السواد ، وقد صاح في جميعه بالزوال فأجابوا وأذعنوا ، وأمّا مقدّمة الموت فالبلاء الذي هذا البياض طرقه .

قالوا : أيّها الملك أفتدع مملكتك ، وتهمل رعيّتك ، وكيف لا تخاف الإثم في تعطيل أمّتك ، ألست تعلم أنَّ أعظم الأمر في استصلاح الناس ؟ وأنَّ رأس الصلاح الطاعة للأُمّة والجماعة ، فكيف لا تخاف من الإثم ؟ وفي هلاك العامّة من الإثم ، فوق الذي ترجو من الأجر في صلاح الخاصّة ، ألست تعلم أنّ أفضل

العبادة العمل ؟ وأنّ أشدّ العمل السياسة ، فإنك أيها الملك ما في يديك عدل على رعيّتك ، مستصلح لها بتدبيرك ، فإنَّ لك من الأجر بقدر ما استصلحت ، ألست أيّها الملك إذا خلَّيت ما في يديك من صلاح أُمّتك فقد أردت فسادهم ؟ فقد حملت من الإثم فيهم أعظم ممّا أنت تصيب من الأجر في خاصّة يديك . ألست أيّها الملك قد علمت أنّ العلماء قالوا : من أتلف نفساً فقد استوجب لنفسه الفساد ، ومن أصلحها فقد استوجب الصلاح لبدنه ؟ وأيّ فساد أعظم من رفض هذه الرعيّة التي أنت إمامها ! والإقامة في هذه الامّة التي أنت نظامها ! حاشا لك أيّها الملك أن تخلع عنك لباس الملك الذي هو الوسيلة إلى شرف الدنيا والآخرة .

قال : قد فهمت الذي ذكرتم ، وعقلت الذي وصفتم ، فإن كنت إنّما أطلب الملك عليكم للعدل فيكم ، والاجر من الله تعالى ذكره في استصلاحكم بغير أعوان يرفدونني ، ووزراء يكفونني ، فما عسيت أن أبلغ بالوحدة فيكم ، ألستم جميعاً نزعاً إلى الدنيا ، وشهواتها ولذّاتها ، ولا آمن أن أخلد إلى الدنيا التي أرجو أن أدعها ، وأرفضها ، فإن فعلت ذلك أتاني الموت على غرّة ، فأنزلني عن سرير ملكي إلى بطن الأرض ، وكساني التراب بعد الديباج ، والمنسوج بالذهب ونفيس الجوهر ، وضمّني الى الضيق بعد السعة ، وألبسني الهوان بعد الكرامة ، فأصبر فريداً بنفسي ليس معي أحد منكم في الوحدة ، قد أخرجتموني من العمران ، وأسلمتموني إلى الخراب ، وخلّيتم بين لحمي وسباع الطير وحشرات الأرض ، فأكلت منّي النملة فما فوقها من الهوام ، وصار جسدي دوداً وجيفة قذرة ، الذلّ لي حليف ، والعز مني غريب ، اشدّكم حباً إليَّ أسرعكم إلى دفني ، والتخلية بيني وبين ما قدّمت من عملي ، انساخت من ذنوبي ، فيورثني ذلك الحسرة ، ويعقبني الندامة ، وقد كنتم وعدتموني أن تمنعوني من عدوِّي الضار ، فإذا أنتم لا منع عندكم ، ولا قوّة على ذلك لكم ، ولا سبيل لكم ، أيّها الملأ إنّي محتال لنفسي إذ جئتم بالخداع ، ونصبتم لي شراك الغرور .

فقالوا : أيّها الملك المحمود لسنا الذي كنّا ، كما أنّك لست الذي كنت ، وقد أبدلنا الذي أبدلك ، وغيّرنا الذي غيرك ، فلا تردّ علينا توبتنا ، وبذل نصيحتنا .

قال : أنا مقيم فيكم ما فعلتم ذلك ، ومفارقكم إذا خالفتموه . فأقام ذلك الملك في ملكه ، وأخذ جنوده بسيرته ، واجتهدوا في العبادة ، فخصبت بلادهم ، وغلبوا عدوّهم ، وازداد ملكهم حتى هلك ذلك الملك ، وقد صار فيهم بهذه السّيرة اثنين وثلاثين سنة فكان جميع ما عاش أربعاً وستّين سنة .

قال يوذاسف : قد سررت بهذا الحديث جداً ، فزدني من نحوه أزدد سروراً ، ولربي شكراً .

قال الحكيم : زعموا أنّه كان ملك من الملوك الصالحين ، وكان له جنود يخشون الله عزّ وجلّ ويعبدونه ، وكان في ملك أبيه شدَّة من زمانهم ، والتفرق فيما بينهم ، وتنقص العدوّ من بلادهم ، وكان يحثّهم على تقوى الله عزّ وجلّ ، وخشيته والاستعانة به ومراقبته والفزع إليه ، فلمّا مَلَك ذلك الملك قهر عدوّه واستجمعت رعيّته ، وصلحت بلاده ، وانتظم له الملك ، فلمّا رأى ما فضّل الله عزّ وجلّ به أترفه ذلك ، وأبطره وأطغاه حتى ترك عبادة الله عزّ وجلّ وكفر نعمه ، وأسرع في قتل من عبد الله . ودام ملكه وطالت مدّته حتى ذهل الناس عمّا كانوا عليه من الحقّ قبل ملكه ونسوه وأطاعوه فيما أمرهم به وأسرعوا إلى الضلالة ، فلم يزل على ذلك فنشأ فيه الأولاد ، وصار لايعبد الله عزّ وجلّ فيهم ، ولا يذكر بينهم اسمه ، ولا يحسبون أنَّ لهم إلهاً غير الملك ، وكان ابن الملك قد عاهد الله عزّ وجلّ في حياة أبيه إن هو ملك يوماً أن يعمل بطاعة الله عزّ وجلّ بأمر ولم يكن من قبله من الملوك يعملون به ولا يستطيعونه ، فلمّا ملك أنساه الملك رأيه الأوّل ونيّته التي كان عليها، وسكر صاحب الخمر ، فلم يكن يصحو ويفيق ، وكان من أهل لطف الملك رجل صالح أفضل أصحابه منزلة عنده ، فتوجّع له ممّا رأى من ضلالته في دينه ، ونسيانه ما عاهد الله عليه ، وكان كلما أراد أن يعظه ذكر عتوّه وجبروته ،

ولم يكن بقي من تلك الأُمّة غيره وغير رجل آخر في ناحية أرض الملك لا يعرف مكانه، ولا يدعى باسمه فدخل ذات يوم على الملك بجمجمة قد لفّها في ثيابه، فلمّا جلس عن يمين الملك انتزعها عن ثيابه ثمَّ وطئها برجله فلم يزل يفركها بين يديّ الملك وعلى بساطه حتى دنس مجلس الملك بما تحاتّ من تلك الجمجمة، فلمّا رأى الملك ما صنع غضب من ذلك غضباً شديداً، وشخصت إليه أبصار جلسائه واستعدَّ الحرس بأسيافهم انتظاراً لأمره إيّاهم بقتله، والملك في ذلك مالك لغضبه، وقد كانت الملوك في ذلك الزمان مع جبروتهم وكفرهم ذوي أناة وتؤدة، استصلاحاً للرعيّة على عمارة أرضهم ليكون ذلك أعون للجلب وأدَّى للخراج، فلم يزل الملك ساكناً على ذلك حتى قام من عنده، فلف تلك الجمجمة في ثوبه، ثم فعل ذلك في اليوم الثاني والثالث، فلمّا رأى أنَّ الملك لا يسأله عن تلك الجمجمة، ولا يستنطقه في شيء من شأنها، أدخل مع تلك الجمجمة ميزاناً وقليلاً من تراب فلمّا صنع بالجمجمة ما كان يصنع أخذ الميزان وجعل في إحدى كفتيه درهماً، وفي الأخرى بوزنه تراباً، ثمّ جعل ذلك التراب في عين تلك الجمجمة، ثمَّ أخذ قبضة من التراب فوضعها في موضع الفم من تلك الجمجمة، فلمّا رأى الملك ما صنع قلَّ صبره وبلغ مجهوده، فقال لذلك الرَّجل: قد علمت أنّك إنّما اجترأت على ما صنعت لمكانك منّي وإدلالك عليّ وفضل منزلتك عندي، ولعلّك تريد بما صنعت أمراً، فخرّ الرجل للملك ساجداً وقبّل قدميه، وقال: أيّها الملك أقبل عليَّ بعقلك كلّه فإنّ مثل الكلمة كمثل السهم إذا رمى به لينة يثبت فيها، وإذا رمى في الصفا لم يثبت، ومثل الكلمة كمثل المطر إذا أصاب أرضاً طيّبة مزروعة ينبته فيها، وإذا أصاب السباخ لم ينبت، وإنَّ أهواء الناس متفرقة، والعقل والهوى يصطرعان في القلب، فإن غلب الهوى العقل عمل الرجل بالطيش والسفه، وإن كان الهوى هو المغلوب لم يوجد في أمر الرجل سفه، فإنّي لم أزل منذ كنت غلاماً أحبّ العلم، وأرغب فيه، وأوثره على الأمور كلّها، فلم أدع علماً إلّا بلغت منه أفضل مبلغ،

فبينا أنا ذات يوم أطوف بين القبور إذ قد بصرت بهذه الجمجمة بارزة من قبور الملوك ، فغاضني موقعها وفراق جسدها غضباً للملوك فضممتها إليّ وحملتها إلى منزلي ، فألبستها الديباج ، ونضحتها بالماء الورد والطيب ، ووضعتها على الفرس ، وقلت إن كانت من جماجم الملوك فسيؤثر فيها إكرامي إيّاها ، وترجع إلى جمالها وبهائها ، وإن كانت من جماجم المساكين فإنّ الكرامة لا تزيدها شيئاً ، فـفعلت ذلك بها أيّاماً ، فلم أستنكر من هيئتها شيئاً ، فلمّا رأيت ذلك دعوت عـبداً هـو أهون عبيدي عندي فأهانها فإذا هي في حالة واحدة عند الإهانة والإكرام ، فلمّا رأيت ذلك أتيت الحكماء فسألتهم عنها فلم أجد عندهم علماً بها ، ثمّ علمت أنّ الملك منتهى العلم ، ومأوى الحلم فأتيتك خائفاً على نـفسي ، فـلم يكـن لي أن أسألك عن شيءٍ حتى تبدأني به ، وأحبّ أن تخبرني أيّها الملك أجمجمة ملك أم جمجمة مسكين ، فإنّها لمّا أعياني أمرها تفكرت في أمرها وفي عينها التي كانت لا يملأها شيء حتى لو قدرت على ما دون السماء من شيء تطلّعت إلى أن تتناول ما فوق السماء ، فذهبت أنظر ما الذي يسدّها ويملأها فإذا وزن درهم من تراب قد سدَّها وملأها ، ونظرت إلى فيها الذي لم يكن يملأه شيء فملأته من التراب ، فإن أخبرتني أيّها الملك أنها جمجمة مسكين احتججت عليك بأنّي قد وجدتها وسط قبور الملوك ، ثمَّ أجمع جماجم ملوك وجماجم مساكين فإن لجماجمكم عليها فضل ، فهو كما قلت ، وإن أخبرتني بأنّها من جماجم الملوك أنبأتك أنّ ذلك الملك الذي كانت هذه جمجمته قد كان من بهاء الملك وجماله وعزَّته في مثل ما أنت فيه اليوم ، فحاشاك أيّها الملك أن تصير الى حال هذه الجمجمة ، فتوطأ بالاقدام ، وتخـلط بالتراب ، ويأكلك الدّود ، وتصبح بعد الكثرة قليلاً ، وبعد العزّة ذليلاً ، وتسعك حفرة طولها أدنى من أربعة أذرع ، ويورث ملكك ، ويـنقطع خـبرك ، ويـفسد صنايعك ، ويهان من أكرمت ، ويكرم من أهنت ، ويستبشر أعداءك ، ويـضلّ أعوانك ، ويحول التراب دونك ، فإن دعوناك لم تسمع ، وإن أكرمناك لم تقبل ، وإن

أهنّاك لم تغضب ، فيصير بنوك يتامى ، ونساؤك أيامى ، وأهلك يوشك أن يستبدلن أزواجاً غيرك ، فلمّا سمع الملك ذلك فزع قلبه ، وانسكبت عيناه يبكي ويقول ويدعو بالويل ، فلمّا رأى الرجل ذلك علم أنّ قوله قد استمكن من الملك ، وقوله قد انجع فيه زاده ذلك جرأة عليه وتكريراً لما قال فقال له الملك : جزاك الله عنّي خيراً ، وجزى من حولي من العظماء شرّاً ، لعمري لقد علمت ما أردت بمقالتك هذه ، وقد أبصرت أمري فسمع الناس خبره فتوجّه اهل الفضل إليه ، وختم له بالخير ، وبقي عليه إلى ان فارق الدنيا .

قال ابن الملك : زدني من هذا. قال الحكيم: زعموا أنّ ملكاً كان في أوّل الزمان ، وكان حريصاً على أن يولد له ، وكان لا يدع شيئاً ممّا يعالج به الناس أنفسهم إلّا أتاه وصنعه ، فلمّا طال ذلك عليه حملت امرأة له من نسائه ، فولدت له غلاماً فلما نشأ وترعرع خطا ذات يوم خطوة فقال : معادكم تجفون ، ثمَّ خطا أُخرى فقال : تهرمون ، ثمّ خطا الثالثة فقال : ثمّ تموتون ، ثمّ عاد كهيئته يفعل كما يفعل الصبيّ .

فدعا الملك العلماء والمنجّمين فقال : أخبروني خبر ابني هذا ، فنظروا في شأنه وأمره فأعياهم أمره ، فلم يكن عندهم علم ، فلمّا رأى الملك أنّه ليس عندهم فيه علم دفعه إلى المرضعات ، فأخذن في إرضاعه إلّا انَّ منجّماً منهم قال : انّه سيكون إماماً ، وجعل عليه حراساً لا يفارقونه حتى إذا شبَّ انسلَّ يوماً من عند مرضعيه والحرس ، فأتى السوق فإذا هو بجنازة فقال : ما هذا ؟ قالوا : إنسان مات. قال : ما أماته ؟ قالوا : كبر وفنيت أيّامه ، ودنى أجله فمات ، قال : وكان صحيحاً حيّاً يمشي ويأكل ويشرب ؟ قالوا : نعم ، ثمَّ مضى فإذا هو برجل شيخ كبير فقام ينظر إليه متعجباً منه فقال : ما هذا ؟ قالوا : رجل شيخ كبير قد فنى شبابه وكبر ، قال : أو كان صغيراً ثمَّ شاب ؟ قالوا : نعم ، ثمَّ مضى فإذا هو برجل مريض مستلق على ظهره ، فقام ينظر إليه ويتعجّب منه ، فسألهم ما هذا ؟ قالوا :

رجل مريض فقال : أو كان هذا صحيحاً ثمّ مرض ؟ قالوا : نعم . قال : والله لئن كنتم صادقين فإنَّ الناس لمجنونون . فافتقد الغلام عند ذلك فطلب فإذا هو بالسوق فأتوه ، فأخذوه ، وذهبوا به فأدخلوه البيت ، فلمّا دخل البيت استلق على قفاه ينظر إلى خشب سقف البيت ويقول : كيف كان هذا ؟ قالوا : كانت شجرة ثمّ صارت خشباً ثمَّ قطع ، ثمّ بني هذا البيت ، ثمَّ جعل هذا الخشب عليه ، فبينا هو في كلامه إذ أرسل الملك الى الموكّلين به : انظروا هل يتكلّم أو يقول : شيئاً ؟ قالوا : نعم وقد وقع في كلام ما نظنّه إلا وسواساً . فلمّا رأى الملك ذلك وسمع جميع ما لفظ به الغلام دعى العلماء فسألهم فلم يجد فيه عندهم علماً إلا الرجل الأوّل ، فأنكر قوله فقال بعضهم : أيّها الملك لو زوجته ذهب عنه الذي ترى ، وأقبل وعقل ، وأبصر فبعث الملك في الأرض يطلب ويلتمس له امرأة ، فوجدت له امرأة من أحسن النساء وأجملهنَّ فزوّجها منه ، فلمّا أخذوا في وليمة عرسه ، أخذ اللاعبون يلعبون والزمّارون يزمرون ، فلما سمع الغلام جلبتهم وأصواتهم قال : ما هذا ؟ قالوا : هؤلاء لعّابون وزمّارون جمعوا لعرسك ، فسكت الغلام ، فلمّا فرغوا من العرس وأمسوا ، دعا الملك امرأة ابنه فقال لها : إنّه لم يكن لي ولد غير هذا الغلام ، فاذا دخلت عليه فألطفي به ، وأقربي منه ، وتحببي إليه فلما دخلت عليه المرأة أخذت تدنو منه ، وتتقرب إليه ، فقال الغلام على رسلك فإنّ الليل طويل ، بارك الله فيك ، واصبري حتى نأكل ونشرب ، فدعا بالطعام ، فجعل يأكل فلمّا فرغ جعلت المرأة تشرب فلمّا أخذ الشّراب منها نامت ، فقام الغلام فخرج من البيت ، وانسلَّ من الحرس والبوابين حتى خرج وتردّد في المدينة ، فلقيه غلام من أهل المدينة فاتّبعه وألق ابن الملك عنه تلك الثياب التي كانت عليه ولبس ثياب الغلام وتنكّر جهده وخرجا جميعاً من المدينة ، فسارا ليلتهما حتى إذا قرب الصبح خشيا الطلب مكمنا . فأتيت الجارية عند الصّبح فوجدوها نائمة ، فسألوها أين زوجك ؟ قالت : كان عندي الساعة ، فطلب الغلام فلم يقدر عليه ، فلمّا أمسى الغلام وصاحبه

سارا ثمّ جعلا يسيران الليل ويكمنان النهار حتى خرجا من سلطان أبيه ، ووقعا في ملك سلطان آخر .

وقد كان لذلك الملك الذي صارا إلى سلطانه ابنة قد جعل لها أن لا يزوِّجها أحداً إلّا من هوته ورضيته ، وبنى لها غرفة عالية مشرفة على الطريق ، فهي فيها جالسة تنظر إلى كلِّ من أقبل وأدبر ، فبينما هي كذلك إذ نظرت إلى الغلام يطوف في السوق وصاحبه معه في خلقانه ، فأرسلت إلى أبيها إنّي قد هويت رجلاً فإن كنت مزوِّجي أحداً من الناس فزوّجني منه ، وأتيت أم الجارية فقيل لها : إنّ ابنتك قد هويت رجلاً ، وهي تقول كذا وكذا ، فأقبلت إليها فرحة حتّى تنظر إلى الغلام فأروها إيّاه ، فنزلت أمّها مُسرعة حتى دخلت على الملك ، فقالت : إنّ ابنتك قد هويت غلاماً فأقبل الملك ينظر إليه ، ثمّ قال أرونيه ، فأروه من بُعد ، فأمر أن يلبس ثياباً أخرى ، ونزل فسأله ، واستنطقه ، وقال من أنت ومن أين أنت ؟ قال الغلام : وما سؤالك عنّي أنا رجل من مساكين الناس ، فقال : انّك لغريب ، وما يشبه لونك ألوان أهل هذه المدينة ، فقال الغلام ، ما أنا بغريب ، فعالجه الملك أن يصدقه قصته فأبى ، فأمر الملك أُناساً أن يحرسوه ، وينظروا أين يأخذ ، ولا يعلم بهم ثمَّ رجع الملك إلى أهله فقال : رأيت رجلاً كأنّه ابن ملك وماله حاجة فما ترى ودونه عليه ، فبعث إليه فقيل له : إنّ الملك يدعوك ، فقال الغلام : وما أنا والملك يدعوني ، ومالي إليه حاجة ، وما يدري من أنا ، فانطلق به على كره منه ، حتى دخل على الملك ، فأمر بكرسي فوضع له فجلس عليه ، ودعى الملك امرأته وابنته فأجلسهما من وراء الحجاب خلفه ، فقال له الملك : دعوتك لخير ، إنَّ لي ابنة قد رغبت فيك أُريد أن أزوِّجها منك فإن كنت مسكيناً أغنيناك ورفعناك وشرَّفناك ، فقال الغلام : ما لي فيما تدعوني إليه حاجة ، فإن شئت ضربت لك مثلاً أيّها الملك قال : فافعل .

قال الغلام : زعموا أنّ ملكاً من الملوك كان له ابن وكان لابنه أصدقاء

صنعوا له طعاماً ، ودعوه إليه ، فخرج معهم فأكلوا، وشربوا حتى سكروا فناموا ، فاستيقظ ابن الملك في وسط الليل فذكر أهله فخرج عائداً الى منزله ، ولم يوقظ أحداً منهم ، فبينا هو في مسيره إذ بلغ منه الشراب ، فبصر بقبر على الطريق فظن انه مدخل بيته فدخله فإذا هو بريح الموتى ، فحسب ذلك لما كان به من السكر أنّه ريح طيّبة فإذا هو بعظام لا يحسبها إلّا فرشه الممهّدة ، وإذا هو بجسد قد مات حديثاً ، وقد أروح فحبسه أهله ، فقام إلى جانبه فاعتنقه ، وقبّله ، وجعل يعبث به عامّة ليله ، فأفاق حين أفاق ونظر حين نظر ، فإذا هو على جسد ميّت وريح منتنة قد دنس ثيابه وجلده ، ونظر إلى القبر وما فيه من الموتى ، فخرج وبه من السوء ما يختفي به من الناس أن ينظروا إليه متوجّهاً إلى باب المدينة ، فوجده مفتوحاً فدخله حتى أتى أهله ، فرأى أنّه قد انعم عليه حيث لم يلقه أحد ، فألقى عنه ثيابه تلك ، واغتسل ولبس لباساً أُخرى وتطيّب . عمرك الله أيّها الملك أتراه راجعاً إلى ما كان فيه وهو يستطيع ؟

قال : لا .

قال : فإنّي أنا هو .

فالتفت الملك إلى امرأته وابنته وقال : أخبرتكم أنّه ليس له فيما تدعونه رغبة .

قالت أُمها : لقد قصرت في النعت لا بنتي ، والوصف لها أيّها الملك ولكنّي خارجة إليه ومتكلّمة .

فقال الملك للغلام : إنّ امرأتي تريد أن تكلّمك وتخرج إليك ولم تخرج إلى أحد قبلك .

فقال الغلام : لتخرج إن أحبّت فخرجت وجلست فقالت للغلام : تعال إلي ما قد ساق الله إليك من الخير والرزق فازوّجك ابنتي ، فإنّك لو قد رأيتها وما قسم الله عزّ وجلّ لها من الجمال والهيئة لا غتبطت .

فنظر الغلام إلى الملك فقال : أفلا أضرب لك مثلاً ؟

قال : بلى .

قال : إنّ سرّاقاً تواعدوا أن يدخلوا خزانة الملك ليسرقوا ، فنقبوا حائط الخزانة فدخلوها ، فنظروا إلى متاع لم يروا مثله قطّ ، وإذا هم بقلّة من ذهب مختومة بالذهب ، فقالوا لا نجد شيئاً أعلى من هذه القلّة ، هي ذهب مختومة بالذهب، والذي فيها أفضل من الذي رأينا فاحتملوها ومضوا بها حتى دخلوا غيضة لا يأمن بعضهم بعضاً عليها ، ففتحوها فإذا في وسطها أفاعٍ ، فوثبن في وجوههم فقتلتهم أجمعين .

عمرك الله أيّها الملك أفترى أحداً علم بما أصابهم ، وما لقوه يدخل يده في تلك القلّة وفيها من الأفاعي ؟

قال : لا .

قال : فانّي أنا هو .

فقالت الجارية لأبيها : ائذن لي فأخرج إليه بنفسي وأُكلمه ، فإنّه لو قد نظر إليّ وإلى جمالي وحسني وهيئتي وما قسم الله عزّ وجلّ لي من الجمال لم يتمالك أن يجيب .

فقال الملك للغلام : إنّ ابنتي تريد أن تخرج إليك ولم تخرج إلى رجل قطّ .

قال لتخرج ان أحبت ، فخرجت عليه ، وهي أحسن الناس وجهاً ، قدّاً ، وطرفاً ، وهيكلاً . فسلمت على الغلام وقالت له : هل رأيت مثلي قطّ أو أتمّ أو أجمل أو أكمل أو أحسن ؟ وقد هويتك وأحببتك .

فنظر الغلام إلى الملك ، فقال : أفلا أضرب لها مثلاً ؟

قال : بلى .

قال الغلام : زعموا أيّها الملك إنَّ ملكا له ابنان ، فأسّر أحدهما ملك آخر ، فحبسه في بيت ، وأمر أن لا يمرَّ عليه أحد إلّا رماه بحجر ، فمكث بذلك حيناً ، ثمَّ إنّ

أخاه قال لأبيه : ائذن لي فأنطلق إلى أخي فأفديه وأحتال له ، قال : فانطلق وخذ معك ما شئت من مال ، ومتاع ودواب ، فاحتمل معه الزاد والراحلة وانطلق معه المغنيات والنوائح ، فلمّا دنا من مدينة ذلك الملك أُخبر الملك بقدومه فأمر الناس بالخروج إليه ، وأمر له بمنزل خارج المدينة ، فنزل الغلام في ذلك المنزل ، فلمّا جلس فيه ، ونشر متاعه ، وأمر غلمانه يبيعوا الناس ويسألوهم في بيعهم ، ويسامحوهم ، ففعلوا ذلك فلمّا رأى الناس قد شغلوا بالبيع ، انسلّ ودخل المدينة ، وقد علم اين سجن أخيه ، ثمَّ أتى السجن فأخذ حصاة فرمى بها لينظر ما بقي من نفس أخيه ، فصاح حين أصابته الحصاة ، وقال : قتلتني ففزع الحرس عند ذلك وخرجوا إليه وسألوه لم صحت ؟ وما شأنك ؟ وما بدا لك ؟ وما رأيناك تكلّمت ونحن نعذبك منذ حين ويضربك ويرميك كلّ من يمرّ بك بحجر ؟ ورماك هذا الرجل بحصاة فصحت منها ! فقال : إنّ الناس كانوا من أمري على جهالة ورماني هذا على علم ، فانصرف أخوه راجعاً إلى منزله ومتاعه ، وقال للناس : إذا كان غدا فأتوني أنشر عليكم بزّاً ومتاعاً لم تروا مثله قطُّ ، فانصرفوا يومئذٍ حتى إذا كان من الغد غدوا عليه بأجمعهم ، فأمر بالبزِّ فنشروا ، وأمر بالمغنيات والنايحات وكلّ صنف معه ممّا يلهى به الناس فأخذوا في شأنهم ، فاشتغل الناس ، فأتى أخاه فقطع عنه اغلاله ، وقال : أنا أُداويك فاختلسه ، وأخرجه من المدينة ، فجعل على جراحاته دواء كان معه حتى اذا وجد راحة أقامه على الطريق ، ثمّ قال له : انطلق فإنّك ستجد سفينة قد سيّرت لك في البحر ، فانطلق سائراً فوقع في جبّ فيه تنين ، وعلى الجبّ شجرة نابتة ، فنظر إلى الشجرة فإذا على رأسها اثنا عشر غولاً ، وفي أسفلها اثنا عشر سيفاً ، وتلك السيوف مسلولة معلّقة ، فلم يزل يتحمّل ويحتال حتى أخذ بغصن من الشجرة فتعلّق به ، وتخلّص وسار حتىَ أتى البحر فوجد سفينة قد أُعدّت له إلى جانب الساحل ، فركب فيها حتى أتوا به أهله .

عمرك الله أيّها الملك أتراه عائد إلى ما قد عاين ولقي ؟

قال : لا .

قال : فإنّي أنا هو فيئسوا منه .

فجاء الغلام الذي صحبه من المدينة وقال : اذكرني لها وأنكحنيها .

فقال الغلام للملك إنّ هذا يقول إنّي أُحبّ أن ينكحنيها الملك .

فقال : لا أفعل .

قال أفلا أضرب لك مثلاً ؟

قال : بلى .

قال : إنّ رجلاً كان في قوم ، فركبوا سفينة فساروا في البحر ليال وأيّاماً . ثمّ انكسرت سفينتهم بقرب جزيرة في البحر فيها الغيلان ففرقوا كلّهم سواه ، وألقاه البحر إلى الجزيرة ، وكانت الغيلان يشرفنّ من الجزيرة إلى البحر ، فأتى غـولاً فهواها ونكحها حتى إذا كان من الصبح قتلته ، وقسمت أعضاءه بين صواحباتها واتّفق مثل ذلك لرجل آخر ، فأخذته ابنة ملك الغيلان فانطلقت به ، فبات معها ينكحها وقد علم الرجل ما لقي من كان قبله ، فليس ينام حذراً ، حتى إذا كـان الصبح الغولة فانسلّ الرجل حتى أتى الساحل فإذا هو بسـفينة فـنادى أهـلها ، واستغاث بهم فحملوه حتى أتوا به أهله ، فأصبحت الغيلان فأتوا الغولة التي باتت معه فقالوا لها أين الرجل الّذي بات معك ؟ قالت : إنّه قد فرّ منّي فكذّبوها وقالوا : أكلته واستأثرت به علينا فنقتلنّك إن لم تأتنا به ، فمرَّت في الماء حتّى اتته في منزله ورحله فدخلت عليه ، وجلست عنده وقالت له : ما لقيت في سفرك هذا ، قال : لقيت بلاء خلصني الله منه ، وقصّ عليها ذلك ، فقالت وقد تخلّصت ؟ قال : نعم ، فقالت أنا الغولة وجئت لاخذك ، فقال لها : أنشدك الله ان تهلكيني فإني أدلّك على مكان الرجل ، قالت إنّي أرحمك فانطلقا حتى دخلا على الملك ، قالت اسمع مـنّا أصلح الله الملك إنّي تزوَّجت بهذا الرجل ، وهو مـن أحبّ النـاس إليَّ ، ثمّ إنّـه كرهني وكره صحبتي فانظر في أمرنا ، فلمّا رآها الملك أعجبه جمالها فخلا بالرجل

فسارّه، وقال: إني قد أحببت أن تتركها فاتزوجها، قال: نعم أصلح الله الملك ما تصلح إلاّ لك، فتزوَّج بها الملك، وبات معها حتى إذا كانت مع السحر، ذبحته، وقطعت أعضاءه، وحملته إلى صواحباتها.

أفترى أيّها الملك أحداً يعلم بهذا، ثمّ ينطلق إليه؟

قال: لا.

قال الخاطب للغلام فإنّي لا أفارقك ولا حاجة لي فيما أردت.

فخرجا من عند الملك يعبدان الله جلَّ جلاله ويسيحان في الأرض، فهدى الله عزّ وجلّ بهما أُناساً كثيراً، وبلغ شأن الغلام وارتفع ذكره في الآفاق فذكر والده، وقال: لو بعثت إليه لاستنقذته ممّا هو فيه، فبعث إليه رسولاً فأتاه فقال له: إنَّ ابنك يقرئك السلام وقصَّ عليه خبره، وأمره فأتاه والده وأهله فاستنقذهم ممّا كانوا فيه ثمَّ إنَّ بلوهر رجع الى منزله واختلف إلى يوذاسف أيّاماً حتّى عرف أنّه فتح له الباب ودله على السبيل، ثمّ تحول من تلك البلاد إلى غيرها وبقي يوذاسف حزيناً مغتمّاً، فمكث بذلك حتى بلغ وقت خروجه إلى النسّاك لينادي بالحق ويدعو إليه أرسل الله عزَّ وجلَّ ملكاً من الملائكة، فلمّا رأى منه خلوة ظهر له، وقام بين يديه، ثمَّ قال له: لك الخير والسلامة، أنت إنسان بين البهائم الظالمين الفاسقين من الجهّال، أتيتك بالتحيّة من الحقّ وإله الخلق بعثني إليك لأُبشّرك، وأذكر لك ما غاب من أمور دنياك وآخرتك، فاقبل بشارتي ومشورتي ولا تغفل عن قولي، اخلع عنك الدنيا وانبذ عنك شهواتها، وازهد في الملك الزائل، والسلطان الفاني الذي لا يدوم وعاقبته الندم والحسرة، واطلب الملك الذي لا يزول، والفرح الذي لا ينقضي، والراحة التي لا تتغيّر، وكن صديقا مقسطاً، فإنّك تكون إمام الناس تدعوهم إلى الجنّة.

فلمّا سمع يوذاسف كلامه خرَّ بين يدي الله عزّ وجلّ ساجداً، وقال: إنّي لأمر الله تعالى مطيع وإلى وصيّته منته، فرني بأمرك فإنّي لك حامد ولمن بعثك إليَّ

شاكر فإنّه رحمني ورؤف بي ولم يرفضني بين الاعداء فإني كنت بالذي أتيت له مهتماً .

قال الملك : إنّي أرجع إليك بعد أيّام ثم أخرجك فتهيّأ للخروج ولا تغفل عنه ، فوطّن يوذاسف نفسه على الخروج ، وجعل همّه كلّه فيه ، ولم يطلع على ذلك أحداً حتى إذا جاء وقت خروجه ، أتى الملك في جوف الليل والناس نيام ، فقال له : قم فاخرج ولا تؤخّر ذلك ، فقام ولم يفش سرَّه إلى أحد من الناس غير وزيره ، فبينا هو يريد الركوب إذ أتاه رجل شابّ جميل كان قد ملكهم بلاده فسجد له ، وقال : أين تذهب يا ابن الملك وقد أصابنا العسر أيّها المصلح الحكيم الكامل ! وتتركنا وتترك ملكك وبلادك ، أقم عندنا فإنّا كنّا منذ ولدت في رخاء وكرامة ولم تنزل بنا عاهة ولا مكروه ، فسكّته يوذاسف وقال له : امكث أنت في بلادك ، ودار أهل مملكتك ، فأمّا أنا فذاهب حيث بعثت ، وعامل ما أُمرت به فإن أنت اعنتني كان لك في عملي نصيباً ، ثمَّ ركب فسار ما قضى الله له أن يسير ، ثمَّ إنّه نزل عن فرسه ووزيره يقود فرسه ويبكي أشدَّ البكاء ، ويقول ليوذاسف بأيِّ وجه أستقبل أبويك ؟ وبما أجيبهما عنك ، وبأيّ عذاب أو موت يقتلاني ؟

وأنت كيف تطيق العسر والأذى الذي لم تتعوده ؟ وكيف لا تستوحش وأنت لم تكن وحدك يوماً قطّ ؟ وجسدك كيف تحمّل الجوع والظّمأ والتقلّب على الأرض والتراب ، فسكّته وعزّاه ووهب له فرسه والمنطقة ، فجعل يقبّل قدميه ويقول : لا تدعني وراءك يا سيّدي ، اذهب بي معك حيث خرجت فإنّه لا كرامة لي بعدك ، وإنّك إن تركتني ولم تذهب بي معك خرجت في الصحراء ولم أدخل مسكناً فيه إنسان أبداً ، فسكّته أيضاً وعزّاه ، وقال : لا تجعل في نفسك إلّا خيراً فانّي باعث إلى الملك وموصيه فيك أن يكرمك ويحسن إليك . ثمَّ نزع عنه لباس الملك ودفعه الى وزيره وقال له : البس ثيابي وأعطاه الياقوتة التي كان يجعلها في رأسه ، وقال : انطلق بها معك وفرسي وإذا أتيته فاسجد له وأعطه هذه الياقوتة

وأقرئه السلام ثمَّ الأشراف وقل لهم: إنّي لمّا نظرت فيما بين الباقي والزائل، رغبت في الباقي، وزهدت في الزائل، ولمّا استبان لي أصلي وحسبي وفضّلت بينهما وبين الأعداء والاقرباء رفضت الأعداء والاقرباء، وانقطعت إلى اصلي وحسبي، فأمّا والدي فإنّه إذا أبصر الياقوتة طابت نفسه، فإذا أبصر كسوتي عليك ذكرني وذكر حبّي لك ومودّتي إيّاك، فمنعه ذلك أن يأتي إليك مكروهاً. ثمَّ رجع وزيره وتقدم يوذاسف أمامه يمشي حتى بلغ فضاءً واسعاً، فرفع رأسه، فرأى شجرة عظيمة على عين من ماء أحسن ما يكون من الشجر وأكثرها فرعاً، وغصناً، وأحلاها ثمراً، وقد اجتمع إليها من الطير ما لا يعدّ كثرة، فسرَّ بذلك المنظر وفرح به، وتقدَّم إليه حتى دنا منه، وجعل يعبّره في نفسه ويفسّره فشبّه الشجر بالبشرى التي دعا إليها وعين الماء بالحكمة والعلم، والطير بالناس الذين يجتمعون إليه ويقبلون منه الدين، فبينا هو قائم إذ أتاه أربعة من الملائكة عليهم السلام يمشون بين يديه فاتبع آثارهم حتّى رفعوه في جو السماء، وأُوتي من العلم والحكمة ما عرف به الاولى والوسطى والأُخرى والذي هو كائن، ثمَّ أنزلوه إلى الارض وقرنوا معه قريناً من الملائكة الاربعة، فمكث في تلك البلاد حيناً، ثمّ إنّه أتى أرض سولابط فلمّا بلغ والده قدومه خرج يسير هو والأشراف فأكرموه وقربوه، واجتمع إليه أهل بلده مع ذوي قرابته وحشمه وقعدوا بين يديه وسلّموا عليه وكلّمهم الكلام الكثير، وفرش لهم الإيناس وقال لهم: اسمعوا إليَّ بأسماعكم، وفرغوا إليَّ قلوبكم لاستماع حكمة الله عزّ وجلّ التي هي نور الأنفس، وتقرّوا بالعلم الذي هو الدليل على سبيل الرشاد، وأيقظوا عقولكم، وافهموا الفضل الذي بين الحقّ والباطل، والضلال والهدى. واعلموا انّ هذا هو دين الحقّ الذي انزله الله عزّ وجلّ على الانبياء والرسل عليهم السلام منذ القرون الأُولى، فخصّنا الله عزّ وجلّ به في هذا القرن برحمته بنا، ورأفته ورحمته وتحنّنه علينا، وفيه خلاص من نار جهنّم إلا إنّه لا ينال الإنسان ملكوت السماوات ولا يدخلها أحدٌ إلّا بالايمان، وعمل الخير،

فاجتهدوا فيه لتدركوا به الراحة الدائمة والحياة التي لا تنقطع أبداً ومن آمن منكم بالدين فلا يكوننَّ إيمانه طمعاً في الحياة ، ورجاء لملك الأرض وطلب مواهب الدّنيا ، وليكن إيمانكم طمعاً في ملكوت السماوات ، ورجاء الخلاص ، وطلب النجاة من الضلالة ، وبلوغ الراحة والفرج في الآخرة ، فإنَّ ملك الأرض وسلطانها زائل ، ولذَّاتها منقطعة ، فمن اغتر بها هلك وافتضح ، لو وقف على ديّان الدين الذي لا يدين إلّا بالحقّ فإنّ الموت مقرون مع أجسادكم ، وهو يتراصد أرواحكم أن يكبكبها مع الاجساد . واعلموا أنّه كما أنَّ الطير لن يقدر على الحياة، والنجاة من الأعداء من اليوم إلى غد هذه إلّا بقوّة من البصر والجناحين والرجلين ، فكذلك الانسان لا يقدر على الحياة والنجاة إلا بالعمل والايمان وأعمال الخير الكاملة ، فتفكّر أيّها الملك أنت والأشراف فيما تستمعوا وافهموا واعتبروا ، واعبروا البحر ما دامت السفينة ، واقطعوا المسافة ما دام الدليل والظهر والزاد ، وسلكوا سبيلكم ما دام المصباح ، وأكثروا من كنوز البرّ مع النسّاك ، وشاركوهم في الخير والعمل الصالح ، وأصلحوا التبع وكونوا لهم أعواناً ، وأمروهم بأعمالكم لينزلوا معكم ملكوت النور ، واقبلوا النور ، واحتفظوا بفرائضكم ، وإيّاكم أن تتوثّقوا إلى أماني الدنيا ، وشرب الخمور ، وشهوة النساء من كلٍّ ذميمة وقبيحة مهلكة للروح والجسد واتقوا الحميّة والغضب ، والعداوة ، والنميمة ، وما لم ترضوه أن يؤتى إليكم فلا تأتوه إلى أحد ، وكونوا طاهري القلوب ، صادقي النيّات لتكونوا على المنهاج إذا أتاكم الاجل .

ثمَّ انتقل من أرض سولابط ، وسار في بلاد ومدائن كثيرة حتى اتى ارضاً تسمّى (قشمير) ، فسار فيها وأحيا ميّتها ، ومكث حتى أتاه الأجل الذي خلع الجسد ، وارتفع إلى النور ، ودعا قبل موته تلميذاً له اسمه يابد الذي كان يخدمه ويقوم عليه ، وكان رجل كاملاً في الأمور كلّها ، وأوصى إليه وقال : إنّه دنا ارتفاعي عن الدنيا ، واحتفظوا بفرائضكم ، ولا تزيغوا عن الحقّ ، وخذوا

بالنسك، ثمّ أمر يابد أن يبني له مكاناً، فبسط هو رجليه، وهيّأ رأسه إلى المغرب، ووجهه إلى المشرق ثمّ قضى نحبه.

الحكاية الثانية:

حدثنا الأستاذ الجليل الشيخ محسن الغراوي في الوقت الذي كنا في النجف الاشرف ـ على ساكنه أفضل الصلاة والسلام ـ وذلك في الوقت الذي كنا فيه، بخدمته لتحصيل العلوم الدينية بعد الفراغ من الدرس قال ـ رضوان الله تعالى عليه ـ انه مما يحكى في سالف الزمان، أن النبي عيسى بن مريم ـ على نبينا وعليه وعليها أفضل الصلاة والسلام ـ قال للحواريين: اذهبوا على رسلكم وانا أذهب على رسلي، فجاء ـ سلام الله عليه ـ يجبّ البراري والقفار، ويأكل من الاشجار، ويشرب من ماء الأنهار، فرأى في اثناء جولته غلاماً عليه ملابس رثّة جالساً على قارعة الطريق، فقال له عيسى عليه السلام تعال معي أيّها الغلام، فاصطحبه، فمرَّ نبي الله معه على قصر ملك الدولة، فقال إليه اذهب إلى الحجّاب الذين هم على باب القصر وقل لهم انّني أريد أن أدخل على الملك حتى أخطب منه ابنته، فقال له الغلام يا أيّها العبد الصالح ربما إذا قلت لهم ذلك يضربونني او يستهزؤن بي فقال له عيسى عليه السلام اذهب ولا تخف، فجاء الغلام وقال للحجّاب ما قاله له عيسى عليه السلام فاستهزؤا به، فقال بعضهم قولوا للملك، فلربما يأذن له، فدخل أحدهم وأخبر الملك بذلك فأذن الملك له، فدخل الغلام في مجلس الملك حتى جاء وزاحم إليك، فوق كرسيه، فقال له الملك ما تريد أيّها الغلام، فقال جئتك خاطباً ابنتك، فطأطأ الملك رأسه، ثم أخذ يفكر، ثمّ قال له هل قال لك أحدٌ بهذا ام جئت من نفسك خاطباً ابنتي؟ فقال الغلام لا ليس من نفسي جئتك، بل أرسلني العبد الصالح إليك فقال له الملك اذهب وأتي به لكي يعقد عليكما، فذهب الغلام الى نبي الله عيسى وأخبره بذلك، فجاء نبي الله معه، وعقد على ابنة الملك مع الغلام، فأمر الملك بأن

يفرد لهما قصراً ، فبات الغلام مع ابنة الملك تلك الليلة ، واصبح الله الصباح وقد مات الملك ! فجاء نبيّ الله عيسى عليه السلام الى الغلام معزياً له بموت الملك ، ومهنىء له لانّه اصبح ملك البلاد ، ثم قال له يا أيّها الغلام هل في نفسك حاجة تريد أن أقضيها اليك فانك الآن اصبحت ملك الدولة ، وزوج ابنة الملك ؟ فقال له الغلام : يا أيها العبد الصالح ليس في نفسي شيء سوى أني أحب أن اسألك عن مسألة مهمة ، فقال له سل ما بدا لك ، فقال له الغلام : يا أيها العبد الصالح أقسم عليك بالذي خلقك ، وأعطاك هذه القدرة ، بأن جعلتني الآن ملك الدولة ، وزوج ابنة الملك أقسم عليك بان تصدقني ، لماذا لا تجعل هذا الشيء لك ، فقد فضّلتني على نفسك ، فقال نبي الله عيسى عليه السلام اعلم يا أيّها الغلام أنني نبي الله ، والانبياء يرغبون في نعيم دائم ، والدنيا نعيم زائل ، فقال الغلام له ـ بعد أن قبّل يده ـ يا نبيّ الله اني لا أترك النعيم الدائم ، بل اكون معك أكل مما تأكل منه ، وأشرب مما تشرب منه ، فجاء به نبي الله عيسى الى الحواريين فقال لهم هذا الزاهد في الدنيا هو كنزي.

الحكاية الثالثة :

مما ينقل في كتب الحكايات ، ان رجلاً يصطاد السمك ، قد جاء في يوم من الايّام لاصطياد السمك كعادته ، فألقى آلة الصيد في البحر ، فخرج له فيها عظم ، فقال في نفسه إنّ هذا العظم هو رزقي في هذا اليوم ، فجاء به للسوق وعرضه للبيع ، فجاء بعض الناس فقال له ما عندك في هذااليوممن السمك ؟ فقال ليس عندي غير هذا العظم ، فقال الرجل في نفسه ان هذا يستهزىء بي في هذا الكلام ، فلماذا لا أستهزىء به ، فقال له يا هذا زن لنا نصف كيلو من هذا العظم ، فقال الصيّاد لا أبيع نصف كيلو منه بل أبيعه كله ، فقال له الرجل ضعه في ميزانك وزنه حتى نرى مقدار وزنه ، ففعل الصيّاد ذلك ، فلما وضعه في كفة الميزان زاد ورجح العظم على الأطنان والرفعات في الوزن ولكنه يحمل في اليد فتعجب الصيّاد والرجل وكل من

حضر ذلك المشهد ! فسمع ملك الدولة فأمر باحضار الصيّاد مع العظم ، فوضع الملك العظم في الميزان ووضع معه في كفة أُخرى مقدار من ا لاطنان والرفعات ومع ذلك فالعظم يزيد عليها ! فقال الملك في نفسه ان في هذا العظم سر ! فأحضروا العلماء ليكشفوا لنا السر ، ولكن العلماء عندما حضروا عجزوا عن كشف هذا السرّ إلّا عالم واحد طلب أن يأتوا اليه بميزان الذهب ، فوضع العظم في كفّة منه ثم وضع قليلاً من التراب في الكفّة الاخرى ، فتعجب الحاضرون من ذلك المشهد! فسألوا العالم ، فقال ان هذا العظم عظم عين انسان ! وعين الانسان لا يكفيها ولا يملأهاشيء من الدنيا سوىالتراب ! فانه كلما أعطاه الله من الدنيا شيء أراد شيء آخر .

هذا ما أردنا بيانه من الحكايات ، ولعل البعض يعتبرها حكايات خالية مسطرة من قبل بعض العقليّات السخيفة ، غير أنّ الواقع ليس كذلك ، بل هي حكايات واقعيّة يمكن للإنسان أن يستفيد منها في حياته ، فإنّ الانسان إذا اكتفى من الدنيا بالقليل فان كل شيء يكفيه ، أمّا اذا طلبها للجمع فانّه ليس شيء منها يكفيه وقد مرَّ عليك في الحديث المتقدّم عن مولانا أمير المؤمنين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ انّه قال : (من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن كان من قوت الدنيا لا يشبع لم يكفه منها ما يجمع) . فعلى الانسان العاقل ان لا يتعب نفسه من أجلها ، بل عليه ان يكتفي باليسير منها حتى وان ملكها ، فإنّ الانسان اذا لم يغتر بالدنيا في حالة إقبالها عليه ، يصبح عدم الاغترار بها اعتيادياً بالنسبة له في حالة إدبارها عنه ، وأضرب لك مثلاً على ذلك من واقع حياتي وتجاربي في الحياة الدنيا فأقول :

لا يكاد يخفى على أحد من أهالي بلادنا البحرين الكرام ـ حفظهم الله جميعاً ـ إنّ الدنيا كانت مطاوعة لجدّي المبرور المغفور له السيد هاشم المعروف عنده (بالسيد هاشم الشيوخ) ولفظة الشيوخ كانوا يقصدون بها شيخ العشيرة

والثراء في البلاد فقد كان ـ رحمه الله ـ الرجل الاول في الثراء في البحرين يمتلك الاموال الكثيرة ، والبيوت ، والأراضي والبساتين ، والخدم ، والحشم ، والمواشي والسيارات وغير ذلك من عروض الدنيا التي قد امتلكها بعرق جبينه وكد يمينه ، وهو في نفس الوقت كان ايضاً رجلاً كريماً سخياً للغاية ، بل ملجأ للمستضعفين ، والمحتاجين في ذلك الوقت ، ولقد كان بيتنا المعروف ببيت (السـيد هـاشم) في المحرق ، بيت من لا يوجد له بيت من أهالي البحرين عامّة ، الشيعة والسنة فتجد الناس يأوون إلى ذلك البيت يحضنهم ويسد جوعهم ، ولقد بلغ من سخاء وكرم جدنا السيد المذكور أنه كان يوزع الكثير من ممتلكآته على المستضعفين الذيـن لايجدون لهم مأوى من ابناء بلادنا البحرين ، وهذا الشيء يعرفه أهل البلاد اكثر مما اعرفه أنا ، لأنني كنت في ذلك الوقت لا يتجاوز عمري اكثر من عشرين سنة وحتى إنّ أهل البلاد ما زالوا يكنّونَّ لنا عائلة السيد هاشم الاحـترام والتـقدير الذي كانوا يكنّونه لجدّي لما قام به من خدمات جليلة لشـيعة آل محـمد عليهم السلام وغيرهم من عامة المسلمين في بلادنا البحرين ، حتى قيل إنّ اعداء الدين كانوا يؤذونه ، ويضايقونه ، وقيل انه نهبوا من ممتلكاته الشيء الكثير ، والى الآن لا يوجد لها عين ولا أثر ، على أية حال انني ما كنت بصدد هذا ، ولكن الشيء المهم الذي أريد بيانه هو أنّه مع وجود تلك الاموال ، والممتلكات والخيرات الموجودة عندنا في ذلك الوقت ، فانّني لم أطلب من والدي ولا جـدّي ولا غـيرهم مـن عمومتي وخؤلتي او ابناء عمومتي وخؤلتي ولا أي احد من عـائلتي شـيئاً مـن عروض الدنيا من مال وغيره ، بل كنت قد اتخذت وسيلة كتابة الرسائل آنذاك وكنت أحصل من تلك الوظيفة ما يسد جوعي والحمد لله ، وعندما صممت أن أذهب إلى النجف الأشرف لطلب العلم ، لم يكن معي في اليوم الذي سافرت فيه سوى مائة وسبعين روبيّة فقط ! ومعها تذكرة السفر ، وكان المبلغ المذكور هو ما جمعته من تلك الوظيفة المذكورة ، والكل من الناس يعلم أن هذا المبلغ وان كان

الآن ليس بشيء لكنّه أيضاً في سنة هجرتي التي هاجرت فيها سنة ٦٢ ايضاً المبلغ ذلك ليس بشيء ، وعندما وصلت الى مطار الكويت أنا مع الزائرين الذين كنت في معيّتهم ، توقفنا في مطار الكويت نصف ساعة وقد صرّفت من المبلغ المذكور خمسة دنانير كويتية ما يعادل ٦٥ روبية بحرانية في ذلك الوقت صرفتها على الزائرين الذين كانوا معي حيث شربنا الشاي وأكلنا الطعام ثم سافرنا إلى البصرة، ومنها إلى كربلاء المقدسة ، وكان ذلك في أيام عرفة حيث زرنا سيّد الشهداء ابي عبد الله عليه السلام ثم توجه الزائرون الذين معي الى النجف الأشرف ـ على ساكنه السلام ـ وانتقلت أنا من الفندق إلى المدرسة الدينية التي يطلق عليها اسم (بادكوبه) ، وقد كانت تحت ولاية قدوة الفقهاء ، وزبدة المجتهدين آية الله العظمى في العالمين ، مولانا الأعظم ، والإمام الاكرم االمرجع الديني الكبير في ذلك العصر السيد ميرزا مهدي الشيرازي ـ رضوان الله تعالى عليه ـ وقد آلت الزعامة الدينية الى ولده المجاهد المعروف ، آية الله العظمى المرجع الديني الكبير الامام السيد محمد الشيرازي ـ دام ظله ـ فقد كانت ولاية المدرسة المذكورة بيد وكيله الورع ، التقي الحاج الشيخ محمد الكلباسي ، جئت إلى المدرسة وانا لا أمتلك القوت في ذلك اليوم حيث نفذ المال الذي كان عندي كله ولم أقل لاحد من الزائرين الذين كانوا معي ، ولم أُبالي بالمال أصلاً ، لأنني جئت من أجل التحصيل لا من أجل المال ، وما عسى أن يكون المال ، وهبني لا امتلك قوت يومي ، او ليس جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله قد وضع حجر المجاعة على بطنه ، الست من أهل ذلك البيت النبوي الشريف الذين كانوا لا يهتمون بالدنيا في يد من كانت ، على أن الله تعالى ما شق فم إلّا ملأه وأنّه ليرزق الدودة العمياء في الصخرة الصماء في قاع البحر ، أليست هذه عقيدتنا ، اذن لا نهتم في الدنيا ، ولابد من ان يهيّئ الله تعالى لي ذلك ، وبدون ان اكشف امري على أحد من المخلوقين وخلاصة الأمر فقد جئت الى المدرسة المذكورة ، ولقيت حفاوة واقبالاً من اخواني المؤمنين من طلاب

العلوم الدينية في ذلك الوقت ، حيث كانوا قد استبشروا بقدومي ، وقد أهتموا بي اهتماماً عظيماً ، حتى كإنّ بيني وبينهم قرابة ، والحال لا يوجد بيني وبينهم سوى رابطة الدين الذي هو أقوى عندهم وعندي من كل شيء ، فحبّبني إليهم وحبّبهم إليَّ ، فكانوا لي أحسن من أهلي وعشيرتي وقرابتي ، وكنت مع ذلك متعففاً لا يعلم بحالي إلا الله ولا اتظاهر بالحاجة الى أحد ، عشت في كربلاء المقدسة ردحاً من الزمن غير يسير بقرب مولانا الامام ابي عبد الله الحسين سيد الشهداء ـ عليه آلاف التحية والصلاة والسلام ـ أرتشف من حضرته ، وبقربه علوم آل محمد عليهم السلام على أيدي أكابر العلماء في ذلك العصر ، بقيت ثمان سنوات تقريباً ثم يمّمت بعد ذلك نحو الغري ـ على ساكنه الاف التحية والصلاة والسلام ـ ولم اتوقف لحظة عن التحصيل فأكتفيت باليسير من القوت ، تركت الدنيا وتحصلت من علوم آل محمد عليهم السلام الكثير ، تركت الدنيا التي كانت في بيتي ، والخيرات التي يتنعم بها في بيتنا أهالي البحرين ، وذهبت لتحصيل العلوم الدينية ، حيث لا يوجد لي في بعض الايّام حتى القوت ، ولو أنّني توقفت عن ذلك بحجّة عدم وجود المال عندي لخسرت آخرتي ودنياي ، ولكنني عشت في دهري كفافاً حالي كحال غيري من طلاب العلوم الدينية في ذلك الوقت ، يعيشون على الشيء القليل من المال الذي كانوا يتقاضونه من المراجع ، وفي النهاية قد تم لي من التحصيل بدون المال ما لا يتم لغيري من بعض أهل بلادي الا به ، والحمد لله تعالى على ما أنعم به علينا من نعمة العلم الذي هو اكبر واعظم نعمة يمن بها على بعض عباده .

خامساً : ما جاء على ألسنة الشعراء من الشعر الحكيم المشعر بذمّ الدنيا واغترار الانسان بها وغفلته عن الموت ، وما بعده من الاهوال ، وانهماكه في اللذّات العاجلة الفانية ، الممتزجة بالكدورات ، مع علمه بإنّ تلك اللذّات سموم

قاتلة ، وإنّ الدنيا عدوة الله ، وعدوة أوليائه ، وعدوة أعدائه في نفس الوقت .

أما عداوتها لله تعالى ، فإنّها قطعت الطريق على العبادة ، ولذلك لم ينظر اليها مذ خلقها ، كما جاء في الاخبار المتقدّم ذكرها .

وأما عداوتها لأوليائه واحبائه ، فإنّها تزينت لهم بزينتها ، وعمتهم بزهرتها ونضارتها ، حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها .

وأمّا عداوتها لأعداء الله ، فإنّها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها ، واقتنصتهم بشباكها وحبائلها ، حتى وثقوا بها ، وعولوا عليها ، فاجتنبوا منها حيرة وندامة تنقطع دونها الاكباد ، ثم حرمتهم عن السعادة أبد الآباد ، فهم على فراقها يتحسرون ، ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون . فهذه الدنيا وهذه أفعالها بمن فيها وقد اخترنا لك مقطوعات شعرية جليلة تصور لك ذلك فيما يلي :

تمتّع إنّما الدنيا متاع ... وإنّ دوامها لا يستطاع

وقدّم ما ملكت وأنت حيٌّ ... أمير فيه متّبع مطاع

ولا يغررك من توصي إليه ... فقصر وصيّة المرء الضياع

ومالي لم أملك ذاك غيري ... وأوصيه به لولا الخداع

* * *

لهفي على عمر ضيّعت أوله ... وغال آخره الأسقام والهرم

كم أقرع السن عند الموت من ندم ... وأين يبلغ قرع السن والندم

هلا انتهيت ووجه العمر مقتبل ... والنفس في جدّة والعزم معتزم

* * *

يا ذوي الأوجه الحسان المصونات ... وأجسامها الغضاض الرطاب

اكثروا من نعيمها أو أقلّوا ... سوف تهدونها لقعر التراب

قد نعتك الأيام نعياً صحيحاً ... بفراق الاخوان والأصحاب

* * *

مـــا عـــذر مـــن نـــعم أثـــوابـــه وجســــــمه مســــــتهدم يخـــرب
يـــبكي عـــلى الذاهب مـــن مـــاله وإنّمـــــا يـــــبق الذي يـــــذهب

* * *

لا تأســـفنّ مـــن الدنـيا عـلى أمـل فــليس بــاقيه إلّا مــثل مــاضيه

* * *

تـــزوّد مـــن الدنـــيا فـإنّك راحـل وبــادر فــإنّ المـوت لاشك نـازل
وإن امرءاً قد عـاش خمسين حـجّة ولم يـــــتزوّد للــــمعاد لجــــاهل

* * *

نـــظرت إلى الدنـــيا بـــعين مـريضة وغـــفلة مـــغرور وتأمـــيل جـاهل
وضـــيّعت أيّـــامي أمـــامي طـويلة بـــــلذّات أيّــــام قـــصار قـــلائل

* * *

هـــــي الدنـــيا تـــقول بمـــلأ فـــيها حـذار حـذار من بـطشي وفـتكي
فـــلا يـــغرركم حســـن ابـــتسامي فــقولي مــضحك والفــعل مـبكي

* * *

يـــا خـــاطب الدنـــيا الدنـــيّة انهـــا شرك الردى وقــــرارة الأكـــــدار
دنـــيا إذا مـــا أضـحكت في يـومها أبكت غـــداً تــعساً لهـــا مـــن دار
غــــاراتهـــا لا تـــنقضي وأسرهـــا لا يـــــفتدي بـــــعظائم الاخـــطار

* * *

يـا ويح من فـقد الشـباب وغـيّرت مـــــنه مـــفارق رأســـه بخـــضاب
يـــرجـــو عـــارة وجـــهه بخـضابه ومـــــصير كـــلّ عـــارة لخـــراب
انّي وجــــدت أجـــلّ كـــلّ رزيـــة فـــقد الشــــباب وفـــرقة الاحـــباب

* * *

وقال : أبو العتاهية ولنعم ما قال :

يـــا طـــالب يـــغرك وجـــهها   ولتـــــــندمنَّ إذا رأيت قـــفاها

* * *

ومـــا أنس بـالأشياء لم أنس قـولها   وأدمـــعها يـذرين حشـو المكـاحل
تمـتّع بـذا اليـوم القـصير فـان تكـن   رهـــين بأيّـــام الشهـــور الأطـاول

* * *

قيل وجد مكتوب على قبر :

تـــناجيك أجـداث وهـن سكـوت   وسكــــانها تحت التراب خـــفوت
أيـــا جـــامع الدنـــيا لغـــير بـلاغة   لمـــن تجـمع الدنـــيا وأنت تمـــوت

* * *

وقيل وجد ايضاً مكتوب على قبر طبيب :

قـــد قـــلت لمـــا قـــال لي قـــائل   قـــد صـــار نـــعمان إلى رمســـه
فأيـــن مـــا يـــوصف مـــن طـــبه   وحـــــذقه في المـــاء مـــع حسـه
هـــيهات لايـــدفع عـــن غـــيره   مـــن كـــان لا يـــدفع عـــن نـفسه

* * *

وجد على قبر مكتوب :

يـــا أيّهـــا النـــاس كـــان لي أمـــل   قـــصرني عـــن بـــلوغه الأجـــل
ما أنـــا وحـدي الذي خـصصت بـه   كـــل إلى مـــثل ذا ســـينتقل
فـــــليتق الله ربـــه رجـــل   أمكـــــنه في حـــياته العـــمل

* * *

يـــا ريـاض النـعيم يـا سـعة الجـنة   يـــا بـــرد مـــائها والظـــلالا
حـــيث إن لم يكـن اليك مـن الدنـيا   إلّا مـــا ارتحـلت عـــنها ارتحـــالا

* * *

عاش ضبيرة بن سعيد بن سهم بن عمرو مائتي وعشرين سنة ولم يشب قط، وأدرك الاسلام ولم يسلم، وكان أسود الشعر صحيح الأسنان، ورثاه ابن عمّه قيس بن عدي فقال:

مـــن يأمـــن الحـــدثان بـعد ضـــبيرة السهـــميّ مـــاتا
ســـــبقت مـــنيته المشـــيب وكـــــان مـــنيته افـــتلاتا
فـــــتزودوا لا تهـــــلكوا مـــن دون أهـــلكم خـــفاتا

* * *

وعاش الحارث بن مضاض الجرهمي أربعمائة سنة وهو القائل هذه الابيات:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنـيس ولم يسـمر بمكـة سـامر
بـلى نحـن كـنّا أهـلها فأبـادنا صروف الليالي والجدود العواثر

* * *

وعاش لقمان بن عاد ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ومات وقال فيه الأعشى:

لنـفسك إذ تخـتار سـبعة أنـسر إذا ما مضى نـسر خـلدت إلى نـسر
فـعمّر حـتى خـال أنّ نسـوره خلود وهل تبقى النفوس على الدهر؟
وقـال لأدنـاهنّ إذ حـلّ ريشـه هلكت وأهلكت ابن عاد وما تدري

* * *

قال علي بن يقطين: عزم المهدي ـ لعنه الله تعالى ـ على الاصطباح في أيوان على بستان وقد أعد له فيه ما يحتاج، فلما فرغ من غذائه قال: كأنّي قد كسلت عن الشرب، وقد عزمت على النوم، فأرخيت عليه وقعدنا بالقرب منه، فما راعنا إلا صوت بكائه فبادرنا إليه فقال: ما رأيتم الشيخ الذي دخل علي فقلنا ما رأينا والله أحداً! فقال: بلى والله لقد رأيته واقفاً على باب الأيوان وهو يقول: انتبه أيّها المغرور فقد دنا منك الرحيل ثم أنشأ يقول:

كأنّي بهـذا القـصر قـد بـاد أهـله وأقـفر مـنه ركـنه ومـنازله
وصار مليك القصر مـن بـعد بهـجة ومـلك الي قـبر عـليه جـنادله
فـلم يـبق إلا ذكـره وحـديثه تـنادى بـليل مـعولات حـلائله

* * *

فجعلنا نسكّن منه ، ونطيّب نفسه ، وهو مقيم على بكائه ولم ينتفع ذلك اليوم بنفسه وكان بين موته ورؤياه بضع عشرة ليلة .

وقال ابو العتاهية في عدم حبه الدنيا :

رغـيف خـبزٍ يـابس تأكـله في زاويـة
وغـرفة ضـيقة نـفسك فـيها خـاليه
أو مسـجدٌ بمـعزلٍ عـن الورى في نـاحيه
خـيرٌ مـن السـاعات في فيء القـصور العـاليه
فـهذه وصـيّةٌ مخـبرةٌ بحـاليه
فـاسمع لنـصح مشـفق يُـدعى أبـا العـتاهيه

* * *

حـياتك أنـفاس تـعدّ فكـلّما مضى نفس منها انـتقصت بـه جـزءا
فـتصبح في نـقص وتمـسي بمـثله ومـالك مـعقول تحس بـه رزءا
ويـغنيك مـا يـبقيك في كـل ليـلة ويحـدوك أمـر مـا تـريد بـه الهـزءا

* * *

هل انت معتبر بمبيت قـد خـلت مـنه غـداً ثـواء دسـاكـره
وبمـن أذلّ الدهـر مـصرعه فـتبرّأت مـنه عشـائره
وبمـن خـلت مـنه اسرتـه وتـعطّلت مـنه مـنابره
أيـن المـلوك وأيـن عـزهم صـاروا مـصيراً أنت صـائره

* * *

يا مؤثر الدنيا للذّته	والمستعد لمن تفاخره
نل ما بدا لك أن تناوله	يوماً فإنّ الموت آخره

* * *

وقال أبو العتاهية :

هي الدار دار الاذى والقذى	ودار الفناء ودار الغير
فلو نلتها بحذافيرها	لمت ولم تقض منها الوطر
أيا من يؤمل طول الحياة	وطول الحياة عليه ضرر
إذا ما كبرت وبان الشباب	فلا خير في العيش بعد الكبر

* * *

نهارك يا مغرور سهو وغفلة	وليلك نوم والأسى لك لازم
تسرّ بما يفنى وتفرح بالمنى	كما سرّ باللذّات في النوم حالم
وتشغل فيما سوف تكره غيه	كذلك في الدنيا تعيش البهائم

* * *

ألا كلّ شي ما خلا الله باطل | وكلّ نعيم لا محالة زائل

* * *

أيّها النفس الشريفة	إنما دنياك جيفة
وعقولُ الناس في رغبتهم	فيها سخيفة
آهٍ ما أسعد من كأداؤه	فيها خفيفة
أيها المسرفُ ما ترفُق	بالنفس الضعيفة
أيها العاقلُ ما تُبصرُ	عنوان الصحيفة
أيها المذنب كسَّرت	أباريق الوظيفة
أيها المغرورُ لا تفرح	بتوسيع القطيفة
كيف لا تهتمّ بالعدّة	والطرق مَخُوفة

حصّل الزاد وإلّا ليس بعد اليوم كوفه

* * *

وقال علي بن القاسم السجستاني :

خليليَّ قوما فاحملالي رسالة وقولا لدنيانا التي تتصنّعُ
عرفناك ياخدّاعة الخلقِ فاعزُبي ألسنا نرى ما تصنعين ونسمعُ
فلا تتجلّى للعيون بزينة فإنّا متى ما تُسفري نتقنّعُ
نغطّي بثوب اليأس منك عيوننَا إذ لاح يوماً من مخازيك مطمعُ
رتعنا وجُلنا في مراعيك كلّها فلم يهننا فيما رعيناهُ مرتع

* * *

إنما أنفسُنا عاريةٌ والعواری حکمها أن تسترد

* * *

ولو كانت الدنيا تدومُ بأهلها لكان رسول الله ﷺ فيها مخلدا
ولو أن مجداً خلّد الدهر واحداً من الناس أبق مجدُهُ الدهر مطعما

* * *

وقال أبو الحسن الباخرزي :

ولكم تمنيتُ الفراق مُغالطا واحتلتُ في استثمار غرس ودادي
وطمعت منها في الفراق لأنها تبني الامورَ على خلاف مُرادي

* * *

تُنافِسُ في الدنيا غرورا وإنّما قُصارى غناها أن تعود إلى الفقر
وإنا لفي الدنيا كراكب سفينة نظنُّ وقوفاً والزمان بنا يجري

* * *

ألم تر أنّ المرءَ طول حياته مُعنى بأمر لا يزال يُعالجه
يدور كدود القزّ ينسج دائماً ويهلكُ غمّا وسط ما هو ناسجُه

وقال القاسم بن يوسف يرثي اخاه :

كم خطر الدهر على معشر ... يجر ذيل الشر او يسحبه
يريش قوماً ثم يبريهم ... والعاتب الساخط لا يعتبه
نذمّ دنيانا فقد افصحت ... بمنطق عن نفسها تعربه
ما تهب اليوم لأبنائها ... من صفة فهي غداً تسلبه

* * *

وله ايضاً :

إنّما الدنيا متاع ... وإلى الله المحار
وسبيلي كلّ شيءٍ ... مرّ ليل ونهار
وطروق للمنايا ... ورواح وابتكار
خير ما استشعر ذو الرز ... عزاء واصطبار

* * *

وقال : بعض من نقصت عليه الدنيا :

ألا موت يباع فأشتريه ... فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتي ... يخلّصني من العيش الكريه
إذا أبصرت قبراً من بعيد ... فودى أنني مما يليه
ألا رحم المهيمن نفس حرّ ... تصدّق بالوفاة على أخيه

* * *

وقال أمير جرجان :

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا ... هل عاند الدهر الا من له خطر
اما ترى البحر يعلو فوقه جيف ... ويستقر بأعلا قعره الدرر
وان تكن عبثت ايدي الزمان بنا ... ونالنا من تمادي بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم لا عداد لها ... وليس يخسف إلّا الشمس والقمر

* * *

وقال بعضهم :

يــا راقــداً والمــنايا غــير راقــدة ... وغــافلاً وسهــام المــوت تــرميه

فــبم اغــترارك والأيّــام مــرصدة ... والدهــر قــد مــلأ الأسمــاع داعــيه

أمــا أرتك اللــيالي قــبح دخــلتها ... وغــدرها بــالذي كــانت تـصافيه

رفــقاً بــنفسك يــا مــغرور أنّ لهــا ... يوماً تشــيب النــواصي مــن دواهــيه

* * *

وقال الرازي :

نهــــاية اقـــدام العــقول عــقال ... واكـــثر ســعي العــالمين ضــلال

وأرواحنا في وحشة[1] من جسـومنا ... وحـــاصل دنــيانا أذى ووبـــال

ولم نسـتفد مـن بحثنا طـول عـمرنا ... ســوى ان جمـعنا فـيه قـيل وقـالوا

وكــم قـد رأيـنا مـن رجـال ودولة ... فـــبادوا جمـــيعاً مـــسرعين وزالوا

وكم مـن جـبال قـد عـلت شرفـتها ... رجـــال فـــزالوا والجـــبال جـــبال

* * *

على ضريح معاوية لعنه الله تعالى مكتوب هذه الابيات :

أيــن القــصور أبــا يـزيد ولهـوها ... والصــافنات وزهــوها والسـؤدد

أيــن الدهــاء نحـرت غـرّته عـلى ... اعــتاب دنــيا ســحرها لا يــنفد

آثــرت فــانيها عــلى الحـق الذي ... هــو لو عـلمت عـلى الزمـان مخـلّد

تـلك البهـارج قـد مـضت لسـبيلها ... وبــقيت وحــدك عــبرة تــتجدّد

هــذا ضريحك لو بــصرت بــبؤسه ... لأســال مــدمعك المـصير الاسـود

كـــتل مـــن الترب المـــين بخـــربة ... سكـــر الذبـــاب بهـــا فـراح يـعربد

خـــفيت مـــعالمها عـــلى زوارهـــا ... فكأنهـــــا في مجـــــهل لا يـــقصد

---

(١) محبوسة ـ في بعض النسخ .

ومشى بها ركب البلا فجدارها عار يكاد من الضراعة يسجد
والقبّة الشماء نكس طرفها فبكل جزء للفناء بها يد
تهمي السحائب من خلال سقوفها والريح في جنباتها تتردد
حتى المصلّى مظلم فكأنه مذ كان لم يجتز به متعبد
أأبا يزيد لتلك حكمة خالق تجلى على قلب الحكيم فيرشد
أرأيت عاقبة الجموح ونزوة أودى بلبك غيّها المترصد
اغرتك بالدنيا فرحت تشنها حرباً على الحق الصراح وتوقد
تعدو بها ظلماً على من حبه دين وبغضته الشقاء السرمد
علم الهدى وامام كل مطهّر ومثابة العلم الذي لا يجحد
ورثت شمائله براءة أحمد فيكاد من برديه يشرق أحمد

والقصيدة طويلة قد أخذنا منها موضع الحاجة ، وهي من القصائد الجليلة التي قالها من يحمل الولاء والحب إلى أهل البيت النبوي الطاهر ، غير إنّ الشاعر المؤيّد محمد مجذوب طرسوس ـ سوريا ـ استاذ الادب والعربية والذي قال هذه القصيدة في مدح مولاي أميرالمؤمنين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قد ابتدأها بذمّ معاوية المذموم في كتاب الله تعالى وفي أقوال رسوله الكريم محمد ، كذلك قد وصف الشاعر المؤيّد زريبة معاوية ، أي موضع (قبره) بانها ذات مصلّى عديم المصلين ، ووصفها بانها ذات قبّة إلّا إنّ تلك القبّة قد نكس طرفها ، وإنّ معالمها قد خفيت على زوارها وانا أقول في وصفها زيادة على ما ذكره الشاعر المؤيّد : إنّ تلك الزريبة هي قطعة من جهنم فمعاوية الآن يسكن الهاوية ويصلى بالنار الحامية وعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لأن المسألة ليست متعلقة بوجود القبة او عدم وجودها على ضريحه وانما العمل الصالح هو المقياس والميزان الذي توزن به الشخصية وتقيّم .

فعلي عليه السلام هو ميزان الأعمال ، ومقلّب الأحوال ، وسيف ذي الجلال ، إمام

المتّقين ، ويعسوب الدين ، وقائد الغر المحجّلين ، سواء ان وجدت على قبره الشريف قبّة أو لم توجد ، لأن قبره في قلوب المؤمنين ، والاعتداء الغاشم على قبره الشريف من اعداء الدين المجرمين في هذه الايّام لا يؤثّر على قداسته وكرامته ، وعلى سبيل المثال قبور ائمة أهل البيت عليهم السلام في البقيع قد مرّ على هدمها أعوام كثيرة فلم يؤثّر ذلك في قداستهم ، وكرامتهم عند الله تعالى وعند عباده ، فقبر إمام الحق سواء ان وجد عليه قبّة ام لا يوجد فهو إمام مفترض الطاعة ، وقبر معاوية إمام المفسدين والضالين سواء ان وجدت عليه قبّة ام لم توجد ، فهو ملعون مستحق من الله اللعنة والعذاب الدائم .

* * *

من كان لم يطأ التراب برجله ... وطأ التراب بصفحة الخد
من كان بينك وبينه ... شبران كان بغاية البعد
لو بعثرت للناس اطباق الثرى ... لم يعرف المولى من العبد

* * *

وقال ابن الرومي في الشيب الذي هو نذير الموت :

يا شبابي وأين مِنّي شباب ... آذنتني أيامُه بانقضاب
لهف نفسي على نعيمي ولَهوي ... تحت أفنانه اللدان الرّطاب
ومُعزٍ عن الشباب مُؤسّ ... بمشيب الأتراب والأصحاب
قلت لما انتحى يعدّ اساءةً ... من مصاب شبابه فمصاب
ليس تأسو كلُومُ غيري كُلومي ... مابه مابه وما بي ما بي

* * *

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

إن الذين بنوا فطال بناؤهم ... واستمتعوا بالمال والأولاد
جرت الرياحُ على محل ديارهم ... فكأنّهم كانوا على ميعاد

ولـه أيضاً عليه السلام :

فـلـم أر كـالدنيا بهـا اغـترّ أهـلُها   ولا كاليقين استوحش الدهر صاحبه
أمـــرُّ عـلى رسم الديـار كأنّما   أمـرُّ عـلى رسم أمـري مـا أنـاسبُه
فـــوالله لولا أنــني كـلّ ســاعة   إذا شئت لاقيت أمراً مـات صـاحبه

*   *   *

أيهـــا المــــرء إنَّ دنـيـاك بحـر   مـــوجُهُ طـــافح فــلا تأمــنها
وســبيل النـــجاة فـيها مُـنيرُ   وهــو أخـذُ الكـفاف والقـوت مـنها

*   *   *

طــوبىٰ لعـبدٍ بحـبل الله مـعتصم   عــلى صراطٍ ســويّ ثـابت قـدمُهْ
مـــازال يحـتقر الدنـيا بهـمّته   حتى تـرقّت إلى الأُخـرى بـه همـمُهْ
رثُّ اللـباس جـديد القـلب مُسـتتر   في الأرض مشتهر فوق السماء نسُـمهْ
إذا العــيونُ اجـتلتهُ في بـذاذتِـهِ   تـعلو نـواظـرها عـنه وتـقتحمه

*   *   *

صروف الدهـــــر تكـــويني   فـــــلا تَــدري بـــتكويني
وأيّـــــامي تُـــــلوِّنني   بـــتغيير وتَـــــلويني
وعُـــــمري كـــلّه فـــان   بــــلا دُنـــيا ولا ديـــن
فـــــلا عـــزّ ذوي العـــقل   ولا عَــــيشُ المــــجانين
ويـــا قـــلبي الذي قـد مـات   ومــــاتوا مـــن يُـــعزّوني
أنـــا مـــن جمــلة الأمـوات   لكــــن غـــير مـــدفون
أرى عـــــيشي لا يخـــلو   وأيّــــامي تُـــــعاديني
وكــــم أنـــشرُ آمـــالي   وصَرف الدهـــــر يـــطويني
أقـــــول اليـــوم واليـــوم   ولكــــن مـــن يخـــلّيني

*   *   *

نُجبُ الأعـــمار بـــنا تَـــثِبُ ... مـــا أسرع مـــا تِـصلُ النـجبُ

* * *

في الدهـــر تحـــيّرت الأمـــمُ ... والحـــاصل مـــنه لهـــم ألم

بـــعجائبه ومـــصائبه ... أمـــواج زواخـــر تـــلتطمُ

والقـــمرُ يســـير مسـير الشـمس ... فـــليس تَـــقرّ له قـــدم

قـــدمان له يســـعى بهـــما ... فـــضُحى ودُجـــى ضـــوءٌ ظُـــلَمُ

والنـــاس بحُـــلم جـــهالتهم ... فـــإذا ذهـــبوا ذهب الحُـــلمُ

صمٌّ بكـــمٌ عـــميٌ بُهْـــمُ ... نَـــعَمٌ قســـمت لهـــم نِـــعَمُ

فـــرَقوا فـــرَقاً فـــرقوا فِـرقاً ... ومـــضوا طُـــرُقا لا تـــلتِمُ

ذا مُـــرتفع ذا مـــنتصب ... ذا مـــنخفض ذا مـــنجزِمُ

لا يـــفتكرون لمـــا وجَـــدوا ... لا يـــعتبرون لمـــا عـــدِموا

أهـــواءُ نُـــفوسِهم عـــبَدوا ... والنـــفسُ لعـــابدها صـــنمُ

واسمُ الاســـلامِ عـــلى ذا الخـــلق ... وليس المســـلم عـــشرَهم

أو ليس المســـلم مـــن سَـلِمتْ ... مـــعه نـــفسٌ ويـــدٌ وفـــمُ

* * *

وقال بعضهم :

من كان حين تصيب الشمس جبهته ... أو الغـبار يخـاف الشـين والشـعثا

ويألف الظـل كـي تـبقى بشـاشته ... فسوف يسكـن يـوماً راغـماً جـدثا

في قـعر مـقفرة غـبراء مـظلمة ... يـطيل تحت الثرى في غمّها اللـبثا

تجـهزي بجـهاز تـبلغين بـه ... يا نـفس قـبل الردى لم تخـلق عـبثا

* * *

يـا أيهـا الراقـد كـم ذا المـنام ... عـلام ذي الغـفلة جـهلاً عـلام

عـلام تـفنى العـمر لا تـرعوي ... شربت يـا هـذا نمـير المـدام

في طمع الدنيا ولذاتها وجمع ما تترك من ذا الحطام
حل بك الشيب أما تستحي قد آن إقلاعك عن ذا المقام
قد أشبه الشبان في جهلهم ذو شيبة يفعل فعل الغلام
كأن بالصحة قد حولت وألبس المسكين ثوب السقام
فارقت القوة أركانها من كلّ ما تقدر حتى الطعام
فيا هنيئاً لا مرىء قدمت يداه خيراً بعده لا يضام
فليتب المذنب من زلة موبقة تزريه بين الأنام

* * *

هي الدنيا تقول بملأ فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم حسن ابتسامي فقولي مضحك والفعل مبكي
أنا الدنيا كشهدٍ فيه سمٌّ وإلّا جيفة طليت بمسك

* * *

ومما قاله بعض الاكابر في مرضه الذي مات فيه :

نمضي كما مضت القبائل قبلنا لسنا بأوّل من دعاهُ الداعي
تبقى النجوم دوائراً افلاكُها والأرضُ فيها كلٌّ يوم ناعِ
وزخارف الدنيا يجوز خداعُها أبداً على الأبصار والأسماعِ

* * *

شعر فيه بالاضافة الى ذم الدهر موعظة بليغة :

تمضي من الدهر النعيم إلى كم ذا التواني وكم يُغري بك الأملُ
وتدّعي بطريق القوم معرفة وأنت منقطعٌ والقومُ قد وصَلوا
فانهض الى ذِروة العلياء مُبتدرا عَزماً لترقى مكاناً دونه زُحلُ
فإن ظفرت فقد جاوزت مكرمة بقاؤها ببقاء الله متصلُ

وإن قضيت بهم وجدا فأحسنُ ما يُقال عنك قضى من وجده الرجلُ

❊ ❊ ❊

مضى في غفلة عُمْري كذلك يذهب الباقي
أدِرْ كأسا وناوِلْها ألا يا أيّها الساقي
ألا يا ريحُ إن تمرُر بأهل الحيّ من حُزوي
فبلّغهم تحياتي ونبئهم بأشواقي
وقل أنتم نقضتم عهدكم ظلماً بلا سبب
وإنّي ثابت أبداً على عهدي وميثاقي

❊ ❊ ❊

قال شيخنا البهائي قدس سره :

وممّا كتبه الشريف جمال النقباء ، أبو إبراهيم محمد بن علي بن أحمد بن محمد ابن الحسين بن اسحاق بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، وأبو الرضا ، والمرتضى رحمه الله الى ابي العلاء المعري :

غير مستحسَن وِصالُ الغواني بعد ستين حجّة وثمان
فُصن النفس عن طلاب التصابي وازجُرِ القلبَ عن سؤال المغاني
إن شرْخَ الشباب بدّله شيباً وضعفاً مقلب الأعيانُ
فانفض الكفَّ من حياء المحيا وامعن الفكر في اطراح المعاني
وتيمّن بساعة البين واجعل خير فألٍ تناعب الغربان
فالأديبُ الأريبُ يعرفُ ما ضُمِّن طَيّ الكتاب بالعُنوان
أتُرجِّي مالا رحيباً وإسعاد سُعادٍ وقد مضى الأطيبان
غلّف الدهرُ عارضيك بشيبٍ أنكرت عرفه أنوف الغواني
وتحامت جِماكَ نافرة عنك نفارَ المها من السرحان
وَردَ الغائبُ البغيضُ إليهنّ وولى حبيبُهن المداني

وأخـو الحزم مُعزم بحميد الذكر   يـومَ النـدى ويـومَ الطـعان
همّـه المـجدُ واكـتسابُ المـعالي   ونـوالُ العـافي وفكّ العـاني
لا يُـعير الزمـان طـرفاً ولا يحـملُ   ضـيراً بـطارقِ الحـدثان

* * *

وقال الشيخ حسن بن زين الدين العاملي في ذم الدهر والدنيا وتعبه فيها :

أجـهدني حمـلُ النـصَبْ   ونـالني فـرطُ التـعبْ
اذمُـرَّ حـالاتِ النـوى   عـلى دهـري قـد كـتَبْ
لا تـعجَبوا مـن سـقمي   إنّ حـياتي العـطبْ
عـاندني الدهـرُ فـما   يَـودّ لي إلّا المـطبْ
ومـا بـقاءُ المـرء في   بحـر هـموم وكُـربْ
لله أشكُـو زمـناً   في طـرُقي الغـدرَ نـصب
فـلست أغـدو طـالباً   إلّا ويُـعييني الطـلبْ
لو كـنتُ أدري عـلةً   تـوجب هـذا أو سـببْ
كأنّـه يحسـبني   في سـلك أصـحاب الأدبْ
أخـطأت يـادهُر فـلا   بـلغت في الدنـيا أربْ
كـم تألفُ الغـدرَ ولا   تخـافُ سـوءِ المـنقلبْ
غـادرْتِني مُـطَّرحـاً   بـين الرزايـا والنـوبْ
مـن بـعد مـا ألبسـتَني   ثـوبَ عـناء ووصبْ
في غـربة صماءَ إن   دعـوت فـيها لم أُجَبْ
وحـاكـمُ الوجـد عـلى   جَمـيلِ صـبري قـد غـلبْ
ومـؤلم الشـوق لدى   قـلبِ المـعنّى قـد وجب
فـفي فـؤادي حُـرقةٌ   مـنها الحـشي قـد الْـتهبْ
وكـل أحـبابي قـد   أودعـتُهم وشـط الترب

فـــــلا يـــــلُمني لائمٌ   إن ســـــال دمـــعي وانسكبْ
واليـــــومَ نـــــائي أجـــلي   مـــن لوعـــتي قـــد اقـترب
إذ بـــــان عــــنِّي وطـــني   وعـــيل صـــبري وانســلبْ
ولم يــــدعْ لي الدهـــرُ مـــن   راحـــــلتي غـــيرَ القـــتبْ
لم تــرضَ يـــا دهـــرُ بمـــا   صرفُك مـــــني قــــد نهبْ
لم يــــبق عـــندي فـضة   أنـــــفقها ولا ذهب
واســــترجـــع الصـــفو الذي   مـــن قـــبلُ كـــان قــد وهبْ
وكـــم عـــلى حُـــرٍّ بــغى   فشـــاب مـــنه وانحـــدبْ
تـــبَّت يــداكَ مـــثل مـــا   تـــبّت يـــدا أبي لهب
فمـــا يُـــضاهيك سِـــوى   مـــن نـــعتُها حَمـــلُ الحـطبْ
ومكـــرُك السيءُ لا   يـــزال مـــقطوع الذنبْ
وعـــنك لا يَـــبرح مـــا   كـــيدُك فـــيه قــد ذهبْ
حـــتّام يـــا دهـــرُ أرى   مـــنك البرايـــا في تــعبْ
مـــا آن أن تُـــصلح مـــا   صرفُك فــــينا قــد خـــربْ
مـــا حـــان إرجـــاعُ الذي   مـــن قـــبل مـــنّا قـد سُـلبْ
شِـــقشقة محـــملها   يكشـــف عـــن حـــال الغـضبْ
إن الزمــــان لم يـــزل   يــــفتك في أهـــل الحسبْ
وصرفـــه مـــن جَـــوْره   لجـــرّهم قــــد انـــتصبْ
تُــــبصرُهُ أعـــيننا   فــــهم عـــلى حـــال عـجبْ
وكــــل غَـــمر جـــاهلٍ   يـــبلُغ مـــنه مـــا طـــلبْ
هـــذا الذي حـــرّك مـــن   عــــزمي الذي كـــان وجبْ
لا غَـــروَ يـــاقلبُ فــلا   تجـــزع فـــللامر ســـببْ
كــلُّ ابـــن أنـــثى هـــالك   وســـوف يأتي مـــن حـــدبْ

أوقفه العرضُ إذا ... لم يدرِ من أين الهربْ
وضاقت الصحف بما ... عليه مولاه حسبْ
قد أحصت أعمالهُ ... وكاتب الحق كتبْ
لم يغن عنه ولدٌ كلا ... كلا ولا جدّ وأبْ
ولم يكن ينفعُه ... في الحشر إلا ما كسبْ

❊ ❊ ❊

وقال ابن سينا :

تعس الزمانُ فإنّ في إحسانهِ ... بُغضاً لكل مفضّل ومبجَّلِ
وتراه يعشَق كلَّ رذل ساقطٍ ... عِشقَ النتيجةِ للاخسِّ الأرذلِ

❊ ❊ ❊

ومن الديوان المنسوب الى أمير المؤمنين عليه السلام :

أأنعم عيشاً بعد ما حَلّ عارضي ... طلائع شيب ليس يُغني خضابُها
أيا بُومةً قد عشّشت فوق هامتي ... على الرغم منّي حين طارَ غُرابها
رأيتِ خرابَ العُمر منّي فزرتني ... ومأواكِ من كلّ الديارِ خرابُها
إذا اصفرّ لونُ المرء وابيضّ رأسه ... تنغص من أيامه مستطابُها
فدع عنكَ فضلات الأمورِ فإنّها ... حرامٌ على نفس التقي ارتكابُها
وما هي إلا جيفةٌ مستحيلةٌ ... عليها كلابٌ همّهنّ اجتذابُها
فإن تجتنبها كنتَ سِلما لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتْك كلابُها
فطُوبى لنفس أوطنتْ قعر دارِهَا ... مُغلّقةَ الأَبواب مُرخى حجابُها

❊ ❊ ❊

وقال مولانا المقدس الجليل شيخنا البهائي قدس سره في قصيدة عصماء يمتدح فيها مولانا الأعظم إمام العصر والزمان ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف وارواحنا فداه ـ ويستنجد به على ما حلّ به من نوائب الدهر وحوادثه ، وما يفعله من

الانتقاص باولياء الله ومساواتهم بأرذل خلق الله ، وإنّ الدنيا قد أبعدت أحبائه وتركته لوحده وأبدلته من بعد صفوه بأكدارٍ مؤلمة ، فهو يتوجه لما نزل به متوسلاً إلى الله تعالى بحضرة مولانا امام العصر ـ عجل الله فرجه ـ الذي يملأُ الله تعالى به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً فيقول :

سرى البرقُ من نجدٍ فجدد تذكارِي ... عُهوداً بحُزوْى والعُذيب وذي قار
وهيَّج من أشواقنا كلَّ كامنٍ ... وأجج في أحشائنا لا عجَ النارِ
ألا يا أُليلاَت الغُوير وحاجرٍ ... سُقيت بهامٍ من بني المُزن مِدرار
ويا جيرةً بالمأزمَيْن خيامُهم ... عليكُم سلامُ الله من نازح الدار
خليلَي مالي والزمان كأنما ... يطالبُني في كُلّ آنٍ بأوتَار
فأبعد أحبابي وأخلى مرابعي ... وأبدلني من كل صَفو بأكدارِ
وعادلَ بي من كان أقصى مرامِه ... من المجدِ أن يسمُو إلى عُشرمعشاري
ألم يدر أنّي لا أزالُ لخطبِه ... وإن سامني خسْفاً وأرخصَ أسفاري
مَقامِي بفرْق الفرقَدين فما الذِي ... يُؤثرهُ مسماهُ في خفضِ مقداري
وإني امرء لا يُدرك الدهرُ غايتي ... ولا تصلُ الأيدي إلى سرّ أغوارِي
أخالطُ ابناءَ الزمانِ بمقتضى ... عُقولهُم كي لا يفوهُوا باذكاري
وأظهرُ أني مثلُهم يستفزّني ... صروفُ الليالي باختلال وإمرارِ
وإنّي ضارِي القلبِ مستوفز النهي ... أُسَرّ بيسر أو أساءُ بإعسار
ويُضجرني الخطبُ المهولُ لقاؤه ... ويُطربني الشادِي بعود ومزمار
ويُصمي فؤادِي ناهدُ الثدي كاعبٌ ... بأَسمر خطّارٍ وأَحورَ سحّار
وإني سخي بالدموع لوقفةٍ ... على طَلل بالٍ ودارسِ أحجار
وما علموا أني امرؤ لا يَروعُني ... توالي الرزايا في عشي وإبكار
إذا دُكَّ طودُ الصبر من وقع حادثٍ ... فطودُ اصطِباري شامخ غير منهار
وخطب يُزيل الروعَ أيسرُ وقعة ... كؤودٍ كوخزٍ بالأسنة سعّار

تـــلقّيتُه والحـــــتفُ دون لقـــائه بــقلب وَقــورٍ بـــالهزاهــزِ صبّار
ووجـــــهٍ طــليق لا يُمــلّ لقـــاؤُه وصـــدرٍ رحـيب في ورود وإصـدار
ولم أبـــدِه كــي لا يُســـاءَ لوقْــعه صديقي ويأسى مـن تـعسّره جـاري
ومُــعضلةٍ دهمـــاء لا يَهــتدي لهـــا طريقٌ ولا يُهدي إلى ضوئها الساري
تَشيب النواصي دون حـلّ رُمـوزها ويُحجم عـن أغـوارهـا كـلّ مـغوارِ
أجـلتْ جـيادَ الفكـر في حـلباتِهَا ووجهتُ تـلقاها صـوائبَ أَنـظاري
فأبرزت من مستورها كـلّ غـامض وثـــقفتُ مـنها كـــلَّ أصـور مـوّار
أأضرع للبوى وأغضِي عـلى القـذَى وأَرضى بمـا يَـرضى بـه كـل خـوّار
وأفــرحُ مـــن دهـري بـلذّة ساعةٍ وأقـنعُ مـن عـيشي بـقُرصٍ وأطـمار
إذَن لا وَرَى زنـدي ولا عـزّ جـانبي ولا بـــزغتْ في قـمَّـة المـجدِ أقـماري
ولابْـــلَّ كــفّي بـــالسماحِ ولا سرتْ بطيب أحادِيثي الركـابُ وأخـباري
ولا انـــتشرَتْ في الخـافقين فـضائلي ولا كان في المـهديّ رائـق أشـعارِي
خـــــليفةِ ربّ العــــــالمين وظِــلّه على ساكـنِ الغـبراء مـن كـلّ ديـار
هو العُـروة الوثـق الذي مَـنْ بـذيله تمسَّك لا يخـــشى عـــظائم أوزارِ
إمـــامُ هــدىً لاذ الزمـــانُ بــظلّهِ وألق إليـــه الدهـــرُ مــقود خـــوّار
ومـــــقتدرٌ لو كــلّف الصمَّ نــطقَها بأجــدارِهـــا فــاهت إليـه بأجـدار
عـلومُ الورى في جـنب أبحـرُ عـليه كـغُرفةِ كــفٍّ أو كــغمسةِ مـنقارِ
فــلو زار أفـلاطونُ أعـتابَ قُـدْسه ولم يُــعسه عـــنها ســـواطعُ أنـوار
رأى حـــكمةً قُـــدسيّة لا يشـــوبُها شـــوائب أنـــطارٍ وأَدنـاسُ أفكـار
بـــإشراقـــها كـــلّ العـــوالم أشرقتْ لما لاح في الكونين من نورها الساري
إمامُ الورى طودُ النهى منبعُ الهـدى وصــــــاحبُ سر الله في هـــذه الدار
بـــه العـــالم السفليّ يســمو ويـعتَلي على العالم العُـلويّ مـن دون إنكـارِ
ومـــنه العـقولُ العـشرُ تـبغي كـمالَهَا وليس عـــليها في التـــعلّم مـن عـارِ

هُمــامٌ لو السبعُ الطباق تطابقت ... على نقض ما يقضيه من حُكمه الجاري

لنُكّس مــن أبــراجــها كـلّ شامخٍ ... وسُكِّــنَ مـن أفـلاكِها كـلّ سيّار

ولانتثـرت مــنها الثـوابتُ خـيفة ... وعاف السرى في سُورها كـلٌّ سيّار

أيــا حُــجّةَ الله الذي ليس جــارياً ... بــغير الذي يــرضاه ســابقُ أقـدارِ

ويــا مَــن مــقاليدُ الزمــان بكـفّه ... وناهيك من مجـدٍ بـه خـصَّهُ البـاري

أُغث حوزةَ الإيمـان واعـمُر ربـوعه ... فــلم يـبق مـنها غـيرُ دارِس آثـار

وانــقذ كــتابَ الله مـن يـد عُـصبةٍ ... عــصَوْا وتمــادَوا في عُــتوٍّ وإصْرار

يحـــيدون عــن آيــاته لروايــة ... رواها أبُو شعيُونَ عن كعب الأحـبار

وفي الدين قد قاسُوا وعاثوا وخبّطوا ... بآرائــهم تخــبّطَ عشــواءَ مــعشار

وأنعش قـلوباً في انـتظارك قُـرّحَتْ ... وأضــجرها الأعـداءُ أيّـةَ إضـجار

وخـلّص عـبادَ الله مـن كـل غـاشمٍ ... وطَـــهِّر بــــلادَ الله مــن كَــفّار

وعــجّل فــداك العـالَمون بأسرهـم ... وبادِر على اسمِ الله مـن غـير إنـظار

تجــدْ من جـنود الله خـيرَ كـتائب ... وأكـــرمَ أعــوان وأشرفَ أنــصار

بهم مـن بـني همـدانَ أخـلصُ فـتيةٍ ... يخوضون أغـمارَ الوغـى غـير نكّـار

بكــلّ شــديد البأسِ عـبلٍ شمـرْدلٍ ... إلى الحتف مقدامٍ على الهـول مـصبار

تحــاذرُه الأبــطالُ في كــل مـوقف ... وتــرْهَبُه الفــرسانُ في كـل مـضمار

أيــا صــفوةَ الرحمـن دونك مِـدحةً ... كــدرٍّ عــقود في تــرائب أبكــار

يُهــنّي ابـنُ هـاني إن أتي بـنضيرها ... ويـعنو لهـا الطـائيّ مـن بـعد بشـار

إليكَ البهَــائيّ الحــقيرُ[1] يــزفّها ... كــغانية مــيَّاسةِ القَــدّ مــعطارِ

تُــغارُ إذا قــيست لطــافةُ نـظمها ... بــنفحة أزهــارٍ ونســمة أســحارِ

إذا رُدِّدتْ زادت قــبولاً كأنهــا ... أحــاديثُ نجــد لا تُمــل بــتكرار

* * *

---

(١) لعل في بعض النسخ ـ الفقير بدل الحقير.

وقال الفاضل المحقق أبو السعود أفندي صاحب التفسير، المفتي بالقسطنطينية في قصيدة طويلة أخذنا منها ما يتعلق بما نحن فيه من ذم الدنيا وتارات الدهر:

وللدهر تارات تمرّ على الفتى ... نعيمٌ وبؤسٌ صحةٌ وسَقامُ
ومن يك في الدنيا فلا يعتبنّها ... فليس عليها معتَبٌ ومَلامُ
أجِدَّك ما الدنيا وماذا متاعُها ... وماذا الذي تبغيه فهو حُطام
تشكَّلَ فيها كلّ شيء بشكلِ ما ... يُعاندهُ والناسُ عنه نيامُ
ترى النقصَ في زيّ الكمالِ كأنّما ... على رأسِ ربات الحجال عمامُ
فدعها ونُعماهَا هنيئاً لأهلها ... ولاتك فيها راعياً وسَوامُ
تَعافُ العرانينُ السماط على الخوى ... إذا ما تصدّى للطعام طَغامُ
على أنها لا يُستطاعُ منالُها ... لما ليس فيه عُروةٌ وعصامُ
ولو أنتَ تسعى إثرها ألفَ حِجَّةٍ ... وقد جاوز الطيبين منك حِزامُ
رجعتَ وقد ضلّت مساعيك كلها ... بخفيّ حُنَين لا تزال تُلامُ
هب أن مقاليدَ الأمور ملكتَها ... ودانت لك الدنيا وأنت هُمامُ
ومُتّعت باللذّاتِ دهراً بغبطَة ... أليس بحتم بعد ذاك حِمامُ
فبين البَرايا والخلود تباينٌ ... وبين المنايا والنفوسِ لزامُ
قَضيّةٌ انقادَ الانامُ لحكمها ... وما حاد عنها سيّدٌ وغُلام
ضَروريَّةٌ تقضي العقولُ بصدقها ... سل ان كان فيها مريةٌ وخِصامُ
سلِ الأرضَ عن حالِ الملوكِ التي خلتْ ... لهم فوقَ فرق الفرقدين مُقام
بأبوابهمْ للوافدين تراكمُ ... بأعتابهم للعاكفين زحامُ
تُجبْك عن اسرار السيوف التي جرت ... عليهمْ جواباً ليسَ فيه كلامُ
بأنّ المنايا أقصدتهم نبالُها ... وما طاشَ عن مرمىً لهنَّ سهام
وسيقوا مسَاق الغابرين إلى الردى ... وأقفَر منهمْ منزلٌ ومُقَام

وحَــلّوا محــلّاً غــير مـا يَـعهدونه　　فــليس لهــم حــتى القــيام قـيامُ
ألمَّ بهــــم ريبُ المـــــنون فـغالهم　　فــهم بــين أطــباقِ الرغَـام رَغـام

خسائس صفاتهـــا

لقد تحدثنا فيما تقدم لقارئنا الكريم عن ذم الدنيا ، وأوردنا له الدليل على ذلك ، آيات قرآنية ، واحاديث معصوميّة ، وأقوال نبويّة ، وحكايات إرشاديّة ، ومقطوعات شعرية قد فهمنا من خلالها كيف إنّ الدنيا مذمومة ملعونة إلّا الذي كان منها لله تعالى .

وهنا نتحدث بصورة إجماليّة مختصرة عن خسائس صفاتها وحقارتها وقد ذكر علماء آل محمد عليهم السلام إنّ للدنيا صفات خسيسة قد مثلوها في كلٍّ صفة بما تماثله فيها، نعرض ما ذكروه بالتسلسل المرقم فيما يلي :

١ ـ **مثالها في سرعة الفناء والزوال وعدم الثبات** : مثل النبات الذي اختلط به ماء السماء فاخضرّ ، ثم اصبح هشيما تذروه الرياح ، أو كمنزلٍ نزلته ثم ارتحلت عنه، او كقنطرة تعبر عنها ولا تمكث عليها ، كما مرّ عليك في بعض الاحاديث .

٢ ـ **مثالها في قصر عمرها لكلٍّ شخص بالنسبة إلى ما تقدّمه من الأزل ، وما يتأخّر عنه من الأبد** : كمثل خطوة واحدة ، بل أقل من ذلك بالنسبة الى سفرٍ طويل ، بل بالنسبة إلى كلٍّ مسافة الأرض اضعافاً غير متناهية .

ومن رأى الدنيا بهذه العين ، لم يركن إليها ، ولم يبال كيف انقضت ايّـامه منها في ضيق وضر ، أو في سعة ورفاهية ، بل لا يبني لبنة على لبنة ، لقد توفي سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ، ورأى صلى الله عليه وآله بعض أصحابه يبني بيتاً من جص فقال صلى الله عليه وآله : أرى الأمر أعجل من ذلك .

وكان صلى الله عليه وآله ينام على سرير من ليف حتى إنّه قد أثّر في بدنه الشريف ، وقال بعض الشعراء في ذلك :

سريــــره ﷺ مــرمّل بـالليفِ أثّــــــر في بــدنه الشريـــف
لمّـــا رآه عـــمر وقـــد بكـــى قـــال له يـــاعمر دع البكـــا
لاتــــغتر بـــقيصر وكـــسرى أولاك لاحـــظّ لهـــم في الاخـــرى

٣ـ مثالها في نضارة أولها، وخباثة عاقبتها : كالاطعمة التي تؤكل ، فكما أنّ الطعام كلّما كان ألذّ طعماً، وأكثر دسومة، كان رجيعه اقذر واشد نتناً ، فكذلك كلّ شهوة من شهوات الدنيا التي كانت للقلب أشهـى وأقـوى، فـنتنها وكـراهـيّتها والتأذي بها عند الموت أشد، وهذا مشاهد في الدنيا، فان المصيبة، والالم، والتفجّع في كل ما فقد بقدر الالتذاذ بوجوده وحرصه عليه ، وحبه له ، ولذا ترى أن من نَهب داره ، وأخذ اهله واولاده ، يكون تفجّعه وألمه أشدّ ممّا إذا اخذ عـبد مـن عبيده، فكلّ ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ ، فهو عند الفقد أدهى وأمر ، وما للموت معنى الاّ فقد ما في الدنيا .

٤ ـ مثالها في تنعم الناس بها ثم تفجّعهم على فراقها : مثل طبق ذهب عليه بخور ورياحين ، في دار رجل هيّأه فيها ، ودعا الناس على الترتيب واحداً بعد واحد ليدخلوا داره ، ويشمه كلّ واحد وينظر اليه ، ثم يـتركه لمـن يـلحقه ، لا ليتمّلكه ويأخذه ، دخل واحد وجهل رسمه ، فظنّ أنّه قد وهب ذلك له ، فتعلّق به قلبه ، لمّا ظنّ أنّه له ، فلمّا استرجع منه ضجر وتألم ، ومن كان عالماً برسمه انتفع به ، وشكره وردّه بطيب قلب وانشراح صدر .

كذلك من عرف سنة الله تعالى في الدنيا ، علم انّها دار ضيافة سبلت على المجتازين لينتفعوا بما فيها ، كما ينتفع المسافر بالعواري ، ثم يتركوها ويتوجهوا إلى مقصدهم من دون صرف قلوبهم إليها ، حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها ، ومـن جهل سنة الله فيها ، ظنّ أنها مملوكة له ، فيتعلّق بها قلبه ، فلما أخذت منه عظمت بليّته واشتدّت مصيبته .

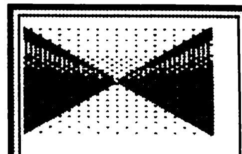
ومثالها وأهلها في اشتغالهم بنعيمها وغفلتهم عن الآخـرة ، وحـسراتهـم

العظيمة بعد الموت ، من فقدهم نعيم الجنّة بسبب انغمارهم في خسائس الدنيا ، مثل قوم ركبوا السفينة ، فانتهت بهم إلى جزيرة ، فأمرهم الملّاح بالخروج لقضاء الحاجة ، وحذّرهم المقام فيها ، وخوّفهم مرور السفينة واستعجالها ، فتفرقوا في نواحي الجزيرة ، فقضى بعضهم حاجته ، وبادر إلى السفينة ، فصادف المقام خالياً، فأخذ أوسع الاماكن واوفقها بمراده ، وبعضهم توقف في الجزيرة ، واشتغل بالنظر إلى أزهارها ، وأشجارها ، وأحجارها ، ونغمات طيورها ، ثم تنبّه لخطر فوات السفينة ، فرجع إليها ، فلم يصادف إلّا مكاناً ضيقاً ، فاستقر فيه ، وبعضهم بعد التنبّه لخطر مرور السفينة ، لمّا تعلق قلبه ببعض أحجار الجزيرة ، وازهارها ، وثمارها ، لم تسمح نفسه باهمالها ، فاستصحب منها جملة ورجع إلى السفينة ، فلم يجد فيها إلّا مكاناً ضيقاً لا يسعه إلّا بالتكلّف والمشقّة ، وليس فيه مكان لوضع ما حمله ، فصار ذلك ثقلا عليه ووبالا ، فندم على أخذها ، ولم يقدر على رميها ، فحملها في السفينة على عنقه متأسفاً على أخذها ، وبعضهم اشتغل بمشاهدة الجزيرة ، بحيث لم ينتبه من خطر مرور السفينة ومن نداء الملاح ، حتى امتلأت السفينة ، فتنبّه اخيراً ورجع إليها ، مثقلاً بما حمله من أحجار الجزيرة وحشائشها ، ولمّا وصل إلى شاطىء البحر صارت السفينة ولم يجد فيها موضعاً اصلاً فبقي على شاطىء البحر ، وبعضهم لكثرة الاشتغال بمشاهدة الجزيرة وما فيها نسوا المركب بالمرّة ، ولم يبلغهم النداء أصلاً ، لكثرة انغمارهم في أكل الثمار وشرب المياه والتنسّم بالأنوار والازهار، والتفرّج بين الاشجار، فسارت السفينة وبقوا في الجزيرة من دون تنبههم بخطر مرورها ، فتفرقوا فيها ، فبعضهم نهشته العقارب والحيّات ، وبعضهم افترسته السباع ، وبعضهم مات في الاوحال ، وبعضهم هلك من الندامة ، والحسرة ، والغصّة . واما من بقي على شاطىء البحر فمات جوعاً ، واما من وصل الى المركب مثقلا بما أخذه ، فشغله الحزن بحفضها ، والخوف من فوتها ، وقد ضيق عليه مكانه ، فلم يلبث ان ذبلت ما اخذه من الازهار ، وعفنت الثمار ، وكمدت

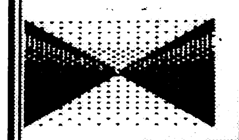
ألوان الاحجار ، فظهر نتن رائحتها ، فتأذى من نتن رائحتها ، ولم يقدر على القائها في البحر لصيرورتها جزءاً من بدنه ، وقد أثّر فيه ما أكل منها ، ولم ينته إلى الوطن إلّا بعد احاطة الأمراض والاسقام عليه لاجل ما لم ينفك عنه من النتن ، فبلغ إليه سقيماً مدنفاً ، فبقي على سقمه أبداً ، أو مات بعد مدة .

وامّا من رجع إلى المركب بعد ضيق المكان ، فما فاته إلّا سعة المحل ، فتأذى بضيق المكان مدة ، ولكن لمّا وصل إلى الوطن استراح ، ومن رجع إليه اوّلاً ووجد المكان الأوسع فلم يتأذ من شيء اصلاً ، ووصل الى الوطن سالماً .

فهذه أمثال اصناف أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ، ونسيانهم وطنهم الحقيقي ، وغفلتهم عن عاقبة امرهم ، وما اقبح بالعاقل البصير ان تـغره بأحجار الأرض وهشيم النبت ، مع مفارقته عند الموت ، وصيرورته كلّا ووبالا عليه .



أسباب الميل لها



لقد تحدثنا ـ لقارئنا العزيز ـ فيما تقدّم عن خسائس صفات الدنيا وحقارتها وذكرنا أقوال العلماء في ذلك على وجه الاختصار وعدم الاطالة. وهنا نتحدّث عن اسباب الميل للدنيا، وبواعث ذلك، ولا يخفى على العارف اللبيب أنّ اسبابه كثيرة، ولا يمكننا أيضاً التطرّق إلى كل ذلك وإنّما نعرض ـ لقارئنا العزيز ـ بعضها بحسب التسلسل المرقم فيما يلي:

١ ـ أولها وأعظمها: حبّ الأولاد قال الله تعالى ﴿ إنّما أموالكم وأولاكم فتنة ﴾[١]. ويقال إنّه كان رجل بحضرة امير المؤمنين عليه السلام كان يقول: اللهمّ انّي أعوذ بك من الفتن، وتلا هذه الآية، ثم قال له عليه السلام لا تقل هذا، فإنّ أولادك من الفتن، ولكن قل اللهمّ انّي أعوذ بك من مضلّات الفتن.

وفي الرواية إنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يخطب على المنبر، فجاء الحسنان عليهما السلام وعليهما ثياب جديدة، فعثر الحسين عليه السلام في ذيل ثوبه، فلمّا رآه النبي صلى الله عليه وآله قطع الخطبة، وسقط عليهما، وحملهما، وأجلسهما معه فوق المنبر، وقال: صدق الله تعالى حيث قال ﴿ إنّما أموالكم وأولاكم فتنة ﴾[٢]، والله لما رأيت الحسين عليه السلام عثر بطرف ثوبه، لم أملك نفسي حتى وقعت عليه عليه السلام[٣].

٢ ـ ثانيها: من اسباب حب الدنيا، والميل إليها النساء وإطاعتهن روى إنّ رجلاً من بني اسرائيل رأى في المنام انّه خير ثلاث دعوات مستجابات إن

---

(١) و (٢) التغابن / ١٥.
(٣) أقول هذه الرواية ذكرها السيد نعمة الله الجزائري والرسول صلى الله عليه وآله لم يكن عاطفياً وإنما اراد ان يعرّف أصحابه بما للحسين عليه السلام من مقام كبير عند الله تعالى بحيث لم يكن مانع شرعي.

يصرفها حيث يشاء ، فشاور امرأته في محل الصرف فرأت ان يصرف واحـدة منها في حسنها وجمالها ليزيد حسن المعاشرة بينهما ، فصرفها في ذلك فـصارت جميلة فيما بين بني اسرائيل ، فاشتهر أمرها إلى ان غصبها ملك ظالم ، فدعى الرجل غيرة بأن يصيرها الله تعالى على صورة كلب ، فصارت كلباً أسود ، وجاءت إلى زوجها ، وتضرّعت إليه مدّة حتى رقّ قلبه ، ودعى بأن يصيّرها الله تعالى على صورتها الاولى ، فصارت الدعوات فيها ، وهي كما كانت بشؤم المشاورة معها .

ويقال : انّ خسرو الملك أتى إليه رجل بسمكة كبيرة فأمر له بأربعة آلاف درهم ، فقالت شيرين : فكيف تصنع اذا احتقر من أعطيته شيئاً من حشـمك ، وقال أعطاني ما أعطى الصيّاد أو أقل ؟ فقال خسرو الملك : ان الرجوع عن الهبة قبيح خصوصاً من الملوك فقالت شيرين التدبيـر ان تـدعو ، وتـقول له هـذه السمكة ذكر أم أنثى ، فان قال ذكر فتقول انّما أردت أنثى ، وان قال أنثى فتقول له انّما أردت ذكراً ، فاستدعاه فسأله عن ذلك ، فقال انّها خنثى لا ذكر ولا أنثى ، فاستحسن جوابه وأمر له بأربعة الاف درهم أخرى .

فلّما تسلم الصيّاد ثمانية آلاف درهم من الخـزان ورجـع سـقط مـنها في الطريق درهم فاشتغل بأخذه ، فقالت شيرين للملك انـظر إلى خسّـته وغـلبة حرصه ، فاستدعاه وسأله عن غرضه في انشغاله بأخذ الدرهم الساقط ، فقال : ايّها الملك كان عليه اسمك وحكمك فخفت ان يطأه أحد بـرجـله غـافلا عـنه ، فاستحسن ايضاً جوابه وأمر له بأربعة الاف درهم أخرى ، وذهب الصيّاد باثنى عشر ألف درهم ، وأمر الملك منادياً ينادي ألا من دبّر أمره برأي النساء خسر .

ويقال : إنّ رجلاً عابداً كان جالساً مع العبّاد ، فقرأ أحدهم هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله : إن درهـم الصدقة يفكّ بين لحيي سبعمائة شـيطان كـلّهم يعضون عليه بأضراسهم . فقال ذلك العابد أنا هذه الساعة أمضي إلى مـنزلي ، وأتصدّق بصدقة وأرى كيف الشياطين تمنعني ، فخرج مبادراً إلى المنزل ، فدخله

وأتى إلى الحنطة ، وبسط عباه فأخذ منها حنطة يتصدق بها ، فرأته زوجته فقالت له ، أين تريد بهذه الحنطة ، ونحن في هذه السنة المجدبة ، لعلّك تريد ان تهلك أولادك جوعاً ، فسوّلت له بالأباطيل حتى ندم ورمى بالحنطة ، وأتى إلى أصحابه فقالوا له لعلّك تصدّقت بشيء ، ولعلّ الشياطين لم يحضروك ، فقال إنّ الشياطين لم يحضروا ، ولكن كانت أمّهم حاضرة ، فقامت مقامهم في المنع يعني به زوجته .

ولا شك إنّ بعض النساء قد تعادل آلاف من الشياطين ومن هنا قال رسول الله ﷺ : (شاوروهنّ وخالفوهنّ) وكان هو ﷺ يفعل مثل ذلك ، وفي الحديث إنّه ما آيس الشيطان من بني آدم إلّا أتاهم من قبل النساء وهنّ من اعظم فخوخه ومصائده .

٣ ـ ثالثها : ومن أسباب الميل إلى الدنيا حب المال ، لانّه من شعبها ، وبعضها من حيث أنّه من أجزائها ، وهو محبوب ولا غناء إلى أحد عنه ، ولأنّه ان فقد حصل الفقر الذي يكاد ان يكون كفراً ، وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبة امره إلّا خسراناً ، فهو لا يخلو من آفات مهلكات وإن حصلت فيه فوائد منجيات إلّا انّ تمييز خيرها وشرها من المشكلات ، إذ من فقده تحصل صفة الفقر ، ومن وجوده تحصل معه صفة الغنى ، وهما حالتان : القناعة ، والحرص . واحداهما محمودة ، والاخرى مذمومة . و (للحرص) حالتان : تشمر للحرف والصنائع مع اليأس عن الخلق وطمع بما في أيديهم . واحدى الحالتين شرّ من الاخرى . و (للواحد) حالتان : إمساك ، وإنفاق . واحدهما مذموم والآخر ممدوح . و (للمُنفق) حالتان : اسراف واقتصاد والاول مذموم والثاني ممدوح . وهذه أمور متشابهة لابد أوّلا من تمييزها ، ثم الأخذ بمحمودها ، والترك لمذمومها، حتى تحصل النجاة من غوائل المال وفتنتها .

ومن هنا قال بعض الاكابر : الدرهم عقرب ، فإن لم تحسن رقيّته فلا تأخذه، فإنّه ان لدغك قتلك سمّه .

قيل : وما رقيّته ؟

قال : أخذه من حله ، ووضعه في حقه .

٤ ـ رابعها : ومن اسباب الميل إلى الدنيا حب الجاه ، وهو ايضاً بعض اجزائها ، وشعبة من شعبها ، وآفة من آفاتها العظيمة في الدين وقد ذمّه الله تعالى في كتابه العزيز بقوله تعالى ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾[1] .

وجاء في الخبر عن رسول الله ﷺ أنّه قال : حب الجاه والمال ينبتان في القلب النفاق كما ينبت الماء البقل .

وفي خبر ثاني أنّه ﷺ قال : ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فساداً من حب الجاه والمال .

وجاء عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام : إنّما هلك الناس باتّباع الهوى وحب الثناء .

وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : لا تبذل ، لاتُشهر ، ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم ، واكتم ، واصمت ، تسلم تسرّ الأبرار ، وتغيظ الفجّار .

وقال صادق آل محمد عليهم السلام ايّاكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون فوالله ما خفت النعال خلف رجل الا هلك وأهلك .

وفي حديث قال عليه السلام : ملعون من ترأس ، ملعون من همّ بها ، ملعون من حدّث نفسه بها .

وقال عليه السلام في حديث ثالث : (رُبَّ ذي طمرين لو أقسم على الله تعالى لابرّه) .

وبالجملة إنّ حب انتشار الصيت ، والاشتهار مذموم في الشرع ، والمحمود هو حب الخمول إلّا من شهره الله تعالى من غير تكلّف طلب للشهرة .

---

(١) القصص / ٨٣.

٥ ـ خامسها: السبب الخامس من اسباب الميل الى الدنيا ، هـو حب المـدح والثناء ، فهما ايضاً جزأين من أجزائها ، وشعبتين من شعبها ، وسببه شعور النفس بالكمال والدلالة ، على إنّ الممدوح قد ملك قلب المادح وسخّره ، ولاشك ان ملك القلوب أحب من ملك الاموال ، ولهذين السببين يكره الذم ويتألم بـه القـلب ، والسبب الثالث ان ثناء المثني ، ومدح المادح ، سبب لاصطياد قلب من يسمعه ، لاسيّما إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويعتد بشأنه ، وهذا يختص بثناء يقع على الملأ .

والرابع من المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطـلاق اللسان بالثناء عليه ، إما طوعاً أو قهراً ، والحشمة أيضاً لذيذة لما فيها من القهر والقدرة ، وقد تجتمع هذه الأسباب فيعظم الالتذاذ ويندفع استشعار الكمال بان يعلم الممدوح انه غير صادق في مدحه ، فإن كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ، بطلت اللذّة الثابتة ـ وهو استيلاؤه عـلى قـلبه ـ وبـقيت لذّة الاسـتيلاء بالحشمة .

٦ ـ سادسها : ومن اسباب الميل الى حب الدنيا : هو إشباع شهوة البطن ، قال مولانا المقدّس السيّد عبد الله شبّر ـ رضوان الله تعالى عليه ـ : اعلم ان البطن على التحقيق ينبوع الشهوات ، ومنبت الأدواء والآفات ، اذ يتبعها شهوة الفرج ، وشدّة الشبق إلى المنكوحات ، ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمـنكوحات ، ثم ويـتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعـونات ، وضروب المـنافسات والمـحاسدات ، ويتولد من ذلك آفة الرياء ، وغائله التفاخر ، والتكاثر ، والكبرياء ، ثم يتداعى ذلك آفة الحسد والحقد والعداوة والبغضاء ، ثم يفضي ذلك بصاحبه إلى اقـتحام البغي والمنكر والفحشاء ، وكلّ ذلك ثمرة اهمال المعدة ، وما يتولّد من بطر الشبع والامتلاء .

٧ ـ سابعها : ومن اسباب حب الدنيا والميل اليها إشباع شهوة الفرج : قال أيضاً مولانا المقدس السيد عبد الله شبر في ذلك ما حرفيته : اعلم أنّ هذه الشهوة من أعظم المهلكات لابن آدم ، إن لم تضبط وتقهر وترد إلى حد الاعتدال ، ولها طرفان : افراط بأن تقهر العقل فتصرف همّة الرجل إلى التمتّع بالنساء ، والجواري ، فتحرمه عن سلوك طريق الآخرة وقد تقهر الدين ، وتجر إلى اقتحام الفواحش ، وقد تنتهي به إلى الفسق البهمي الذي ينشأ عن استيلاء الشهوة ، فيسخر الوهم العقل لخدمة الشهوة ، وقد خلق العقل ليكون مطاعاً ، لا ليكون خادماً للشهوة محتالاً لأجلها ، وهو مرض قلب فارغ لا همّة له ، ولذا قيل : إنّ الشيطان قال للمرأة : أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي به أرمي فلا أخطي ، وأنت موضع سرّي ، وأنت نصف جندي وأنت رسولي في حاجتي . فنصف جنده الشهوة ونصفه الغضب .

٨ ـ ثامنها : ومن أسباب الميل إلى حب الدنيا : حب الشهوات كلّها كما قال تعالى : ﴿ زُيّنَ للنّاس حبُّ الشّهوات من النّساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذّهب والفضّة والخيل المسوّمة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدّنيا والله عنده حسن المآب ﴾[1] . قال بعض الاكابر فهذه اعيان الدنيا .

وللعبد معها علاقتان : (علاقة مع القلب) : وهي حبه لها وحظّه منها وانصراف همّه إليها ، حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر بها ، ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالرياء ، والسمعة ، وسوء الظن ، والمداهنة ، والحسد ، والحقد ، والغل ، والكبر ، وحب المدح ، والتفاخر ، والتكاثر . فهذه هي الدنيا الباطنة ، والظاهرة هي الاعيان المذكورة .

و (علاقة مع البدن) : وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره ، وهذا الاشتغال عبارة عن الصناعات والحرف التي اشتغل الناس

---

(١) سورة آل عمران / ١٤ .

بها ، بحيث انستهم انفسهم وخالقهم ، واغفلتهم عما خلقوا لأجله ، ولو عرفوا سبب الحاجة اليها واقتصروا على قدر الضرورة ، لم يستغرقهم اشتغال الدنيا والانهماك فيها ، ولما جهلوا بالدنيا وحكمتها وحظهم منها ، لم يقتصروا على قدر الاحتياج ، فأوقعوا انفسهم في اشغالها ، وتتابعت هذه الاشغال واتصلت بعضها ببعض ، وتداعت إلى غير نهاية محدودة ، فغفلوا عن مقصودها ، وتاهوا في كثرة الاشغال ، فإنّ امور الدنيا لا يفتح منها باب إلّا وتنفتح لاجله عشرة ابواب اخر ، وهكذا يتداعى الى غير حدٍ محصور ركانها هاوية لا نهاية لعمقها ، ومن وقع في مهواة منها سقط الى غيرها .

وهكذا على التوالي ، ألا ترى ان ما يضطر إليه الانسان بالذات منحصر بالمأكل والملبس والمسكن ؟ ولذلك حدثت الحاجة الى خمس صناعات هي أصول الصناعات : الفلاحة ، والرعاية للمواشي ، والحياكة ، والبناء ، والاقتناص ـ أي تحصيل ما خلق الله تعالى من الصيد ، والمعادن ، والحشائش ، والاحطاب ـ وتترتب على كل من هذه الصناعات صناعات اخر ، وهكذا إلى أن حدثت جميع الصناعات التي تراها في العالم ، وما من أحد إلّا وهو مشتغل بواحدة منها أو اكثر إلّا أهل البطالة والكسالة ، حيث غفلوا عن الاشتغال في أوّل الصبا ، أو منعهم مانع واستمروا على غفلتهم وبطالتهم ، حتى نشأوا بلا شغل واكتساب ، فاضطرّوا إلى الأخذ ممّا يسعى فيه غيرهم ، ولذلك حدثت حرفتان خبيثتان هي (اللصوصية) و (الكدية) ولكل واحد منهما انواع غير محصورة لا تخفى على المتأمل .

٩ ـ تاسعها : ومن الأسباب الباعثة على حب الدنيا والميل إليها : ما ذكره الامام ﷺ في كتابه الأربعون حديثاً في صفحة ١٢١ قال نور الله ضريحه ما حرفيته : اعلم أنّه لمّا كان الإنسان وليد هذه الدنيا الطبيعية ، وهي أمّه ، وهو ابن هذا الماء والتراب ، فإن حب الدنيا يكون مغروساً في قلبه منذ مطلع نشوئه ونموه ،

وكلما كبر في العمر ، كبر هذا الحبّ في قلبه ونما ، وبما وهبه الله من القوى الشهوانية ووسائل التلذذ للحفاظ على ذاته وعلى البشرية ، يزداد حبه ويقوى تعلّقه ، ويظن أنّ الدنيا إنّما هي دار الملذّات للحفاظ على الرغبات ، ويرى في الموت قاطعاً لتلك اللذّات ، وحتى لو كان يعرف من أدلة الحكماء ، أو أخبار الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ أنّ هناك عالماً أخرويّاً فإنّ قلبه يبقى غافلاً عن كيفيّة عالم الآخرة ، وحالاته ، وكمالاته ، ولا يتقبله فضلاً عن بلوغه مقام الاطمئنان . ولهذا يزاد حبّه وتعلّقه بهذه الدنيا .

وبما أنّ حبّ البقاء فطريٌّ في الإنسان ، فهو يكره الزوال والفناء ، ويظن أنّ الموت فناء ، ولو أنّه آمن بعقله بأنّ هذه الدنيا دار فناء ودار ممر ، وأن العالم الآخر عالم بقاء سرمدي ، فما دام إيمانه العقلي هذا يكون موجوداً ، ولم يدخل الإيمان في قلبه ، بل ولم يحصل الاطمئنان الذي هو المرتبة الكاملة للإيمان القلبي . فهو لا يزال يميل فطرةً إلى الدنيا والبقاء فيها ، كما طلب ابراهيم خليل الرحمن من الحقّ المتعال هذا الاطمئنان ، فأنعم به عليه إذاً ، أمّا أنّ القلوب لا تؤمن بالآخرة ، مثل قلوبنا ، وان كنّا نصدّق بها تصديقاً عقليّاً ، وأمّا أنّها لا اطمئنان فيها ، فيكون حب البقاء في هذا العالم ، وكراهة الموت ، والخروج من هذا العالم في القلب موجوداً . ولو أدركت القلوب إنّ هذه الدنيا هي أدنى العوالم ، وأنّها دار الفناء والزوال والتصرّم والتغيّر ، وأنّها دار هلاك ودار النقص ، وأنّ العوالم الأخرى التي تكون بعد الموت عوالم باقية وأبديّة ، وأنّها دار كمال وثبات وحياة وبهجة وسرور ، لحصل فيها بالفطرة حب تلك العوالم ، ولنفرت من الدنيا . ولو ارتفع الانسان عن هذا العالم ووصل إلى مقام الشهادة والوجدان ، ورأى الصورة الباطنية لهذا العالم والتعلق به ، والصورة الباطنية لذلك العالم ـ عالم الآخرة ـ والتعلق به ، لأصبح هذا العالم ثقيلاً عليه ، وغصّة في حلقه ، ولنفر منه ، واشتاق للتخلص من هذا السجن المظلم ومن سلسلة قيود الزمان والتغيّر كما جاء في كثير من كلام الأولياء .

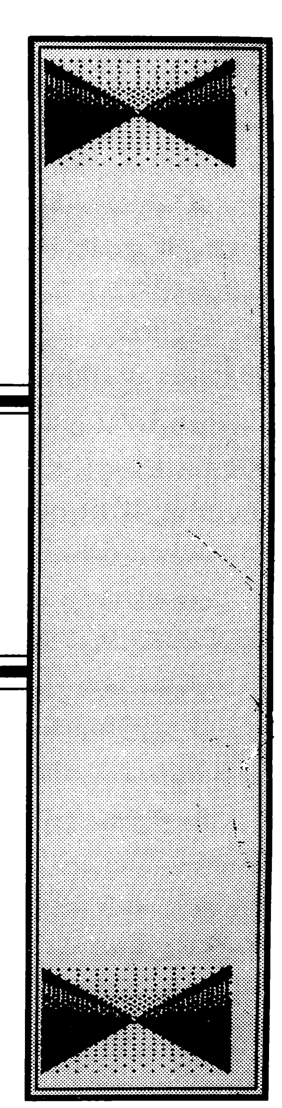
يقول الإمام علي ـ عليه السلام ـ: « والله لابنُ أبي طالبٍ آنسُ بالموتِ من الطفل بثدي أُمهِ » .

ذلك لأنّه رأى بعين الولاية حقيقة هذه الدنيا ، فلا يؤثر على مجاورة رحمة الحق المتعالى شيءٌ أبداً ، ولولا المصالح لما ثبتت نفوسهم الطاهرة ، لحظة واحدة في سجن الطبيعة المظلمة . إنّ الوقوع في الكثرة ، ونشأة الظهور واشتغال بالتدبرات الملكية بل التأييدات الملكوتية ، يعدّ كل ذلك للمحبّين والمنجذبين ، ألم وعذاب ليس بمقدورنا أن نتصورهما .

إن أكثر أنين الأولياء إنّما من ألم فراق المحبوب ، والبعد عن كرامته ، كما أشاروا إلى ذلك بأنفسهم في مناجاتهم ، على الرغم من أنّهم لا يحجبهم حجاب مُلكي أو ملكوتي ، وقد اجتازوا جحيم الطبيعة الذي كان خامداً غير مستعر ، وقد خلوا من التعلّق بالدنيا وتطهّرت قلوبهم من الخطيئة الطبيعية إلّا أنّ الوقوع في عالم الطبيعة هو بذاته تلذّذ طبيعي وقسري ، ممّا كان يحصل لهم ، ولو بأقل مقدار ، فكان ذلك من باب الحجاب . وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ : « لَيُرانُ على قَلْبي وإنّي لأستغفر الله تعالى في كُل يومٍ سبعينَ مرة » .

ولعل خطيئة آدم أبي البشر نجمت عن هذا التوجه القسري نحو تدبير المُلك والحاجة الاضطراريّة إلى القمح وسائر الأُمور الطبيعية ، وهذه خطيئة بالنسبة إلى أولياء الله والمنجذبين إليه . ولو بقي آدم عليه السلام في ذلك الإنجذاب الإلهي ، ولم يدخل في قضيّة المُلك ، لما حدث كلّ هذا الشقاء والعناء في الدنيا والآخرة .

علاج الميل لهـــا



لقد تحدثنا فيما تقدم لقارئنا العزيز عن اسباب الميل الى حب الدنيا ، وذكرنا له جملة من الأسباب التي تجعل الانسان مشغوفاً بحبّها ، ساعياً كادحاً في تحصيل شهواتها ، باذلاً نفسه في طلبها ، مغروراً بحطامها .

وكيف لا تكون تلك الاسباب المذكورة دافعة ومحفزة للانسان على طلب الدنيا ، وباعثة على ميله لها ، و الحال انّه لا غنى له عنها ، ولا يمكن ان يعيش لحظة وجوده بدونها ، لأنّها من مقومات حياته ، فلا يمكن للانسان العيش بلا مأوى أو بلا قوت أو بلا لباس أو بلا زوجة أو بلا مال أو بلا جاه لانّ الحياة بدون هذه الامور لا معنى لها ، فتكون الحياة مع فقدان الأمور المذكورة لا حياة .

وهذا ما سوف نتحدث عنه في القريب العاجل ان شاء الله تعالى .

وهنا حاليّاً نتحدّث عن ما هو العلاج الذي ينبغي للانسان أن يتخذه ، لتضبيط ذلك الميل لكي لا تكون تلك الأسباب دافعة ومحفزة له على طلب الدنيا اكثر من الواجب ، فيخرج عن الحدود المشروعة في طلبها .

ولا يخفى إنّ العلماء قد ذكروا إنّ لكل سبب من تلك الاسباب الباعثة على ازدياد حبّ الدنيا علاجه الخاص به ، ونحن نعرض ذلك فيما يلي :

١ ـ علاج حبّ الأولاد الخارج عن حد الاعتدال الدافع الى حبّ الدنيا المذمومة :

هو ان يعلم الانسان انّ حبّه لأولاده ، لابدّ ان يكون بدافع من العقيدة الاسلامية التي تُوجب عليه ذلك انطلاقاً من محبّة الله تعالى وإنّه أمرٌ تكليفي منه تعالى لا بدافع حب الدنيا المذمومة التي تجعل الانسان محكوم لعاطفته .

ومن هنا يُعلم انّ محبّة الله تعالى ومحبّة الرسول الاكرم محمّد والمحبّة إلى العترة الطاهرة آل محمّد الأئمّة المعصومين ـ صلوات الله عليهم ـ يجب أن تكون هي الأصل، وأن تكون محبّة الأولاد فرعها، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكُم وازواجُكم وعشيرتُكم وأموالٌ اقترفتموهَا وتجارةٌ تخشون كسَادَها ومساكنُ ترضَونَها أحبّ إليكم من الله ورسولِهِ وجهادٍ في سبيله فتربّصُوا حتى يأتي الله بأمرِهِ والله لا يهدي القومَ الفاسقين** ﴾[١].

وجاء في الدرّ المنثور أخرج أحمد والبخاري عن عبد الله بن هشام قال: كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال: والله لأنت يا رسول الله أحب إليّ من كلِّ شيء إلّا من نفسي. فقال النبي ﷺ لا يؤمن احدكم حتى أكون احبّ إليه من نفسه.

اذن ينبغي أن يعلم إنّ الحبّ النفساني من زينة الحياة الدنيا، وهي الآباء والابناء والإخوان والأزواج والعشيرة والمال والمساكن وغيرها، إذا كان نابعاً من أصل محبّة الله تعالى لم يكن مذموماً، ولم يكن خارجاً عن حد الاعتدال، وليس هو من حبّ الدنيا المذمومة، أمّا إذا لم يكن فرع ذلك الحبّ فعلاجه ان يرجع إليه.

٢ ـ علاج حب النساء الخارج عن حد الاعتدال الباعث على حب الدنيا المذمومة:

هو ان ينظر الانسان ويتأمّل في الأخبار الواردة في ذم النساء سيّما قول الرسول ﷺ: اتّقوا فتنة النساء فإنّ أوّل فتنة بني اسرائيل كانت من النساء.

ويتأمّل ايضاً فيما ذكرناه سابقاً من انّ الشيطان قال للمرأة: أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطي، وأنت موضع سرّي، وأنت رسولي في حاجتي، فيتأمّل أنّه إذا كانت المرأة نصف جنود الشيطان، فعليه ان لا

(١) التوبة / ٢٤.

يكثر جنود الشيطان في بيته بدافع حبّه لها .

٣ ـ علاج حب المال الخارج عن حد الاعتدال الباعث على حبّ الدنيا المذمومة :

هو أن ينظر ويتأمّل في الآيات والاخبار الواردة في ذم المال سيمّا في قوله تعالى : ﴿ **انما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾[١] وقوله تعالى : ﴿ **لا تُلهِكُم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** ﴾[٢] .

كما عليه أن ينظر ويتأمّل أيضاً في مضار المال وغوائله لانّه وان كان مشتملاً على فوائد كثيرة إلّا أنّه في نفس الوقت يشتمل على مضار لا يسلم منها أربابه ، ولهذا قالوا : إنّ مثاله مثال الحيّة فيها سم وترياق ، ففوائدها ترياقها وغوائلها سمومها .

قال مولانا المقدّس السيّد عبد الله شبّر : انّ فوائد المال الدنيويّة معلومة ، ولهذا تهالك أهل الدنيا عليها ، وأمّا الدينيّة فهي ثلاثة أنواع .

الاول : ما ينفقه على نفسه في عبادة أو الاستعانة عليها .

الثاني : ما يصرفه إلى الناس ، وهي أربعة أقسام : الصدقة ، والمروءة، ووقاية العرض ، وأجرة الاستخدام .

أمّا الصدقة فقد حثّ الشارع عليها ، ورغّب فيها بالثواب ، وقال انّها تطفىء غضب الرب .

وأمّاالمروءةوهي صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية واعانة واطعام الطعام ، وهذا أيضاً ممّا رغّب الشارع فيه وعليه الثواب .

وأمّا وقاية العرض وهو بذل المال لدفع هجو الشعراء ، وثلب السفهاء ودفع شر الأشرار ، فمع تنجّز.فائدته في الدنيا، حثّ الشارع عليه أيضاً ، قال

---

(١) التغابن / ١٥ .

(٢) المنافقون / ٩ .

النبي ﷺ : (ما وقي المرء به عرضه ، فهو له صدقة) .

وأمّا الاستخدام في الأعمال التي اضطر اليها الإنسان من المأكول والمشروب والملبس ونحوها ، فهو ضروري لولاه لتعذّر عليه سبيل الآخرة ، ولو تولاّها بنفسه لضاعت أوقاته وتعذر عليه الفكر والذكر .

الثالث : ما لا يصرفه الإنسان إلى إنسان معين ، ولكن يحصل به خير عام ، كبناء المساجد ، والقناطر ، والرباطات ودور المرضى ، ونصب الحباب في الطريق وغير ذلك ، هذا كلّه مضافاً إلى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذلّ السؤال وحقارة الفقر ، ولكثرة الاخوان والأعوان والاصدقاء .

ثم قال ـ رضوان الله تعالى عليه ـ: وأمّا الآفات فدينيّة ودنيويّة ، أمّا الدينيّة فثلاثة أنواع :

الاول : أنّه يجر إلى المعاصي ، فإنّ الشهوات متقاضية والعجز يحول بين المرء والمعصية ، ومن العصمة أن لا تقدر .

الثاني : ان يجر إلى التنعّم فيا لمباحات ، وربّما لا يقدر على التوصّل اليه بالكسب الحلال ، فيقتحم الشبهات ، ويخوض في المراء والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق المردية لتحصيل مطلوبه ليتيسّر له التنعّم .

الثالث : وهو الذي لا ينفك عنه أحد ، وهو أنّه يلهيه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى ، وكلّ ما يشغل العبد عن الله فهو خسران ، ولذلك قال عيسى عليه السلام : في المال ثلاث آفات أن يأخذه من غير حلّه . فقيل : ان أخذه من حلّه ؟ قال : يضعه في غير حقّه . فقيل له : ان وضعه في حقّه ؟ فقال : يشغله اصلاحه عن الله .

ثم قال قدس سره ومن أراد أن ينجو من غائلة المال فعليه بأمور :

الاول : أن يعرف المقصود من المال ، وإنه لماذا خلق ، وأنّه لِمَ يحتاج إليه ، حتى لا يكتسب ولا يحفظ إلّا قدر حاجته .

الثاني: أن يراعي جهة دخل المال ، فيجتنب الحرام المحض وما الغالب

عليه الحرام، ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروءة.

الثالث: أن يراعي جهة الخرج، ويقتصد في الإنفاق غير مبذّر ولا مقتر، قال تعالى: ﴿ **والذين إذا أُنفقوا لم يُسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً** ﴾[1].

الرابع: أن يضع ما اكتسبه من حلّه في حقّه ولا يضعه في غير حقّه، فإنّ الاثم في الأخذ من غير حقّه، والوضع في غير حقّه سواء.

الخامس: أن يصلح نيّته في الأخذ والترك والانفاق والامساك، فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادات والطاعات، ويترك ما يترك زهداً فيه واستحقاراً له، وإذا فعل ذلك لم يضرّه وجود المال.

٤ ـ علاج حب الجاه الباعث على حبّ الدنيا المذمومة:

قال مولانا المقدّس السيّد عبد الله شبّر ـ رضوان الله تعالى عليه ـ: اعلم أنّ من غلب على قلبه حب الجاه، صار مقصور الهمّ على مراعاة الخلق، مشغوفاً بالتودّد إليهم، وابتلى بالرياء والسمعة والنفاق والمداهنة والتساهل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك، وعلاجه العلم والعمل.

اما العلم: ان يعلم أنّ السبب الذي لأجله أحبّ الجاه ـ وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم ـ ان صفا وسلم فأخره الموت، ولا ينفعه في الآخرة لو لم يضره، ولو سجد له كلّ من على وجه الأرض، فعن قريب لا يبقى في الدنيا لا الساجد ولا المسجود له، ويكون حاله كحال من مات قبله من ذوي الجاه مع المتواضعين له، ولمثل هذا لا ينبغي أن يترك الدين الذي هو الحياة الأبديّة التي لا انقطاع لها.

والكمال الحقيقي الذي يقرّب صاحبه من الله تعالى ويبقى كمالاً للنفس بعد الموت ليس إلّا العلم بالله وبصفاته وأفعاله، ثمّ الحريّة وهي الخلاص من اسر الشهوات، هذا هو كمال الباقي بعد الموت والباقيات الصالحات التي تبقى كمالاً

---

(١) الفرقان / ٦٧.

للنفس .

والمال والجاه هو الذي ينقضي سريعاً ، وهو كما مثّله الله تعالى : ﴿ **إنّما مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض** ﴾[1] وكلما تـذروه الرياح بالموت ، فهو زهرة الحياة الدنيا ، وكلما لا يقطعه الموت ، فهو من الباقيات الصالحات .

فمن عرف الكمال الحقيقي صغر الجاه في عينه ، إلّا أنّ ذلك إنّما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنّه يشاهدها ، ويستحقر العاجلة ، ويكون الموت كالحاصل عنده .

وأبصار أكثر الخلق ضعيفة ، تؤثر الدنيا على الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **كلّا بـل تحـبّون العاجلة وتذرون الآخرة** ﴾[3] . ومن كان كذلك ينبغي له العلاج بالعلم بالآفات العاجلة لصاحب الجاه ، فإنّ صاحب الجاه مخاطر على نفسه ومـاله ، ومحسـود مقصود بالإيذاء ، مبتلى بالناس ، خُصّ بالبلاء ، من عرفته الناس يقاسي الشدائد العظيمة ، ولأجلها يتمنى الخمول . ولا يزال ذو الجاه خائفاً على جاهه ، ومحترزاً من زوال منزلته عن القلوب والقلوب أشد تغيراً من القدر في غـليانه ، وهـي مردّدة بين الاقبال والإعراض ، وما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على أمواج البحر ، فإنّه لا ثبات له . والاشتغال بمراعاة القلوب ، وحفظ الجاه ، ودفع كيد الحساد ، ومنع أذى الأعداء اشتغال عن الله ، وتـعرض لمـقته في العـاجل والآجل . وجميع ذلك غموم عاجلة مكدّرة للذّة الجاه الموهومة فضلاً عمّا يفوت في الآخرة ، هذا هو العلاج العلمي .

وأما : العلاج العملي : فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالأنس بالخمول ،

---

(١) يونس / ٢٤ .

(٢) الاعلى / ١٦ ـ ١٧ .

(٣) القيامة / ٢٠ ـ ٢١ .

والقناعة بالقبول من الخالق ، والاعتزال عن الناس ، والهجرة إلى مواضع الخمول، فإنَّ المعتزل في بيته في البلدة التي هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته ، ومن قنع استغنى عن الناس ، وانقطع طمعه عنهم ، واذا استغنى عنهم لم يكن لقيام منزلته في قلوبهم عنده وزن ، ويستعين على ذلك بالأخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول .

٥ ـ علاج حبّ المدح والثناء الخارج عن حد الاعتدال الباعث على طلب الدنيا المذمومة :

قال مولانا المقدّس السيّد عبد الله شبّر ـ رضوان الله تعالى عليه ـ : إنّ حبّ المدح والثناء ، كحبّ الجاه حرمة واباحة ، ونفعاً وضراً ، وعلاجه وعلمه بانّ الصفة الممدوح بها ان فقدت ، فاستهزأ وان وجدت فالدنيويّة كمال وهمي ، والدينيّة موقوفة على الخاتمة .

وعلاج كراهة الذم ، العلم بأن الصفة المذموم بها ان وجدت فتبصير للعيوب ، وفيه الفرح والشغل بالازالة ، وان فقدت فكفّارة للذنوب ، وفيه الشكر لله ، والترحم للذام حيث أهلك نفسه ، كما قال النبي ﷺ لمّا كسروا رباعيّته : (اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون) .

والانسان يفرح ممّن يذم عدوّه وهو عدو نفسه ، فينبغي أن يفرح إذا سمع ذمّها ، ويشكر الذام عليها ، ويعتقد ذكاءه وفطنته لما وقف على عيوبها ، فيكون ذلك كالتشفّي له من نفسه ، ويكون غنيمة عنده إذ صار بالمذمّة أوضع في أعين الناس ، حتى لا يبتلى بفتنة الجاه ، وإذا سبقت إليه حسنات لم يتعب فيها فعساه يكون جبراً لعيوبه التي هو عاجز عن إماطتها . ولو جاهد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة ـ وهي ان يستوي عنده ذامه ومادحه ـ لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة ، هذه احدى تلك العقبات ، ولا يقطع شيء منها إلّا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل .

٦ ـ علاج إشباع شهوة البطن الخارج عن الاعتدال الباعث على حبّ الدنيا المذمومة :

قال علماء الأخلاق : انّ علاج ذلك هو أن يذلّل الإنسان نفسه بالجوع ويضيّق عليها مجاري الشيطان ، لكي تذعن نفسه لطاعة الله ، ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ، لم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا ، وإيثار العاجلة على العقبى ، ولم يتكالب هذا التكالب على الدنيا .

هذا بالإضافة إلى النظر والتأمّل في الايات الفرقانيّة والأحاديث المعصومة الواردة في ذم كثرة الطعام والشراب منها قوله صلى الله عليه وآله : (الفكر نصف العبادة ، وقلّة الطعام هي العبادة) .

وفي حديث عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال : (لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب ، فانّ القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء) .

وفي الخبر عنه ايضاً أنّه قال صلى الله عليه وآله : (ما ملأ ابن آدم وعاء شرّاً من بطنه ، حسب ان لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان هو فاعلاً لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه) .

وجاء عن صادق آل محمد عليه السلام (انّ البطن ليطغيء من أكلة ، وإنّ أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى اذا خف بطنه ، وابغض ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا امتلأ بطنه) .

وعن باقر العلوم عليه السلام انّه قال : (ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من بطن مملوءة) .

وقال لقمان لابنه : (يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة) .

وجاء ايضاً عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : (ليس لابن آدم من بد، أكلة يقيم بها صلبه ، فاذا أكل أحدكم طعاماً فليجعل ثلث بطنه للطعام ، وثلث بطنه للشراب ،

وثلثه للنفس، ولا تسمنوا سمن الخنازير للذبح).

وعنه ﷺ أنّه قال: (انّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم، فضيّقوا مجاريه بالجوع والعطش).

قال مولانا العارف السيّد عبد الله شبّر ـ رضوان الله تعالى عليه ـ: وفوائد الجوع كثيرة:

الأولى: صفاء القلب، واتقاد القريحة، ونفاذ البصيرة، فإنّ الشبع يورث البلادة، ويعمي القلب، ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر.

الثانية: رقّة القلب وصفائه الذي به يتهيّأ لادراك لذّة المناجاة، والتأثر بالذكر.

الثالثة: الإنكسار والذّل وزوال البطر والفرح والأشر الذي هو مبدأ الطغيان، والغفلة عن الله.

الرابعة: أن لا ينسى بلاء الله وعذابه، ولا ينسى أهل البلاء، فإنّ الشبعان ينسى الجائعين وينسى الجوع، والفطن لا يشاهد بلاءً إلّا ويتذكّر بلاء الآخرة، فيتذكّر بالجوع جوع أهل النار، وأنّ ليس لهم طعام إلّا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، وبالعطش عطشهم، وعطش أهل المحشر في عرصات القيامة.

الخامسة: كسر شهوات المعاصي كلّها، والاستيلاء على النفس الأمّارة بالسوء، فإنّ منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى، ومادة الشهوات والقوى الأطعمة والأشربة.

السادسة: دفع النوم ودوام السهر، فإنّ من شبع شرب كثيراً، ومن كثر شربه كثر نومه، وفي كثرة النوم ضياع العمر، وفوت التهجّد، وبلادة الطبع، وقساوة القلب.

السابعة: تيسير المواظبة على العبادة، لأن كثرة الأكل تحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل، وتحصيله وتحصيل الآلة، واسبابه، والاشتغال بادخاله

واخراجه .

الثامنة : صحة البدن ودفع الأمراض ، فإنّ سببها كثرة الأكل ، وحصول فضول الأخلاط في المعدة والعروق ، ثمّ المرض يمنع العبادات ، ويشوش القلب ، ويمنع من الذكر والفكر ، ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب ، وإلى مؤن وتبعات لا يخلو الانسان فيها بعد التعب من أنواع المعاصي .

قال عليه‌السلام : (المعدة بيت الداء ، والحمية رأس كل دواء ، واعط كلّ بدن ما عودته) .

التاسعة : خفّة المؤنة .

العاشرة : التمكن من الايثار ، والتصدّق بالفاضل عن الضروري .

ـ ثم قال ـ وفي مصباح الشريعة : قال الصادق عليه‌السلام : (قلة الأكل محمودة على كل حال ، وعند كل قوم ، لانّ فيه المصلحة لظاهر والباطن ، والمحمود من المأكول أربعة : ضرورة ، وعدّة ، وفتوح ، وقوت . فالضرورة للأصفياء ، والعدّة لقوم الاتقياء ، والفتوح للمتوكلين ، والقوت للمؤمنين .

قال صلى‌الله‌عليه‌وآله : وليس شيء أضرّ لقلب المؤمن من كثرة الأكل ، وهي مورثة شيئين : قسوة القلب ، وهيجان الشهوة . والجوع أدم للمؤمن ، وغذاء للروح ، وطعام للقلب ، وصحّة للبدن .

وعقب بقوله : واعلم أنّه حيث كان طبع الانسان طالباً لغاية الشبع ، جاء الشرع في المبالغة في الجوع ، حتى يكون الطبع باعثاً والشرع مانعاً ، فيتقاومان ويحصل الاعتدال والوسط المطلوب في جميع الأخلاق والأحوال ، فالأفضل حينئذ بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ، ولا بألم الجوع ، فإنّ المقصود من الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة ، وثقل الطعام يمنع العبادة وألم الجوع أيضاً يشغل القلب ويمنع منها ، فالمقصود أن يأكل أكلاً معتدلاً بحيث لا يبقى للأكل فيه أثر ، ليكون متشبّهاً بالملائكة ، فانّهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم

الجوع. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾[1].

٧ ـ علاج إشباع شهوة الفرج الخارج عن حد الاعتدال، الباعث على حبِّ الدنيا المذمومة:

قال علماء الاخلاق: اعلم أنّه يجب الاحتراز عن شهوة النساء في مبدأ الأمر بترك معاودة النظر والفكر، وإلّا فاذا استحكم عسر دَفعه ومن هنا قالوا: اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله.

وفي القران الكريم ما يؤكد ان عدم معاودة النظر والفكر هو العلاج كما في قوله تعالى: ﴿ **قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم** ﴾[2].

وفي الحديث الشريف: النظرة سهم مسموم من سهام ابليس، فمن تركها خوفاً من الله تعالى أعطاه الله ايماناً يجد حلاوته في قلبه.

قال العارف المحقّق السيّد عبد الله شبرّ ـ رضوان الله تعالى عليه ـ ما حرفيته:

تفريط هذه الشهوة امّا بالعفّة الخارجة من الاعتدال أو بالضعف عن امتناع المنكوحات، وهو أيضاً مذموم، والمحمود أن تكون هذه الشهوة معتدلة منقادة للعقل والشرع في الانبساط والانقباض، ومهما افرطت فكسرها يكون بالجوع وبالتزويج.

قال النبي ﷺ: معاشر الشباب عليكم بالباءة، فمن لم يستطع فعليه بالصوم، فان الصوم له وجاء.

ثم قال ـ رضوان الله تعالى عليه ـ: والحكمة في ايجاد هذه الشهوة مع كثرة غوائلها وآفاتها، بقاء النسل ودوام الوجود، وان يقيس بلذّتها لذّات الآخرة، فإنّ لذّة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذّات الأجساد، كما أنّ ألم النار أعظم آلام

---

(١) الاعراف / ٣٠.
(٢) النور / ٣٠.

الجسد، والترهيب والترغيب يسوقان الخلق إلى سعاداتهم وثوابهم.

٨ ـ علاج حبّ الشهوات الباعث على حبّ الدنيا المذمومة:

قال علماء الأخلاق: إنّ علاج ذلك هو أن ينظر في غوائلها، ويتأمّل في ما جاء من النهي عنها، وان يعلم أنّها حظوظ دنيويّة، والحظوظ الدنيويّة لابد أن يكون لها تأثير في القلب، ومفاسد لا يحمد عقباها.

قال الامام ﷺ في كتابه الأربعون صفحة ١٢٣ ما حرفيته: إعلم أنّ ما تناله النفس من حظ في هذه الدنيا، يترك أثراً في القلب، وهو من تأثير الملك والطبيعة، وهو السبب في تعلّقه بالدنيا، وكلّما ازداد التلذّذ بالدنيا، اشتد تأثّر القلب وتعلّقه بها، وحبّه لها، إلى أن يتجه القلب كُلّياً نحو الدنيا وزخارفها، وهذا يبعث على الكثير من المفاسد.

ثم بين الامام ـ رضوان الله تعالى عليه ـ بعض مفاسد حبّ الدنيا وشهواتها في ثلاثة موارد من كلامه الشريف بما ملخصه:

الاول: هو أنّه اذا انطبع حبّ الدنيا على صفحة قلب الانسان، واشتدّ الأنس بها، انكشف له عند الموت أنّ الحق المتعال يفصل بينه وبين محبوبه، ويفرّق بينه وبين مطلوبه، فيغادر الدنيا ساخطاً مغتاظاً على وليّ نعمته، إنّ هذا القول القاصم للظهر يجب أن يوقظ الإنسان أيّما إيقاظ للحفاظ على قلبه. فالعياذ بالله من إنسان يسخط على وليّ نعمته، مالك الملوك الحق، إذ ليس أحد يعرف صورة هذا السخط والعداء، غير الله تعالى.

الثاني: من مفاسد حبّ الدنيا والتعلّق بها، هو أنّه يجعل الإنسان يخاف الموت، وهذا الخوف الناشيء من حبّ الدنيا، والتعلّق القلبي بها المذموم جداً، غير الخوف من المرجع ـ مآل الانسان بعد الموت ـ المعدود من صفات المؤمنين، إنّ أهم صعوبة في الموت هي ضغوطات لرفع هذه العلائق، والخوف من الموت.

الثالث: من المفاسد الكبيرة لحب الدنيا أنّه يمنع من الرياضات الشرعيّة،

والعبادات والمناسك ، ويُقوي جانب الطبيعة في الإنسان بحيث تعصي الروح وتتمرد عليها ، ويوهب عزم الإنسان وإرادته ، مع أنّ أكبر أسرار العبادات والرياضات الشرعيّة هو أن تجعل الجسم وقواه الطبيعية تابعة ومنقادة للروح ، بحيث يكون للإرادة دوراً مؤثراً في الجسم ، ويخضع الجسم لأوامر الإرادة فيعمل ما تشاء ، ويمتنع عمّا تشاء ، ويصبح مُلك الجسم وقواه الظاهرة مقهوراً ومسخّراً للملكوت بحيث أنّه يقوم بما يريد من دون مشقّة ولا عناء .

ثم قال الامام تَتِّئُ : إنّ من الفضائل والأسرار الشاقّة والصعبة للعبادات تحقق هذا الهدف ـ تسخير مُلك الجسم للملكوت ـ أكثر ، حيث يصير بذلك الانسان ذا عزم ، ويتغلب على الطبيعة والملك . فإذا اكتملت الإرادة ، وقوي العزم واشتد ، أصبح كَمَثل الجسم وقواه الظاهرة ، مَثَل ملائكة الله تعالى الذين لا يعصون الله وإنّما يطيعونه في كلٍّ ما يأمرهم به وينهاهم عنه ، من دون أن يعانوا في ذلك عنتاً ولا مشقّة ، كذلك إذا أصبحت قوى الإنسان مسخّرة للروح ، زال كل تكلّف وتعب وتحوّل إلى الراحة واليسر ، واستسلمت أقاليم الملك السبعة للملكوت ، وأصبحت جميع القوى عمّالاً له .

قال ـ طيب الله تربته ـ: فاعلم ، يا عزيزي ، إنّ العزم والإرادة القويّة لذلك العالم ضروريّان وذات فعاليّة . إنّ البلوغ لأحد مراتب الجنّة ، والذي يُعدّ من أفضلها هو العزم والإرادة ، فالإنسان الذي ليست له إرادة نافذة ، ولا عزم قوي لا ينال تلك الجنّة ، ولا ذلك المقام الرفيع . ـ ثم عقب بقوله رضوان الله تعالى عليه ـ جاء في الحديث ، أنّ أهل الجنّة عندما يستقرون فيها ، تنزل عليهم رسالة من ساحة القدس الإلهي جلّت عظمته بهذا المضمون : « هذه رسالة من الحي الثابت الخالد إلى الحي الثابت الخالد . أنا الذي أقول للشيء : كن ، فيكون . وقد جعلتك اليوم أيضاً في مستوىً إذا أمرت الشيء: وقلت له كن ، فيكون » ثم قال إمام الفقهاء والمحدثين تَتِّئُ فلاحظ أيّ مقام وسلطان هذا ؟ وأيّة قدرة إلهية هذه

التي تجعل إرادة الإنسان مظهراً لإرادة الله ! فيُلبس العدم لباس الوجود ؟ هـذه القدرة وهذا النفوذ هما أفضل وأرفع من كلِّ النعم الجسمانيّة ، وبديهي ، أنّ تلك الرسالة لم تكتب عبثاً وجزافاً ، إنّ من كانت إرادته تابعة للشهوات الحيوانـيّة ، وعزيمته ميّتة خامدة ، لا قائم على النظام والترتيب ، على الأسباب والمسببات ، كذلك هي الحال في العالم الآخر ، بل إنّ العالم الآخر أليـق بـالنظام والأسـباب والمسببات ، وإنّ جميع نظام عالم الآخرة ينبعث من المناسبات والأسباب ، وإنّ نفوذ الإرادة يجب أن يتهيأ من هذا العالم ، فإنَّ الدنيا مزرعة الآخرة ، وإنَّ هـذا العالم مادة لكل نعيم الجنّة ونقم النار .

إذاً كلّ عبادة من العبادات وكلّ منسك من المناسك الشرعيّة ، فضلاً عن أنّ لها صورة أخرويّة وملكوتيّة ، وبها يتم عمارة الجـنة الجـسمانيّة وقـصورها ، وتهيئة الغلمان والحور ـ طبقاً للبراهين والأحاديث ـ فإنّ لكلّ عبادة من العبادات أيضاً اثراً يحصل في النفس ، ممّا يقوّي الإرادة شيئاً فشيئاً ، ويصل بقدرتها إلى حد الكمال ، لذلك كلما كانت العبادات أشق كانت أرغب : « أفْضَلُ الأعْمال أحزمها » . فالتنازل عن النوم اللذيذ في ليل الشتاء البارد ، والانصراف إلى عـبادة الحـق المتعال ، يزيد من قوة الروح وتغلبها على قوى الجسم ، ويقوّي الارادة . وإذا كان هذا في أوّل الأمر على شيء من المشقّة والعناء ، فإنّ ذلك يخفّ تدريجيّاً كلما واصل العبادة ، وازدادت طاعة الجسم للنفس ، إذ أنّنا نلاحظ أنّ أهل العبادة يقومون بالأعمال دون مشقّة وتكلّف . أمّا نحن فشعورنا بالكسل وبالمشقّة ناشيء من أنّنا لا نبدأ بالعمل ، فلو أنّنا بدأنا العمل وكررناه عدّة مـرات ، لتـبدّلت مشـقّته إلى راحة ، بل انّ أهلها يلتذّون بها أكثر مما نلتذّ نحن بمشتهيات الدنيا ، إذن فالأمر يصبح عادياً بالتكرار والخير عادة .

وهذه العبادة ثمرات ، منها : أنّ صورة العمل نفسه تصبح على قـدر مـن الجمال في ذلك العالم لا يكون له نظير في هذا العالم ، ونكون عاجزين عن تصوّر

مثلها .

ومنها : أنّ النفس تصبح ذات عزم واقتدار ، فتكون لها نتائج كثيرة ، وقد سمعت واحدة منها .

ومنها : أيضاً أنّها تجعل الانسان يأنس بالذكر والفكر والعبادة ، فإنّ المجاز قد يقرّب الإنسان إلى الحقيقة ، فيتوجه القلب إلى مالك الملوك ، وتحصل المحبّة لجمال المحبوب الحقيقي ، ويخفّ تعلّق القلب وحبّه للدنيا والآخرة . إذ لو حصلت الجاذبيّة الربوبيّة والحال الخاصّة ، لأمكن إدراك حقيقة العبادة ، والسر الحقيقي للتذكّر والتفكّر ، ولسقط كلا العالمين ـ الدنيا والآخرة ـ من نظره ، ولأذهب تجلّي الحبيب غبار الرؤية الإثنينيّة من القلب ، ولا يعرف أحد سوى الله الكرامة المعطاة لمثل هذا العبد ؟ وكما يقوّى عزم الانسان بالرياضات الشرعيّة ، والعبادات، والمناسك ، وترك الرغبات ويصبح الإنسان ذا عزم وإرادة ، فكذلك في المعاصي تتغلّب الطبيعة لدى الإنسان ، وتضعف إرادته وعزمه كما سبق ذكر شيء منه في البحوث المتقدمة « من أصبَح وأمسى والدنيا اكبرُ همِّهِ » الحديث .

قال لا يخفى على كلّ ذي وجدان أنّ الإنسان بحسب فطرته الأصلية وجبلّته الذاتيّة ، يعشق الكمال التام المطلق ، ويتوجه قلبه شطر الجميل على الإطلاق ، والكامل من جميع الوجوه . وهذا من فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وبهذا الحبّ للكمال ، تتوفر إرادة المُلك والملكوت ، وتتحقّق أسباب وصول عشاق الجمال المطلق إلى معشوقهم .

غير أن كلّ امرىء يرى الكمال في شيء ما ، حسب حاله ومقامه ، فيتوجّه قلبه إليه . فأهل الآخرة يرون الكمال في مقدّمات الآخرة ودرجاتها ، فقلوبهم متوجّهة إليها . وأهل الله يرون الكمال في جمال الحق ، والجمال في كماله سبحانه يقولون : (... وجَّهتُ وجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماوَاتِ والأرضِ ...) ويقولون : « لي مَعَ الله حال » وفيهم حبّ وصاله ، وعشق جماله . وأهل الدنيا عندما رأوا أنّ

الكمال في لذائذها ، وتبيّن لأعينهم جمالها، اتّجهوا فطريّاً نحوها ، ولكن على الرغم من كلّ ذلك ، فإنّه لمّا كان التوجّه الفطري ، والعشق الذاتي قد تعلّقا بالكمال المطلق، كان ما عدا ذلك من التعلّقات عرضيّاً ، ومن باب الخطأ في التطبيق . إنّ الإنسان مهما كثر مُلكه وملكوته ، ومهما نال من الكمالات النفسيّة أو الكنوز الدنيوية أو الجاه والسلطان ، ازداد اشتياقه شدّة ، ونار عشقه التهاباً . فصاحب الشهوة كلّما ازدادت أمامه المشتهيات ازداد تعلّق قلبه بمشتهيات أُخرى ليست في متناول يده ، واشتدّت نار شوقه إليها ، كذلك النفس التي تطلب الرئاسة ، فهي عندما تبسط لواء قدرتها على قطر من الأقطار ، تتوجه بنظرة طامعة إلى قطر آخر ، بل لو أنّها سيطرت على الكرة الأرضية برمّتها ، لرغبت في التحليق نحو الكرات الأُخرى للاستيلاء عليها . إلّا أنّ هذه النفس المسكينة لا تدري بأنّ الفطرة إنّما تتطلع إلى شيء آخر ، إنّ العش الفطري الجبلي يتّجه إلى المحبوب المطلق ، إنّ جميع الحركات الجوهريّة والطبيعيّة والاراديّة ، وجميع التوجهات القلبيّة والميول النفسيّة تتوجه نحو جمال الجميل الأعلى على الإطلاق ، ولكنهم لا يعلمون ، فينحرفون بهذا الحبّ والعشق والاشتياق ـ التي هي براق المعراج وأجنحة الوصول ـ إلى وجهة هي خلاف وجهتها ، فيحرّروها ويقيّدوها بلا فائدة . ـ وعقب ﷺ بقوله الشريف ـ : لقد بعدنا عن القصد ، وهو أنّه لمّا كان الإنسان متوجهاً قلبيّاً إلى الكمال المطلق ، فإنّه مهما جمع من زخرف الحياة فإنّ قلبه يزداد تعلّقاً بها . فإذا اعتقد أنّ الدنيا وزخارفها هي الكمال ، ازداد ولعه بها ، واشتدّت حاجته إليها ، وتجلّى أمام بصره فقره إليها . بعكس أهل الآخرة الذين أشاحوا بوجوههم عن الدنيا ، فكلّما ازداد توجههم نحو الآخرة ، قلّ التفاتهم واهتمامهم بهذه الدنيا ، وتلاشت حاجتهم إليها ، وظهر في قلوبهم الغنى ، وزهدوا في الدنيا وزخارفها .

كما أنّ أهل الله مستغنون عن كلا العالمين (الدنيا والآخرة)، متحررون من

كلتا النشأتين وكلّ حاجتهم نحو الغنى المطلق ، متجلّياً الغنى بالذات في قلوبهم ، فهنيئاً لهم .

قال ﷺ بعد كلام : ومن المعلوم ، أنّ من يتجه قلبه إلى الآخرة ، تغدو أُمور الدنيا وصعابها في نظره حقيرة سهلة ، ويجد هذه الدنيا متصرّمة ، ومتغيّرة، ويراها معبراً ومتجراً وداراً للابتلاء والتربية ، ولا يهتم بما فيها من ألم وسرور ، فتخف حاجاته ويقل افتقاره إلى أمور الدنيا وإلى الناس ، بل يصل إلى حيث لا تبقى له حاجة ، فيجتمع له أمره ، وتنتظم أعماله ، ويفوز بالغنى الذاتي والقلبي . ـ وقد ختم كلامه الشريف بعد كلام تركناه خشية الإطالة بقوله الشريف ـ :

إذن ، يا عزيزي ، بعد أن عرفت مفاسد هذا التعلّق والحبّ ، وأدركت أنّ ذلك يفضي بالإنسان إلى الهلاك ، ويجرّده من الايمان ، ويجعل دنياه وآخرته متشابكتين مضطربتين ، فشمّر عن ساعد الجد ، وقلّل حسب طاقتك التعلّق بهذه الدنيا ، واقتلع جذور حبّها من نفسك ، واحتقر هذه الأيام القليلة التي تقضيها في الحياة ، وازهد في خيراتها المشوبة بالألم والعذاب والنقمة ، واطلب من الله تعالى أن يعينك على الخلاص من هذا العذاب وهذه المحنة ، ويجعل قلبك يأنس بدار كرمه تعالى : ﴿ ومَا عِندَ الله خيرٌ وأبقَى ﴾[1] .

ليس بعد كلام الامام كلام ، فإنّ العلاج الذي هو خير علاج حاسم لاقتلاع جذور حبّ الدنيا المذمومة ، وشهواتها الموهومة من قلب الإنسان لا يكون إلّا بالنظر في مفاسدها ، لأنّها كما قال بعضهم :

كم حسنت لذّة للمرء قاتلةً   من حيث لم يدر إنّ السمّ في الدسم

قال شيخنا البهائي ﷺ في ابيات جليلة يصف فيها ما يقضيه المؤمن من الاشتغال في حياته بالشهوات التافهة التي يتعلّق حبّها بقلبه ، فتُبعده عن الحق سبحانه :

(١) القصص / ٦٠.

قــد صرفــنا العُمْر في قـيل وقـالْ يـا نـديمي : قُـم فـقد ضـاق المجالْ
واشــقِنِي تــلك المــدامَ السلسبيل إنّهـــا تَهـــدي إلى خـــير الســـبيلْ
واخـــلع النــعلين يــاهذا النــديمْ إنّهـــا نـــارٌ أضــاءت للكــليمْ
هـــاتها صهـــباءَ مـــن خمـر الجنانْ دع كـــؤسا واســـقنيها بـــالدِّنانْ
ضَـاقَ وقتُ العـمْر عـن آلاتِهـا هـــاتها مـــن غـــير عـــضر هـاتها
قُـم أزِلْ عـني بهـا رسم الهمومْ إنّ عُـمري ضـاع في عِـلم الرسـوم
أيّهـــا القـــوم الذي في المـدرسةْ كـــل مـــا حـــصلتموه وسْـوسَةْ
فكـرُكـم إن كـان في غـير الحـبيب ما لكُـم في النشأةِ الأخـرى نـصيبْ
فـاغسلوا بـالرّاح عـن لوحِ الفـؤاد كـلّ عـلمٍ ليس يـنجِي في المعاد

وله ايضاً ﷺ :

كـان في الأكـراد شـخص ذو سـدادْ أمُّـــه ذاتُ اشـــتهارٍ بـــالفسَادْ
لم تُخـــيِّبْ مـــن نـوالٍ راغـباً لم تُــنفِّر عـــن وصـالٍ طـالباً
دارُهـــا مـــفتوحةٌ للـــداخـلين رجـــلها مـــرفوعةٌ للـــفاعلينْ
فـــهي مـــفعولٌ بهـــا في كـل حـالْ فـــعلُها تمـــييز أفـــعال الرجـالْ
كـــان ظـــرفا مســتقرّاً وكْـرُها جـــاء زيـــدٌ قـــام عـــمرو ذكـرها
جـــاءَها بـــعضَ اللـــيالي ذو أمـلْ فـــاعتراهُ الابـــنُ في ذاك العَـملْ
شـــقّ بـــالسكين فـوراً صـدرَها في محـاقِ المـوتِ أخـفى بـدرَها
مكّـــنَ الغـــيلانَ مـــن أحشـائها خـلّص الجـيران مـن فـحشائِها
قـال بـعضُ القـومِ مـن أهـل الملامْ لِمْ قـــتلتَ الأمَّ يـــا هـذا الغـلامْ
كـان قـتلُ المـرء أولى يـا فـتىَ إنّ قـــتلَ الأم شيءٌ مـــا أتى
قـال يـا قـوم اتـركُوا هـذا العـتابْ إنّ قـــتلَ الأم أدنى للـــصوابْ
كـــنتُ لو أبـــقيتُها فـيما تُـريدْ كـلّ يـومٍ قـاتلاً شـخصاً جـديدْ
إنّهـــا لو لم تـذُق طـعمَ الحُسـامْ كـان شـغْلي دائمـاً قـتلَ الأنـامْ

أيّهـا المأسـورُ في قـيد الذنـوبْ أيّهـا المـحروم مـن سرّ الغُـيوبْ
أَنت في أَسر الكـلابِ العـاويَهْ مـن قُـوى النـفس الكـفور الجـانيهْ
كـلّ صُـبح مـع مسـاءٍ لا تـزال مـع دواعـي النـفس في قـيل وقـالْ
كـلُّ داع حـيّة ذاتُ انـتقامْ قـل مـع الحـيّات مـا هـذا المـقام
إن تكُن من لسْعِ ذي تبغي الخلاص أو تَرُمْ مـن عـضٌ هـتايك المـناص
فـاقتلِ النـفسَ الكـفورَ الجـانيَهْ قـتلَ كـرديٍّ لأُمٍّ زانـيَهْ
أيّهـا السـاقي أدر كأس المـدامْ واجـعلن في دورهـا عـيشي مُـدامْ
خـلّص الأرواحَ مـن قـيد الهُـموم أطـلق الأشـباح مـن أَسر الغُـمومْ
فـالبهائيُّ الحـزين المـمتحن مـن دواعـي النـفس في أَسر المِحَنْ

والمعنى في هذه الابيات الجليلة واضح ، وذلك لانّ الإنسان إذا شرب من كأس الحبّ الحبيب المتعالي فليس لقلبه بذكر غير الحبيب انشغال ، فلا يلتفت إلى الدنيا وشهواتها الموهومة ، بل على العكس من ذلك فانّه يذوب في حبِّ الحـق سبحانه وتعالى كما قال بعض العارفين عـندما شرب مـن كأس الحبِّ للـحبيب وانكشفت له حقيقة تلك المفاسد الكامنة في شهوات الدنيا ذاب في الحق سبحانه وانشأ يقول :

اكشـفْ حـجابَ التـجلِّي وأخـبِرني بـالتملي
وإن بـدا لك قـتلي فأنت في ألف حِـلّ
مـالي سِـوى الرُّوح خـذْها والروحُ جُـهدُ المـقلٍّ
أخـذتَ مـنّي بـعضي فـليتني كـنتُ كُـلِّي
صرفتَ عـنّي قـلبي سـلبتَ مـني عـقلي
وقـفتُ بـالباب دهـراً عـسى أفـوز بـوصْل
مـن لي بأن تـرتضيني عُـبيْدَ بـابك مـنْ لي
مـالي بـغيرك شُـغلٌ وأنت غـايةُ شُـغلي

العارفون بمفاسد الشهوات تركوا الدنيا واقبلوا على مناجاة الحق سبحانه

قال بعضهم :

قــلوب العــارفين لهــا عــيون تــرى مــا لا يــراه النــاظرون
وألســـنة بـــسر قـــد تـناجي تـــدقّ عـــن الكـــرام الكــاتبينا
وأجـــنحة تـــطير بـغير ريش فـــتأوى عـــند رب العـــالمين
فــترعى في ريـاض القـدس طـوراً وتـــشرب مــن بحــار المــرسلين
عـــباد قـــاصدون إليــه حــتى دنـــوا مــنه وصــاروا واصــلينا

وقال بعضهم في وصف العارفين الذين عرفوا الحــق سـبحانه ، وبـذكره لهَجوا :

نـــسَماتُ هـــواك لهـــا أرجُ تحـــيا وتـــعيشُ بهـــا المُــهجُ
وبـنشر حـديثك يُـطوى الغـمّ عـن الأرواح ويـــــندرجُ
وبـــبَهْجة وجــه جـلالِ جمــالِ كـــمالِ صِـــفاتِك أبـــتهجُ
لا كــان فــؤاد ليس يهــيم عــلى ذكـــــراك ويـــــنزعجُ
لا أعـــتبُ قــلب الغــافل عــنك فــليس عــلى الأَعــمى حَــرجُ
مــا النــاسُ ســوى قـومٍ عـرفوكَ وغـــــيرُهُم هَمَــجٌ هَمَــجُ
قــومٌ فَــعَلُوا خــيرًا فـعلَوْا وعـــلى الدرج العُــليا درجــوا
فــهموا المــعنى فـهُم المـعنى فــبذكر الله لَهُــم لَهَــجوا
دخـــلوا فُــقراء إلى الدنـــيا وكــما دخــلوا مــنها خــرجُــوا
شربـــوا بكـــؤوس تـــفكّرهم مــن صِرْفِ هــواه ومــا مزَجُوا
يـــا مُــدّعيا لطـــريقِهمُ قـــوّمْ فــطَريقك مـــنعوج
تهـــوَى ليـــل وتـــنام الليـلَ وحــــقَّك ذا طـــلبٌ سِمِـــجُ

وقال بعضهم ايضا :

على بعدك لا يصبر من عادته القرب
ولا يقوى على قطعك من تيّمه الحبّ
إذا لم ترك العين فقد أبصرك القلب

وقال شيخنا البهائي ﷺ في وصف خمرة الحبّ للحبيب المتعال جل شأنه :

يا نديمي ضاعَ عُمري وانقضَى ... قُم لإدراكِ زمانٍ قد مضى
واغسِل الأدناسَ عني بالمُدامْ ... واملأ الأقداح منها ياغلامْ
واسقني كأساً فقد لاح الصباحْ ... والثريّا غربتْ والديكُ صاحْ
زوِّج الصهباء بالماء الزلالْ ... واجعلن عقلي لها مَهراً حلالْ
هاتِها من غير مهلٍ يا نديمْ ... خمرةٌ يحيا بها العظمُ الرميمْ
نبتَ كرم تجعلنّ الشيخ شابْ ... من يذُق منها عن الكونين غابْ
خمرةٌ من نارِ موسى نورُها ... دنُّها قلبي وصدري طورُها
قُم ولا تُمهلْ فما في العُمرِ مهلُ ... لا تصعب شربَها فالأمر سهلُ
قل لشيخ قلبُه منها نُفورْ ... لا تخف فالله توّابٌ غفُور
يا مُغنّي إنّ عندِي كلَّ غمْ ... قم وألق الناي فيها بالنغَمْ
غنِّ لي دورا فقد دار القدحْ ... والصَّبا قد فاحَ والقُمرى صدَحْ
واذكرنْ عندي أحاديثَ الحبيبْ ... إنّ عيشي من سِواها لا يطيبْ
واحذَرنْ ذكرى أحاديث الفراق ... إنّ ذكرَ البُعدِ مما لا يُطاقْ
ردّ لي روحي بأشعار العَربْ ... كي يَتمَّ الحظ فينا والطربْ
وافتتح منها بنظْم مُستطاب ... قلتَه في بعض أيّام الشبابْ
قد صرفنا العُمرَ في قيلٍ وقال ... يا نديمي قُم فقد ضاق المجالْ
ثم أطرِبْني بأشعار العَجم ... واطردَنْ هماً على قلبي هجمْ
وأبتدِيء منها ببيْتِ المثْنوِي ... للحكيم المولويِّ المعنوي

بشنوازنی جون حکایت میکند | واز جداي ها شکایت میکند
قم وخاطِبْني بكلِّ الألِسنَة | علَّ قلبي ينتبه من ذي السنة
إنّه في غفلةٍ عن حالِهِ | خابطٌ في قيلِهِ مع قاله
كلّ آن فهو في قيْد حدِيدْ | قائلاً من جهله هل من مزِيدْ
تائها في الغي قد ضلَّ الطريقْ | قطّ من سُكر الهوَى لا يستفيقْ
عاكفا دهراً على أصنامِهِ | تهزأُ الكفارُ من إسلامِهِ
كم أُنادي وهو لا يُصغي التنادْ | وا فُؤادِي وا فُؤادِي وافُؤاد
يا بَهائيُّ اتخذ قلباً سواه | فهو ما معبُودُه إلّا هواه

وقال بعض العارفين بالله :

إنّ المحب نهاره مستوحش | بين العباد يسير كالمتفرد
فالعين منه قريرة بحبيبه | يرجو لقاء الواحد المتوحد
ياحسن موكبهم إذا ما اقبلوا | نحو الاله مع النبي محمّد

وقال بعضهم : رأيت رجلاً يطوف حول البيت ، ويقول : أنت أنت فقلت ما عنيت فانشأ يقول :

بين المحبين سرّ ليس يفشيه | خطّ ولا قلم عنه فيحكيه
نار تقابله أنس يمازجه | نور يخبره عن بعض ما فيه
شوقي إليه ولا أبغي له بدلاً | هذي سرائر كتماني تناجيه

وقال بعض العارفين :

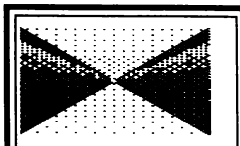
تعوّد سهر الليل | فإنَّ النوم خسران
ولا تركنَّ إلى الذنب | فعقبى الذنب نيران
وقم للواحد الفرد | فالقرآن خلّان
ينام الغافل الساهي | وما في القوم وسنان
ويلهو المعرض اللاهي | وعند القوم أحزان

هـــــــم والله فـــــتيان إذا مــــــا قـــــيل فـــتيان

والحاصل أنّنا وان كنّا قد ابتعدنا قليلاً عمّا نحن بصدده ، وهو (علاج حب الشهوات) بسرد هذه الأبيات الشعرية ، إلّا أنّ ما ذكرناه من هذه الأبيات الجليلة له علاقة بما نحن فيه من جهة أنّ قلب الانسان المؤمن إذا تعلّق بحبّ الله تـعالى فليس فيه مجال التعلّق بحبٍّ غيره ، وعلى العكس ذلك الانسان الذي تعلّق قلبه بحبّ الشهوات ، فانّه ليس في قلبه مجال لحبّ الحبيب المعتال ، فإنّ القلب مشغول بغير الله ويكون الانسان ، والحال هذا في خطر عظيم لا تحـمد عـاقبته إذ ربّمـا احتضر هذا المسكين وقلبه متعلّق بحبها ، كما قد حدث لبعض المسرفين عـندما احتضر ، فانّه كلّما قيل له : قل لا إله إلا الله يقول هذا البيت :

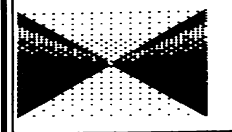
يــا رُبَّ قـــائلة يـــوم وقـد تَـعِبَتْ أيـــن الطــريقُ إلى حمــامِ مـنجاب

وسبب ذلك أنّ امرأة عفيفةً حسناءَ ، خرجت يوم إلى حمّام معروف بحمّام منجاب ، فلم تعرف طريقه وتعِبتْ من المشي ، فرأت رجلاً على باب داره فسألته عن الحمّام ، فقال هو هذا وأشار إلى باب داره ، فلما دخلت أغلق الباب عليها ، فلما عرفت بمكره أظهرت كمال السرور والرغبة ، وقالت له اشتر لنا شيئاً مـن الطيب ، وشيئاً من الطعام ، وعجل العود إلينا ، فلما خرج واثقاً بها وبـرغبتها ، خرجت وتخلصت منه ، فانشغل قلبه بها ولم يزل مشغول حتى يوم احتضاره وهو يردد ، يارُبّ قائلة ـ البيت المذكور ـ وقد منعته هذه الخطيئةُ عن الاقرار بالشهادة عند الموت ، مع أنّه لم يصدر منه إلّا إدخال المرأة بيته ، وعزمه على الزنا فقط من غير وقوعه منه . وأمثال هذه الحادثة كثير ، ولا نريد أن نطيل الكلام ، ومن خلال سردنا لهذه الحادثة ، تعلم ما أفاده الإمام ﷺ هناك .



تحذيرات ونصائح

الأولياءِ منها



لقد تحدّثنا لقارئنا العزيز فيما تقدّم عن علاج الأسباب الدافعة والمحفزة للإنسان على حبّ الدنيا المذمومة، والميل لها، وذكرنا لكلٍّ سبب من تلك الأسباب علاجه الخاص.

وهنا نورد لقارئنا العزيز بعض التحذيرات والنصائح الواردة عن ائمة أهل البيت عليهم السلام وعن جدّهم الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وعن سائر الأنبياء والأولياء والعارفين، ننقلها له من مختلف كتب الحديث والتفاسير وغيرها من الكتب المعتمدة عند علمائنا الأعلام، تلك التحذيرات والنصائح المفيدة النافعة الموجّهة لأبناء الأمّة الاسلاميّة من مغبّة الافتتان بالدنيا المتزينة لأبنائها في الظاهر ولكنها قد أخفت لهم الحتوف والشرور في السرائر ذات الظاهر المليح، والباطن القبيح.

ولا يخفى انّ ما ورد عنهم عليهم السلام من المقالات التحذيريّة في ذلك كثير، ولا يسعنا في هذا المختصر عرض أو نقل كلما جاء عنهم عليهم السلام في ذلك ولكننا ننقل ما تيسر لنا نقله منها فيما يلي:

التحذير الأوّل: في نهج البلاغة الجزء الاول صفحة ٢٢١ قال أمير المؤمنين عليه السلام: وَاحذّرُكُمُ الدنْيا فإنَّهَا مَنْزِلُ قُلعْةٍ، ولَيْسَتْ بدَارِ نُجعةٍ تَزَيَنَتْ بغُرورهَا، وغَرَّتْ بزينَتِهاَ، دارٌ هَانَتْ عَلَى رَبّها، فَخَلَطَ حَلاَلَها بَحَرامهَا وخيْرها بشَرِّهَا، وحياتَهَا بموْتهَا، وحُلْوهَا بمُرِهَا. لم يُصْفِها اللهُ تَعَالَى لاوْليائِهِ، ولَمْ يَضنَّ بِها عَلَى أعدَائِهِ. خَيْرها زهِيدٌ، وَشَرُّها عَتِيدٌ وَجَمْعُهاَ يَنْفَدُ، ومُلْكُهاَ يُسْلَبُ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ. فما خيْرُ دارٍ تُنقَضُ نَقْضَ البناءِ، وَعُمُرٍ يَفْنَى فَنَاءَ الزادِ، وَمُدَّةٍ تنقَطِعُ انْقطَاعَ السير اجْعَلُوا ما افتْرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبَكُمْ، واسْألوهُ مِنْ أداءِ

حقِّهِ ما سَأَلكُمْ ، وأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الموتِ آذَانَكُمْ قبلَ أَنْ يُدْعَى بكُمْ إِنَّ الزاهِدِينَ في الدنْيَا تبكي قلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحكُوا ، وَيَشْتَدُّ حُزنهُمُ وإنْ فرِحُوا ، وَيكثُرُ مَقتهُمْ وَإِنِ اغْتُبطُوا بِمَا رُزِقُوا ، قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُم ذِكْرُ الآجالِ ، وحضرتكُمْ كـواذِبُ الآمالِ ، فَصَارَتِ الدنيا أَمْلَكَ بكُمْ من الآخِرةِ ، والْعَاجلَةُ أذْهَبَ بكم من الآجلَةِ ، وإنَّما أَنْتُمْ إخْوَانٌ على دِينِ اللهِ ما فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إلَّا خبْثُ السرائِرِ ، وسُوءُ الضمائِرِ. فَلَا تَوَازرونَ ولَا تَنَاصحُونَ ، ولا تَبَاذَلُون ولاَ تَوادُّونَ ما بَالُكُمْ تَفرحونَ باليسيرِ مِنَ الدنيَا تُدرِكُونَهُ ، ولَا يَحْزُنُكُمُ الكَثيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحرمونَهُ . ويُقْلِقُكُمُ الْـيسيرُ مـن الدنيا يَفُوتُكُمْ حَتى يتبَيَّنَ ذلِكَ في وُجُوهِكُمْ ، وقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عمَّا زُوِيَ مِنْها عنكُمْ ، كَأَنَّها دَارُ مُقامكُمْ. وكأَنَّ مَتَاعَهَا باقٍ عَلَيْكُمْ. وما يَمنعُ أحَدَكُمْ أن يَسْتَقبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ يستقبِلَهُ بمِثْلِهِ . قدْ تَصافَيْتُم عَلَى رفْضِ الآجِلِ ، وحُب العَاجِلِ ، وصَارَ دِينُ أَحدِكُمْ لُعْقَةً على لِسَانِهِ ، صَنِيعَ مَنْ قدْ فرَغَ مِنْ عَمَلِهِ ، وأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ .

التحذير الثاني : في نهج البلاغة الجزء الثاني صفحة ٢٨ من كلام مـولانا أمير المؤمنين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أنّه قال : أَيُّها الناسُ ، إنَّما أَنتمْ في هذِهِ الدنيَا غرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيه المَنَايا مَعَ كُلِّ جَرعَةٍ شَرَقٌ ، وَفي كُلِّ أَكْلَةٍ غـصَصٌ . لَا تَنَالُونَ مِنْها نَعْمَةً إِلَّا بِفراق أُخرى ، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يوماً من عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ من أَجلِهِ . وَلَا تُجدَّدُ لَهُ زِيادَةٌ في أَكلِهِ إلّابنفَادِ ما قبْلَهَا من رِزْقِهِ.

وَلا يحيى له أَثَرٌ إلّا مَاتَ لَهُ أَثرٌ . ولَا يتجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إلّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَـهُ جَدِيدٌ ، ولا تقُومُ لَهُ نَابتَةٌ إلّا وتسقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ . وقَدْ مَضَتْ أُصولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا فَما بقاءُ فَرْعٍ بعد ذَهَابَ أَصْلِهِ (مِنْهَا) وَمَا أُحدِثَتْ بدْعَةٌ إلّا تُرِكَ بهَا سُنَّةٌ ، فَاتَّقُوا البِدَعَ وَالْزمُوا المهْيَعَ . إِنَّ عَوَازِمَ الأُمُورِ أفضَلُهَا . وإِنَّ مُحْدَثَاتِهَا شِرَارُهَا .

التحذير الثالث : وقال مولانا امير المـؤمنين عليه‌السلام : عـبَادَ اللهِ أُوصِـيكُم الرَّفْض لهذِهِ والدنْيا التَّارِكَةِ لَكُمْ وإِنْ لَمْ تُحبوا تركَهَا والمُبليَةِ لأجْسَامِكُمْ وإِن كُنْتُمْ

تحبُّونَ تجْدِيدَهَا . فَإنَّمَا مثَلُكُمْ وَمثَلُهَا كسَفرٍ سَلَكُوا سَبيلاً فكأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ وأمُّو عَلَماً فكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ . وكَمْ عسى المجرى إلى الْغَاية أَنْ يَجْريَ إلَيْهَا حَتّى يَبْلُغَها وَمَا عَسَىَ أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ منْ لَهُ يَوْمٌ لاَ يَعْدُوهُ ، وطَالِبٌ حثيث يَحْدوه في الدنْيا حتى يفُارِقَها فلا تَنَافَسُوا في عِزِّ الدنْيَا وفَخْرِها . وَلاَ تُعْجبُوا بزينتهَا ونعيمها . وَلاَ تَجزعوا مِنْ ضَرَّائهَا وبُؤسِها . فإنّ عِزَّها وفخرهَا إِلَى انْقِطَاعٍ . وإِنَّ زِينتَها وَنَعِيمهَا إِلى زَوالٍ ، وضَرَّاءَها وَبؤسَهَا إِلى نَفَادٍ . وَكُلُّ مُدّةٍ فِيهَا إِلَى انْتِهاءٍ . وكل حَيٍّ فِيهَا إلى فَنَاءٍ أَولَيْسَ لَكُمْ في آثَارِ الأَوَّلِينَ مُزْدجرٌ وَفِي آبائِكُمُ المَاضينَ تبصرَة وَمُعْتَبرٌ إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُون . أولَمْ ترَوْا إِلَى المَاضِينَ مِنْكُمْ لاَ يَرْجعُونَ . وَإِلَى الخلف الباقِينَ لاَيَبقُونَ . أوَلسْتم تَروْن أهْلَ الدنيا يُصبِحُون ويُمْسُونَ عَلَى أَحْوالٍ شَتّى ، فَمَيِّتٌ يُبْكى وَآخرُ يُعَزى ، وَصَرِيعٌ مُبْتَلىً . وعَائِدٌ يَعُودُ وَآخَرُ بنفسهِ يَجُودُ . وَطَالِبٌ للدنيا والمَوْتُ يَطْلُبُهُ ، وَغَافِلٌ وَلَيس بِمغْفُولٍ عَنْهُ . وَعَلَى أَثَرِ المَاضِي مَا يَمضى الباقي .

أَلاَ فَاذكُروا هَادِمَ اللذَّاتِ ، ومُنغِّصَ الشهَواتِ ، وقاطعَ الأمنيَاتِ . عِنْدَ المُسَاورةِ لْلأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ . وَاستَعِينُوا الله عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّه ومَا لاَ يُحْصَى مِنْ أعْدَادِ نِعَمِهِ وإِحْسَانِهِ .

التحذير الرابع : في وصية مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لمولانا الإمام الحسن وأخيه مولانا الامام سيد الشهداء الحسين عليهما السلام قال ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وذلك لمَا ضَرَبَهُ ابنُ مُلْجَمٍ لَعَنهُ الله قال روحي له الفداء : أُوصيكُمَا بتقْوَى اللهِ ، وأنْ لا تبغيا الدنْيَا وَإِنْ بغَتكُمَا . وَلاتَأسفا عَلَى شيءٍ منْهَا زُوِيَ عنكُمَا.

التحذير الخامس : قال عليه السلام : أَلاَ وَإِنَّ هذِهِ الدنْيَا التي أَصْبَحْتُم تَتَمَنَّونَهَا وَتَرغبُونَ فِيهَا ، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ لَيْسَتْ بدَارِكُم ، ولاَ مَنْزِلُكُم الذي خُلقتُم لَهُ وَلاَ الذي دُعِيتُمْ إليه . ألا وإِنَّها لَيْسَتْ بِبَاقيةٍ لَكُمْ ولاَ تَبْقَونَ عليها. وهِيَ وإِنْ غرَّتكُمْ منْهَا فَقَدْ حَذَّرتْكُم شَرَّها. فَدعُوا غُرورها لتَحذيرهَا ، وإِطْمَاعَهَا

لِتَخْوِيفها .

التحذير السادس : قال عليه السلام : أمَّا بَعْدُ فإِنِّي أُحذرُكُمُ الدنْيَا فإِنَّها حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ حُفَّتْ بالشهواتِ وتَحَبَّبتْ بالْعَاجلَة ، وَراقت بالْقليلِ ، وتَحَلَّتْ بالآمَالِ ، وَتَزَينتْ بِالغُرور . وقد تقدّم ذكر هذه الخطبة الشريفة بكاملها .

التحذير السابع : قال عليه السلام : أمَّا بَعْدُ فإِنَّ الدنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا ، ولَمْ يُصِيبْ صَاحِبُها مِنْهَا شيئاً إلا فَتَحتْ لَهُ حِرصا عَلَيهَا وَلَهَجاً بِهَا ، وَلَنْ يَسْتغني صَاحِبُهَا ، ولَنْ يَستغني بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا . ومِنْ وَرَاءِ ذلِكَ فِرَاقُ ما جَمَعَ ، وَنَقْضُ ما أبْرَمَ وَلَو اعْتَبرتَ بِمَا مَضَى حفِظْت مَا بَقِيَ والسلام . وهذا الكلام الشريف مِنْ كتابٍ له عليه السلام إِلَى مُعَاوية ـ لعنه الله تعالى ـ

وجاء في نصائح مولانا الامام الحسن عليه السلام : يا ابن آدم ، أنت اسير الدنيا ، رضيت من لذّتها بما ينقضي ، ومن نعيمها بما يمضي ، ومن ملكها بما ينفد ، ولا تزال تجمع لنفسك الأوزار ، ولأهلك الأموال ، فإذا مت حملت أوزارك إلى قبرك ، وتركتَ أموالك لأهلك .

قيل للحسن البصري : كيف ترى الدنيا ؟

فقال : شغلني توقّع بلائها عن الفرح برخائها.

فأخذه أبو العتاهية فقال :

تزيدُه الأيام إن أقبلتْ ... شدة خوف تصاريفها

كأنّها في حال إسعافها ... تُسمعه وقعةَ تخويفها

ومن هنا قالوا : ان لتسهيل مصائبها وتخفيف شدائدها أسبابٌ إذا قارنتْ حزماً ، وصادفت عزماً هونتْ وقعها وقللت تأثيرها وضرها ، فمنها : إشعار النفس ما تعلمه من حلول الفناء والمصير إلى الانقضاء ، إذ ليس للدنيا حال يدوم ، ولا لمخلوق فيها بقاء معلوم .

ومنها : أن يستشعر أنّه في كل يوم يمر منها شطرٌ ، ويذهب منها جانب ،

حتى تنجلي وأنت عنها غافل، قال الشاعر:

تسلّ عن الهموم فليس شيء يقيمُ فما همومُك بالمقيمة
لعل الله ينظر بعد هذا إليك بنظرة منه رحيمة

ومنها: أن يعلم أن فيما وقي من الرزايا، وكُفي من الحوادث والبلايا ما هو أعظم من رزيّته وأشدّ من بليّته.

ومنها: أن يعلم أنّ طوارق الإنسان من دلائل فضله، ومحنَه من شواهد نبله. فعن أمير المؤمنين عليه السلام: حذق المرء محسوب من رزقه.

قال الشاعر:

محنُ الفتى تُخبرنَّ عن فضل الفتى كالنار مخبرةٌ بفضل العنبر

وقال آخر:

فلا غروَ أن يُمنى أديب بجاهل فمن ذَنب التنين تنكشف الشمسُ

ومنها: علمه بإن يعتاض عن الارتياض بنوائب دهره، والارتماض بمصائب عصره، صلابة عود، واستقامة عمود وتجارب لا يغترمعها برخاء، وثباتاً لا يتزلزل بعده لكلّ شدّة وبأساء كما قال الشاعر:

مواعظُ الدهر أدّبتني وإنّما يوعَظ الأديب
لم يمض بؤسٌ ولا نعيم إلّا ولي فيهما نصيبُ

ومنها: التأسّي بالأنبياء والأولياء من آل محمد عليهم السلام، فإنه لم يخل أحد منهم مدّة عمره من تواتر البلايا، وتفاقم الرزايا، ويشعر نفسه أنّه ينخرط بذلك في سلك أولئك الأقوام، وناهيك به من مقام يسمو على كل مقام.

ومنها: الصبر وعدم الجزع إذا نزل به البلاء.

قال بعضهم:

دع الأيّام تفعل ما تشاء وطب نفساً إذا نزل البلاء
ولا تجزع لحادثة الليالي فما لحوادث الدنيا بقاءُ

إذا مـــا كــنت ذا قــلب قــنوع فأنت ومـــالِكُ الدنـــيا ســواءُ

ومنها: ان تعلم إنّ شهدها ممزوج بسم.

قال في الديوان المنسوب لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

حـــلاوة دنـــياك مســـمومة فـــا تأكـــل الشهـد إلا بــسمّ

فكـن مُـوسراً شـئت أو مـعسراً فـــا تـــقطعُ الدهـــر إلا بهــمّ

إذا تم أمـــر بـــدا نـــقصهُ تـــوقَّع زوالاً إذا قـــيل تم

ومنه:

إذا النـــائبات بـــلغن المـــدى وكـــادت لهـــنّ تـذوب المـهجْ

وحـــلّ البـــلاءُ وقـــلّ العـزا فـــعند التـــناهي يكـون الفَـرَجْ

ومنه:

هـــوّن الأمـــر تـعش في راحـةٍ قـــلّما هـــوّنته إلّا بهـــون

ليس أمـــرُ المـــرء سهـلاً كـلّه إنّمـــا الأمـــر سهـول وحـزون

تـــطلبُ الراحـــة في دار الفـنا خـاب مـن يـطلب شيئاً لا يكـون

ومنه:

يمـــثل ذو اللب في نـــفسه مـــصائبه قـــبل أن تـــنزلا

فـــإن نـــزلت بـــغتةً لم يُـرعْ لمـــا كـــان في نـــفسه مـــثلا

رأى الأمـــر يـــفضى إلى آخـرٍ فـــصير آخـــره أوّلا

وذو الجـــهل يأمَـــن أيـــامه ويـنسى مـصارعَ مـن قـد خـلا

فـــإن بَـــدهَتْه صروفُ الزمـان بـــبعض مـــصائبه أعْـــولا

ولو قـــدم الحـــزم في نـــفسه لعـــلّمه الصـــبر عـــند البـلا

ومنها: إنّ الفتى الحاذق إذا خانه الدهر لم يخنه العَزاء. وفي هذا المعنى قال أمير المؤمنين عليه السلام:

هـــي حـــالان شـدّة ورخـاءُ وســـجالان نـــعمة وبـــلاء

والفتى الحاذق الأريب إذا ما خانه الدهر لم يخنه العَزاء

إن ألمت ملمّة بي فإنّي في الملمّات صخرةٌ صماء

حائر في البلاء علماً بأنْ ليس يدوم النعيمُ والبلواء

ومنها : ملازمة التقوى فانّه ممّا لا شك فيه إنّ ملازمتها يطرد عن الانسان الهموم ، ومحزنات الدهر ، وعلى العكس من ذلك فيما اذا تجرّد عنها قال بعضهم :

وإذا تكامل للفتى من عُمره خمسون وهو إلى التقى لا يجنح

عكفت عليه المحزناتُ فمالهُ متأخّرٌ عنها ولا متزحزح

وإذا رأى الشيطان صورة وجهه حَيَّا وقال فديتُ من لا يُفلح

ومنها : انتظار بلوغ مد الرزايا ، فإنّها إذا توالتْ تولّت.

قال بعضهم :

إن يكن نالك الزمان ببلوى عظُمت عندها الأمور وجلّت

وأتت بعدها مصائبُ أخرى سئمت عندها النفوسُ وملّت

فاصطبر وانتظر بلوغ مداها فالرزايا إذا توالتْ تولّت

ومنها : القناعة بقليل عروضها ، فإنّ صاحب القناعة ومالك الدنيا غير متساويين ، بل صاحب القناعة أقل حزناً ، وأطيب نفساً ، وأقر عيناً ، ولله در من قال :

ومن سرّه أن لا يرى ما يسوءُه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا

وفي الديوان المنسوب إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال :

إذا أظمأتك أكف اللئام كفتك القناعةُ شبِعاً ورِيا

فكن رجلاً رجلُه في الثرى وهامة همّته في الثريّا

أبيّاً بوجهك عن باخلٍ تراه بما في يديه أبيّا

فإنّ إراقة ماءِ الحياةِ دون إراقة ماء المحيّا

ومنها : ان تعلم إنّ الذي تطلبه من دنياك ، وإن حصل لا يدوم :

قال بعضهم :

لقــد عَــرّفتك الحــادثاتُ نـفوسها وقــد أدبتْ إن كـان يـنفعُك الأدبْ
ولو طلب الإنسان من صرف دهـره دوام الذي يخشى لأعـياه مـا طـلب

ومنها : أن يعلم إنّ الراحة في الجنّة ، وإن كان الناس يطلبونها في الدنيا جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : قال الله تعالى في الحديث القدسي : انّي وضعت خمسة أشياء في خمسة ، والناس يطلبونها في خمسة اخرى غيرها ، فمتى يجدونها : انّي وضعت العزّ في طاعتي ، والناس يطلبونه من أبواب السلاطين فمتى يجدونه ، ووضعت لهم العلم والحكمة في الجوع والناس يطلبونه في الشبع فمـتى يجـدونه . ووضعت لهم الراحة في الجنّة ، والناس يطلبونه في الدنيا فمتى يجدونها ، ووضعت الغنى في القناعة ، والناس يطلبونه بجمع المال فمتى يجدونه ، ووضعت رضائي في مخالفة الهوى ، والناس يطلبونه في الهوى فلم يجدوه .

ومنها : ان تهب الدنيا وجملة ما فيها لها ، وتعلم انّ الله تعالى قد ذمَّ حرامها ، كما قال مولانا امير المؤمنين عليه السلام :

دنـــــيا تخـــــادعني كأنّي لست أعـــــرف حـــــالها
ذمَّ الإله حـــــرامـــــها وإن اجـــــتنتُ حـــــلالها
بســـــطتْ اليَّ يمـــــينها فكـــــففتها وشمـــــالها
ورأيـــــتها محـــــتاجة فـــــوهبت جمـــــلتها لهـــــا

ومنها : ان يعلم إنّ العمر قصير ، والناقد بصير ، وإلى الله المصير ، كلّ يوم ينادي ملك الموت من بين ايدينا وخلفنا ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموتُ ﴾[1] .

يـــا أيّهــــا المـــعدود انـفاسه لابـــدَّ يـــوماً ان يـــتمَّ العـــدد
لابُـــدَّ مـــن يـــوم بـــلا ليـــلة وليـــلةٍ تأتي بـــلا يـــوم غـــد
النـــــاس في غـــــفلاتهم ورحـــــى المـــــنيّة تـــــطحن

(١) النساء / ٧٨.

مـــــا دون دائــــرة الرحـــــى حـــــــصنٌ لمـــــن يـــتحصّن

ومنها: ان يعلم أنّه في الدنيا مثل عصفور في قفص، قد محن فيها فعليه ان لا يهتم بها ذلك الاهتمام بل يكون اهتمامه في تلك الدار دار الكرامة كما قال الغزالي في قصيدة له:

قــــل لاخـــــوان رأوني مـــــيّتاً فـــبكوني ورثـــوا لي حـــزنا
اتــــــظنون بأني مـــــــيّتكم ليس ذلك المــــــيّت والله انـــا
أنــــا في الصــور وهــذا جسـدي كـــان بـــيتي وقمــيص زمــنا
أنــــا كـــنز وحــجابي طـلسم مــن تــراب كــان لي فــيه عـنا
أنــــا درّ قـــد حــواه صـدف كـــنت ممــحونا فـعفت المـحنا
أنــــا عـــصفور وهــذا قـفصي طـــرت مـــنه وبــق مـرتهنا
أحمـــــد الله الذي خـــلّصني وبـــنى لي في المــعالي مسكـناً
وأنـــا اليـــوم أنـاجي مـلاءً وأرى[1] الله جــــهاراً عــلنا
عــاكـف في اللـوح اقـرأ وأرى كــلّما كــان تــناني ودنـا
وطـــــعامي وشرابي واحـــد وهـــو رمــز فـافهموه حسـنا
ليس خمـــراً ســـائغاً أو عسـلا لا ولا مـــــاء ولكـــن لبــنا
فـــافهموا السرّ فـــفيه نـــبأ أي مـــعنى تحت لفـــظي لمـنا
فـاهدموا بـيتي ورضّـوا قـفصي وذروا الطـــلسم يـــفنى بـــفنا
ورداني وقمـــــيصي مـــــزقوا واتـــركوا الكـــلّ دفـينا بـفِنا
قـــد تـــرحّـــلت وخـلفتكم لست أرضى داركـــم لي وطـــنا
لا تـــظنوا المــوت مـوتاً انّــه لحــياة وهـــو غـايات المـنى
حــي ذا الدار نـــوم مــغرق فـــاذا مـــات أطـــار الوسـنا
لا تـــرعكم هـجة المـوت فـا هـــو إلّا نـــقله مـــن هـاهنا

(١) الرؤية على مسلك آل محمد عليهم السلام ممتنعة في الدنيا والآخرة.

وخـــذوا في الزاد جـــهداً لا تـــنوا ليس بـــالعاقل مـــنّا مـــن ونـــا
واحســـنوا الظـــنّ بـــربٍ راحـــم شـــاكـــر للســـعي وأتـــو أمـــنا
عـــنصر الانـــفس مـــنا واحـــد واعـــتقادي أنكـــم أنـــتم أنـــا
فارحمـــوني تـــرحمـــوا أنـــفسكم واعـــلموا أنّكـــم في أثـــرنا
أسأل الله لنـــــفسي رحمـــــة رحـــم الله صـــديقاً أمـــنا
وعـــليكم مـــن ســـلامي طـــيب ســـلّم الله عـــليكم وثـــنا

وخلاصة القول انّه بصرف النـظر عـن مـناقشة هـذا الرجـل في كـيفية اعتقاداته وآرائه الصوفية التي ذكرها في هذه القصيدة، فانّنا نعتقد أيضاً معه في إنّه من تسهيل مصائب الدنيا وتخفيف شدائدها هو التـعلّق بحبّ الآخـرة ونـعيمها الدائم، وهو من جملة الأسباب التي مرّ ذكرها.

النصيحة الثانية: من نصائح مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أَمَّا بَعْدُ، فإِنَّ الذِي في يَدِكَ من الدنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أهلٌ قَبْلَكَ، وَهُوَ صَائرٌ إلى أَهْلٍ بَعْدَكَ، وَإِنَّما أَنْتَ جَامِعٌ لأَحَدِ رَجُلَيْن: رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعتهُ بطَاعَةِ اللهِ فسَعدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ، أَوْ رَجُلٍ عَمِلَ فيه بِمَعْصِيةِ اللهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ، وَلَيْسَ أَحَدُ هٰذَيْنِ أَهْلاً أَنْ تُؤْثِرهُ عَلَى نفْسِكَ وَلَا أَنْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ، فارْجُ لمنْ مَضَى رَحْمَةَ الله، وَلمَنْ بَقِيَ رِزقَ اللهِ».

النصيحة الثالثة: من وصية النبي صلى الله عليه وآله: إنّ النور إذا وقع في القلب انشرح وانفسح، قيل: يا رسول الله فهل لذلك علامة؟ فقال صلى الله عليه وآله: نعم التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله.

النصيحة الرابعة: قال علي عليه السلام: يا أَيُّهَا الناسُ، مَتَاعُ الدنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ فَتَجنَّبُوا مَرْعاهُ. قَلْعَتُهَا أَحظَى مِنْ طُمَأْنِينَتِهَا، وبُلْغَتُهَا أَزكَى مِنْ ثَرْوَتِهَا. حُكِمَ عَلَى مُكْثِرٍ بهَا بالْفَاقَةِ. وأُعِينَ مَنْ غَنَى عَنْهَا بِالراحَةِ وَمَنْ رَاقَهُ زِبْرِجُهَا أَعـقَبَتْ نَاظِرَيْهِ كَمَهَا.

النصيحة الخامسة : قال علي عليه السلام : يَا أَسْرَى الرغْبَةِ أَقْصِرُوا فإنّ المُعَرِّجَ عَلَى الدنْيَا لا يَرُوعُهُ مِنْهَا الاّ صَرِيفُ أَنيَابِ الحدثان ، أَيُّهَا النَاسُ تَولَّوْا مِنْ أَنفُسِكُم تأدِيبَهَا ، واعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَراوةِ عَادَاتِهَا .

النصيحة السادسة : قال مولانا الامام قدس سره في وصيته إلى آية الله الحاج السيد أحمد الخميني دامت بركاته العالية « ابني : كرُّ الدنيا وفرُّها وصعودها وهبوطها (كل ذلك) ينقضي بسرعة وكلّنا نُسحق تحت عجلات الزمان . ومن خلال ملاحظاتي ومطالعاتي في حال الشرائح المختلفة وصلتُ إلى هذه النتيجة أن الشريحة المقتدرة والثريّة آلامها الداخلية والنفسيّة والروحيّة أكثر من سائر الشرائح

إنّ لهؤلاء آمالاً وتمنّيات كثيرة لم يحققوها ، وهذه (الآمال والتمنّيات) أشدّ إيلاماً بل تقرح الأكباد .

وفي هذا الزمان الذي نعيش ، والدنيا تعاني من القطبين القويين فإنّ الم العذاب الذي يبتلى به رؤساء تلك الدول ، وألوان القلق المهلكة التي يعيشها كلّ قطب تجاه القطب الآخر لا يمكن أن يقاس بالام ومشاكل الشرائح المتوسطة وغير الفقيرة .

تنافس أولئك ليس تنافساً عملياً ، بل هو تنافس قاتل يقصم ظهر كل منهم وكأنّ كلاً منهم في مقابل الآخر ذئبٌ مفترسٌ ، يقف فاغراً فاه ، حادّ الأسنان، يريد افتراس الآخر ، وعذاب هذا التنافس موجود في جميع الشرائح الثرية والقوية إلى الطبقات (والشرائح) الأُخرى .

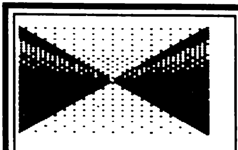
لكن كلما ذهبنا صعداً (في سلّم الثراء والقوة) يزداد عذاب التنافس بنفس النسبة ..

وما هو أساس نجاة البشرية ، واطمئنان القلوب ، هو التحرر والإفلات من الدنيا وتعلّقاتها ، ويحصل ذلك بالذكر الدائم لله تعالى .

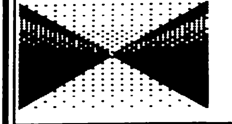
أولئك الذين هم بصدد العلو كيفما كان ... سواءٌ العلو في العلوم حتى الإلهيّة منها ، أو في القوة والشهرة والثروة يسعون في زيادة آلامهم المتحررون من القيود المادية ، الذين خلصوا أنفسهم الى حدود ما من شَرَك إبليس هذا ، هم في هذه الدنيا في سعادةٍ وجنّةٍ ورحمةٍ .

النصيحة السابعة : جاء عن مولانا الامام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في كتاب كتبه إلى ابن عبّاس : أما بعد ، فإن الإنسان يسرّه دركُ ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه ، فلا تكن بما نلت من دنياك فرحاً ، ولا بما فاتك منها ترحاً ، ولا تكن ممّن يرجو الاخرة بغير عمل ، ويرجو التوبة بطول الأمل ، فكأن قد . والسلام .

هذا آخر ما أردنا بيانه من التحذيرات والنصائح في هذا الكتاب ، ومن أراد التوسعة والاطلاع على ما قاله أئمة أهل البيت عليهم السلام في ذلك ، لكي يوطّن نفسه على عدم الاغترار بهذه الدنيا ، فعليه بمراجعة كتب الحديث ، والتفاسير وغيرها ، سيّما كتاب نهج البلاغة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام فانّه ينبغي لكلٍّ مسلم حفظه والعمل بمقتضى ما بيّنه لنا فيه عليه السلام وفقنا الله لذلك ، وجعلنا الله تعالى من المتمسكين بأمير المؤمنين والائمة المعصومين في الأقوال والأفعال بحق محمد صلى الله عليه وآله وآله صلى الله عليهم أجمعين .



الزهادة فيهـــا



لقد تحدّثنا لقارئنا العزيز فيما تقدّم عن بعض التحذيرات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وعن جدّهم الاكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وعن سائر ما جاء عن الأنبياء والأولياء في ذلك أيضاً، وأعلمنا القارىء العزيز من خلال ما نقلناه له من تلك التحذيرات بإنّ عليه أن لا يفتتن بهذه الدنيا الفانية المتزيّنة لأهلها في الظاهر، والحال انّها تخفي لهم الحتوف والشرور في السرائر.

وهنا نتحدّث لقارئنا العزيز عن الزهادة فيها، وما يجب على الانسان من الانصراف عنها، وعدم الوثوق بها، وترك كثرة الرغبة فيها لرجاء ما عند الله تعالى، وما اعدّه لأوليائه الصالحين، وعباده المؤمنين في تلك الدار الآخرة، دار الكرامة والخلود والنعيم الدائم.

وبما ان الحديث عن الزهادة في الدنيا حديث متشعب الجوانب، لذا سوف نقتصر في ذلك عن التحدّث عن أمور ذات علاقة بهذا العنوان:

أولها: في حقيقة الزهد.

ثانيها: بحث علمي واجتماعي حول حقيقة الزهد.

ثالثها: في زهد الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

رابعها: في خصال الزاهد.

خامسها: بحث علمي أخلاقي في خصال الزاهد.

سادسها: ما جاء من غرر حكم، ودرر كلم في الزهد.

نورد كل ذلك لقارئنا العزيز بحسب التسلسل المرقم فيما يلي:

الاول الكلام في حقيقة الزهد: قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: (الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن، قال الله تعالى: ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾[1] فمن لم ييأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه.

ولقد جاء عن أئمة أهل البيت النبوي الشريف عليهم الصلاة والسلام روايات كثيرة في حقيقة الزهد نذكر منها ما يسعه المقام:

١ ـ في معاني الاخبار: باسناده عن هاشم بن بريد عن أبي جعفر عليه السلام: أنّ رجلاً سأله عن الزهد. فقال عليه السلام: الزهد عشرة أشياء وأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع، وأعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، ألا وانّ الزهد في آية من كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم ﴾[2].

٢ ـ في تفسير القمي: بإسناده عن حفص: قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلتُ فداك ماحد الزهد في الدنيا؟ فقال عليه السلام قد حدّه الله تعالى في كتابه فقال عز وجل: ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم ﴾[3]. إنّ أعلم الناس بالله تعالى أخوفهم بالله، وأخوفهم له أعلمهم به، وأعلمهم به أزهدهم في الدنيا.

٣ ـ في الكافي: باسناده عن الوشاء قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه للحواريين: يا بني إسرائيل لا تأسوا على ما فاتكم من الدنيا، كما لا يأسى أهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم إذا اصابوا دنياهم.

٤ ـ وفيه: باسناده عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: جعل الخير كلّه في بيت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يجد الرجل حلاوة الإيمان في قلبه، حتى لا يبالي من أكل

---

(١) و (٢) و (٣) الحديد / ٢٣.

الدنيا ، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الإيمان فيها حتى تزهد في الدنيا .

٥ ـ في معاني الاخبار : باسناده عن أبي الطفيل قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : الزهد في الدنيا قصر الامل ، وشكر كلّ نعمة ، والورع عمّا حرّم الله تعالى عليك .

٦ ـ وفيه باسناده عن السكوني قال : قال ابو عبد الله عليه السلام : ليس الزهد في الدنيا باضاعة المال ، ولا بتحريم الحلال ، بل الزهد في الدنيا ان لا يكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عز وجل .

٧ ـ وفيه : باسناده عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قيل لامير المؤمنين عليه السلام : ما الزهد في الدنيا ؟ قال : تنكّب حرامها .

٨ ـ وفي الكافي : باسناده عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : ما الزهد في الدنيا ؟ قال : ويحك حرامها فتنكبه ، أي تحترز عنه .

٩ ـ في تحف العقول : عن مولانا الامام علي عليه السلام قال : الزاهد في الدنيا من لم يغلب الحرام صبره ، ولم يشغل الحلال شكره .

١٠ ـ وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : الزهادة قصر الامل ، والشكر عند النعم ، والتورّع عند المحارم ، فإن عزب ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم ، ولا تنسوا عند النعم شكركم ، فقد أعذر الله إليكم بحِجج مسفرة ظاهرة ، وكتب بارزة العذر واضحة .

قال بعض الاكابر في شرح لفظة الزهادة : إنَّ الزهادة هي الزهد ، فسّره الامام عليه السلام بأمور ثلاثة : قصر الأمل ، وشكر النعمة ، والورع عن المحارم ، فلا يسمى الزاهد زاهداً ، حتى يستكمل فيه الأمور الثلاثة ثم قال : « فان عزب ذلك عنكم » أي بعد ، فامران من الثلاثة لابد منهما ، وهما الورع وشكر النعم ، جعلهما أكد وأهم من قصر الأمل .

١١ ـ وعنه عليه السلام : أفضل الزهد اخفاء الزهد .

الثاني : الكلام حول الزهد أيضاً بحث علمي واجتماعي في حقيقته :

ولقد اختلفت كلمات الباحثين في حقيقة الزهد ، فقيل : الزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس الانساني .

وقيل : الزهد : هو صرف الرغبة عن الدنيا ، وعدم ارادتها بقلبه إلاّ بقدر ضرورة بدنه ، ومن هنا يُعلم أنّ الزهد في الدنيا لا ينافي كثرة المال والخدم ونحوهما ، إلاّ إذا كان محبّاً لها بقلبه ، وراغباً فيها وتشغله عن ذكر الله .

وقيل : الزهد : هو ترك المال ، وبذله على سبيل السخاء ، وعلى سبيل استمالة القلوب .

وقيل : الزهد : عبارة عن انصراف الرغبة عن شيءٍ إلى شيء آخر ، فلا يمكن أن تجتمع الرغبة فيهما معاً ، فمن رغب في الدنيا فهو غير راغب في الآخرة ، والعكس بالعكس .

قال بعض الاكابر : إنّ المستفاد من الآيات القرانيّة ، والروايات الواردة وسيرة الأئمة من أهل البيت النبوي الشريف عليهم السلام ، إنّ الزهد عبارة عن الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه ، فالزاهد يرغب عن الدنيا ولا يهتم بمتعها عدولاً إلى الآخرة ونعيمها ، أو عن غير الله عدولاً إلى الله تعالى ، وهي الدرجة العليا . ولا بد في الزهد من امور ثلاثة قدرة الزاهد على المرغوب عنه وعلمه بانّ المرغوب فيها خير من المرغوب عنه ، وعمله بمقتضى الزهد من ظهور آثاره في ملابسه ومطاعمه ومساكنه وفي جميع شؤون حياته من غير فرق له أن يكون أميراً أو رعيّة ، فانظر إلى سلمان المحمدي الفارسي رضوان الله تعالى عليه وإمارته في المدائن وقبلها وبعدها ولا أن تكون الدنيا راغبة فيه ولا فائتة عنه .

فالزاهد لا يهتم بالدنيا ، وهو قادر على اقتناء متاعها ، لعلمه بحقارتها تجاه نفاسة الآخرة ، فليس عدم الاهتمام عجزاً أو سفهاً أو خوفاً أو من غير علم

بالحقارة والنفاسة .

فالزاهد من أتته الدنيا راغبة ، وهو قادر على التنعّم بها ، فلا يهتم بها كما لا يغتم إذا فاتته ، فلا يركن إليها ، ولا يشتهي الخلود فيها ، ولا تشتدّ علاقته بزينتها وزخارفها حتى لا يحسب شيئاً من نعيم سواها ، ولا يرى منزلة من السعادة ورائها ، وليس معنى الزهد الركون إلى البطالة والكسل ، والكف عن السعي والعمل ، كما زعم ضعفاء العقول لا معرفة لهم بالمعارف الاسلامية السامية .

والغرض من الزهد ، هو تعديل النفوس ووصفها في حد الوسط من الكمالات ، والوسط هو الكمال كلّه ، وتعديلها في حبِّ الدنيا والاخرة كل بحسبه فلا تذهب إلى الشرِّ والجشع فتفوتها السعادة الجوهرية والحياة الدائمة وهي الخير كله . وإلّا فالسعي حتم على كلِّ انسان متّكلاً على الله تعالى ، إذ بالسعي توسعة العمران ، وتمهيد الحضارة ، وللجد والسعي مقام من الاهمية في الشريعة الاسلامية الرفيعة ، وأنّه من نواميس عمارة العالم ، ولولاه لاختل النظام ، وبطل الاتقان ، والاحكام فالزهد من أسباب الكمال ، كما أنّ حبّ الدنيا رأس كل خطيئةٍ ، والاهتمام بمتاعها فساد في الارض .

فيجب على كل مسلم الاكتساب في حياته من طريق الحلال بقدر وسعه وضرورته من غير اغترار بمتاع الدنيا ، فاذا زاد فيسعى في نشر الدين وقضاء حوائج المحتاجين قال الله تعالى : ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الارض** ﴾[١] .

فالمال غير مناف للزهادة ، فانّ حقيقة الزهد أن لا يملكك المال لا أن لا تملك الأموال قال تعالى : ﴿ **ولا تمدَّنَّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا** ﴾[٢] .

---

(١) القصص / ٧٧ .

(٢) طه / ١٣١ .

وقال رسول الله ﷺ : من أصبح وهمّه الدنيا شتت الله أمره ، وفرق عليه ضيعته ، وجعل فقره بين عينيه ولم يأته إلّا ماكتب له ، ومن أصبح وهمّه الآخرة جمع الله له همّه وحفظ عليه ضيعته ، وجعل غناه في قلبه ، وآتته الدنيا وهي راغمة. فليس معنى الزهد : ترك الدنيا تماماً على ما زعمه بعض الناس ، وانّما الزهد أن لا يجعل المرء الدنيا أكبر همّه .

فمن يزهد عن الدنيا ونفسه مايلة إليها ولكنّه يجاهدها فهذا متزهّد وليس بزاهد ، ولكن بداية الزهد التزهد ، وأنّ الزاهد لا ينفر عن الدنيا ولا يهملها بل يكون وجودها وعدمها عنده سواء ويكون عنده بمثابة الماء ، وخزائن الله تعالى كالبحر فلا يلتفت قلبه إليه رغبة ولا نفوراً ، فإذا توجه إليه يأخذ منه بقدر حاجته، ويجعل ما زاد عنه وسيلة نيله بنعمة الآخرة ، فاذا تزهّد الانسان عن الدنيا فهو زهد ، وإذا تزهّدت الدنيا عن الانسان فهو فقر ، إذاكان الانسان راغب فيها ، ولا يخفى أن الصبر والرضا على ما رزقه الله هما مبدأ الزهد .

فالزهد في الدنيا لا ينافي كثرة المال والخدم ونحوهما ، إذاكان محبّاً لها بقلبه وراغباً فيها وتشغله عن ذكر الله تعالى ، نعم لماكان جمع المال ونحوه بالنسبة إلى حال أكثر الناس لضعف نفوسهم يحرك الرغبة في الدنيا فزهدهم انّما يكون في تركه.

ولا يخفى ان الزهاد قد يختلفون في العلم والهمم بحسب ما يختلف منهم من الخواطر على حسب ما يختلف عندهم من دواعي العبر ، ومراتب التحقيق ، وبحسب تفاوت علمه بين الدنيا والآخرة تقوّي الرغبة في أحدهما عن الآخر .

فربما استوى عند الزاهد القش والعطر ، بل ربّما آثر التفل وذلك عندما يكون الهاجس بباله ، استحقار ما عدا الحق وربّما صغى إلى الزينة ، وأحب من كلّ شيء عقيلته ، وكره الخداج والسقط وذلك عندما يعتبر عادته من صحبته الاحوال الظاهرة ، فهو يرتاد إليها في كلّ شيء لأنّه مزية خطوة من العناية الاولى

وأقرب أن يكون من قبيل ما عكف عليه بهواه وقد يختلف هذا في الزاهدين، وقد يختلف في زاهد بحسب وقتين.

الثالث: الكلام في زهد الأنبياء وأئمة أهل البيت عليهم السلام:

في نهج البلاغة: قال مولانا أمير المؤمنين وإمام المتقين عليه السلام في خطبة: «ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كاف لك في الأسوة، ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها، وكثرة مخازيها ومساويها، إذ قبضت عنه أطرافها، ووطئت لغيره أكنافها، وفطم عن رضاعها، وزوي عن زخارفها وإن شئت ثنّيت بموسى كليم الله عليه السلام حيث يقول: ﴿رب أني لما أنزلت إليّ من خير فقير﴾[1].

والله ما سأله إلّا خبزاً يأكله، لانّه كان يأكل بقلة الأرض لقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذّب لحمه.

وإن شئت ثلثت بداود عليه السلام صاحب المزامير، وقارىء أهل الجنّة، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ويقول لجلسائه:

أيّكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها

وان شئت قلت في عيسى بن مريم عليه السلام، فلقد كان يتوسّد الحجر، ويلبس الخشن، ويأكل الجشب، وكان إدامه الجوع وسراجه بالليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الارض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم، ولم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذلّه، دابّته رجلاه، وخادمه يداه.

وجاء في شرح النهج أنّه ما شبع آل محمد عليهم السلام من لحم قط، أن فاطمة وبعلها وبنيها كانوا يأكلون خبز الشعير، وأنهم آثروا سائلاً بأربعة أقراص منه كانوا أعدوها لفطورهم، وباتوا جياعاً، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ملك قطعة واسعة من الدنيا فلم يتدنّس منها بقليل ولا كثير، ولقد كانت الابل التي غنمها

---

(١) القصص / ٢٤.

يوم حنين اكثر من عشرة آلاف بعير، فلم يأخذ منها وبرة لنفسه وفرقها كلّها على الناس، وهكذا كانت شيمته وسيرته في جميع أحواله إلى أن توفّي صلى الله عليه وآله.

وكان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام سيّد الزهاد، وبدل الابدال، وإليه تشدّ الرحال، وعنده تنقضي الاحلاس، ما شبع من طعام قط، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً».

قال قتيبة بن جابر: ما رأيت في الدنيا أزهد من علي بن أبي طالب عليه السلام.
وقال ابن عباس: دخلت عليه يوماً وهو يخصف نعله فقلت له: ما قيمة هذه النعل التي تخصفها؟ فقال عليه السلام: هي أحب إليّ من دنياكم وإمرتكم هذه، إلّا ان أقيم حقّاً أو ادفع باطلاً.

وقد جاء عن مولانا صادق آل محمد عليهم السلام أنّه قال: كان جدّي أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام يجلس جلسة العبد، ويأكل أكلة العبد، ويطعم الناس خبز البر واللحم، ويرجع إلى أهله فيأكل أكله خبز الشعير بالزيت أو الخل ـ رواه القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ١٠ اسلامبول) ـ.

وجاء عن رجل من ثقيف قال: استعملني علي بن أبي طالب عليه السلام على عكبرا ولم يكن السواد يسكنه المصلون، فقال لي بين أيديهم: استوف خراجهم منهم، فلا يجدوا فيك ضعفاً، ولا رخصة ـ ثم قال لي: رح إليّ عند الظهر، فرحنا إليه، فلم أجد عليه حاجباً يحجبني دونه، ووجدته جالساً وعنده قدح وكوز من ماءٍ فدعى بضبيه[1] فقلت في نفسي أمنني حين يخرج إلى جوهراً، فاذا عليها خاتم، فكسر الخاتم، فإذا فيها سويق، فصبه في القدح فشرب منه وسقاني، فلم أصبر، فقلت: يا أمير المؤمنين أتصنع هذا بالعراق! العراق أكثر من ذلك؟ فقال: انّما اشتري قدر ما يكفيني واكره أن يغنى فيضع فيه غيره، فانّي لم أختم عليه بخلا عليه وانّما حفظي لذاك وانا اكره أن أدخل بطني الا طيباً. ـ رواه ـ أبو نعيم في

(١) يعني جراباً صغيراً.

حلية الأولياء.

وفي كتاب الكامل لابن الأثير: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل منه، ويقول: لا أحب أن يدخل بطني الا ما أعلم.

وامّا بالنسبة إلى ملابسه عليه السلام فقد كان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة، وليف أخرى، ونعلاه من ليف، وكان يلبس الكرباس الغليظ، فاذا وجد كمّه طويلا قطعه بشفرة ولم يخطّه، فكان عليه السلام لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سدى لا لحمة له، وكان يأتدم إذا ائتدم بخلّ أو بملح، فان ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض، فان ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الابل، ولا يأكل اللحم إلّا قليلاً، ويقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان، وكان مع ذلك أشدّ الناس قوة وأعظمهم أيداً لا ينقص الجوع قوته، ولا يخون الاقلال منّته، وهو الذي طلق الدنيا، وكانت الاموال تجبى إليه من جميع بلاد الاسلام، إلّا من الشام، فكان يفرّقها ثم يقول:

هذا جناي وخياره فيه ... إذ كلّ جان يده إلى فيه

قيل: دخل ضرار بن ضمرة على معاوية الخبيث، فلمّا أن استقر به المجلس، قال له معاوية ـ لعنه الله تعالى ـ: صف لي أمير المؤمنين؟

فقلت: اعفني.

فقال: لابد أن تصفه؟

فقلت: أما إذالابدّ من ذلك، فاسمع مني ما أقول: فإنّه سلام الله عليه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكُم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمةُ من نواحيه، يستوحشُ من الدنيا وزهرتها، ويأنسُ بالليل ووحشته، غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن

والله ، مع تقريبه لنا ، وقربه منّا ، لا نكاد نكلّمه هيبةً له ، يعظّم أهل الدين ، ويقرّب المساكين ، لا يطمع القوي في ميله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه ، في ليلةٍ من الليالي ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغابت نجومه ، وهو يتململ في المحراب تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، مسيلاً للدموع على خده ، قابضاً على لحيته ، يخاطب دنياه فيقول : يا دنيا غُرّي غيري ، إليّ تعرضت ، أم إليّ تشوّقت ، هيهات هيهات لا حان حينك ، فقد ابنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك ، فعمُرك قصير ، وخطرك يسيرُ ، وعيشك حقير ، آه آه من قلّة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق .

ويقال انّ معاوية الخبيث قد بكى ، وقال : رحم الله أبا الحسن ، كان والله كذلك ثم قال : يا ضرار فكيف حزنك عليه ، فقلت : حزن من ذبح ولدها في حجرها ، فلا ترقأ عبرتها ، ولا يسكن حزنها .

الرابع : الكلام في خصال الزاهد : قال مولانا سجاد آل محمد عليهم السلام : الزاهد عندنا من علم فعمل ، ومن أيقن فحذر ، وإن امسى على عسر حمد الله ، وإن أصبح على يسر شكر الله فهو الزاهد .

وجاء في كتاب احقاق الحق: سأل ابن عائشة الامام الحسن بن علي عليهما السلام عن صفة الزاهد في الدنيا فقال : يتبلّغ بدون قوته ، ويستعد ليوم موته ، ويتبرء من حياته .

وقال امام المتقين عليه السلام في خصال الزهاد :

« كانوا من أهل الدنيا وليسوا من أهلها فكانوا فيها كمن ليس منها ، عملوا فيها بما يبصرون ، وبادروا فيها ما يحذرون ، تقلّب أبدانهم بين ظهراني أهل الاخرة ، ويرون أهل الدنيا ، يعظّمون موت أجسادهم ، وهم أشدّ إعظاماً لموت قلوب أحيائهم » .

الخامس : الكلام في خصال الزاهد ايضاً يكمن في بحث علمي أخلاقي : قال

العلماء فيما نقلوه عن أئمة أهل البيت عليهم السلام : انّ من شرائط الايمان ، وخصال المؤمن: الزهد في الدنيا ومتاعها ، والرغبة في الآخرة ونعيمها ، ورضوان الله اكبر من ذلك .

وفي القران الكريم آيات كريمة تدل على إنّ الله تعالى قد رغّب عباده في الزهد : منها قوله تعالى : ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وأبقى** ﴾[١] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ **وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون** ﴾[٢] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ **وما أوتيم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون** ﴾[٣] .

ومن البديهي انّ الانسان مطبوع على أن لا يترك النفع الحاضر العاجل ، ولا يزهد فيه ، ولا يطلب الآجل ، ولا يرغب فيه ، إلّا بعد ما تبيّن له فضل الآجل على العاجل .

وإنّ الزهاد انّما زهدوا في الدنيا ، ولم ينهمكوا في عاجل شهواتها ، ورغبوا في الآخرة ، وطلبوا آجل نعيمها لمّا تبيّن لهم حقيقة الاخرة ، وعرفوا فضل نعيمها وشاهدوها ببصيرتهم بالتفكّر في الدنيا ومتاعها من العيوب والفناء ، وفي الاخرة من الكمال والبقاء ، فقاسوا بينهما فعلموا مالهما فرضوا بالقليل ، والقناعة باليسير ممّا لابد لهم في الحياة الدنيا ، فزهدوا فيها ورغبوا في الآخرة .

كما شاهد أهل الدنيا أمورها بأبصارهم من غير تفكّر في تبعاتها وتدبّر في عواقبها ، وتعقّل في مال أمرها ، فانهمكوا فيها ، فرضوا بها وزهدوا في الاخرة .

وتتبع خصلة الزهد خصال كثيرة من محاسن الاخلاق ، وفضائل الاعمال ، وجميل الافعال من الحكمة والفطنة واستنارة القلب والسداد في أمر الدين

---

(١) الاعلى ١٦ ـ ١٧ .
(٢) الانعام / ٣٢.
(٣) القصص / ٦٠.

والسخاء والوقار والادب وقلّة الضحك ، وذكر الموت والرغبة في العبادة ، والاخلاص فيها وقلّة الاكل ، والورع عن محارم الله تعالى ، والتقى والأمانة والمروءة والكرم والمواساة والاحسان والعفة والحياء والصفح والعفو والتغافل عن بعض ما ليس ضاراً ، والعدل والتواضع والتسليم للقضاء والصبر في الشدائد ، والبلوى والتوكل على الله تعالى والطمأنينة إليه ، والدعاء والصدق بالقول والتصديق في الضمير والنصح للاخوان، والوفاء بالعهد، والمسارعة في وجوه البر.

وضد الزهد هو الرغبة في الدنيا والحرص في طلب شهواتها ، وهي خصلة تتبعها رديئة الاخلاق وسيئة الاعمال ، وقبيح الافعال من الحمق والوساوس والاضطراب في أمر الدين ، وقسوة القلب ، والبخل وسوء الأدب ، ومزرعة ابليس ، وركوب المعاصي ، واحتقار الفقراء ، والانهماك في الشهوات ، ونسيان الموت ، والرياء في الاعمال ، والكبر وبالجملة طلاقة العنان والحرية في الشهوات .

السادس : الكلام في نقل غرر حكم ودرر كلم في الزهد : اعلم وفقك الله تعالى إلى جادة الصواب أنّ ما جاء عن أئمة اهل البيت عليهم السلام وعن جدّهم الاكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله من غررٍ ودرر الكلام في الزهد كثير ، ولا يمكننا أن ندوّن كلّ ما قالوه في ذلك ، ولكن نشير إلى كلمات قصار منها بما يسعنا المقام ، ليتسنى لنا حفظها والعمل بها ، وإليكها فيما يلي :

١ ـ قال مولانا أمير المؤمنين وإمام المتقين عليه السلام : الزهد أن لا تطلب المفقود حتى تعدم الموجود .

٢ ـ وعنه عليه السلام : أصل الزهد حسن الرغبة فيما عند الله تعالى .

٣ ـ وعنه عليه السلام : أنّه قال : أصل الزهد اليقين ، وثمرته السعادة .

٤ ـ وعنه عليه السلام : أوّل الزهد التزهد .

٥ ـ وعنه عليه السلام : أنّ الزاهدين في الدنيا لتبكي قلوبهم ، وإنْ ضحكوا ، ويشتد حزنهم وانْ فرحوا ، ويكثر مقتهم أنفسهم ، وانْ اغتبطوا بما أوتوا .

٦ ـ وعنه عليه السلام انّه قال : الزهد سجيّة المخلصين .

٧ ـ وعنه عليه السلام : انّه قال : الزهد مفتاح صلاح .

٨ ـ وعنه عليه السلام : انّه قال : الزهد ثمن الجنّة في الدنيا .

٩ ـ وعنه عليه السلام : انّه قال : رأس النجاة الزهد في الدنيا .

١٠ ـ وعنه عليه السلام : انّه قال : من زهد في الدنيا اعتق نفسه وأرضى ربه .

١١ ـ وعنه عليه السلام : انّه قال : انّ الزهد في ولاية الظالم بقدر الرغبة في ولاية العادل .

١٢ ـ وعنه عليه السلام : انّه قال : انّما العالم من دعاه علمه إلى الورع والتقى ، والزهد في عالم الفناء والتولّه بجنّة المأوى.

هذه بعض الأخبار المعصوميّة الشريفة التي ترشدنا إلى ما يجب علينا من الزهادة في هذه الدنيا الدنيّة .

وان شئت قلت انّه ينبغي لشيعة آل محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام بالاضافة إلى اقتدائهم بأئمة أهل البيت عليهم السلام في الزهد أن ينظر كلّ فرقة منهم في كل عصر ومصر إلى فقهاء وعلماء عصورهم الذين زهدوا في الدنيا ، لكي يتخذوهم قدوة في الزهد في الدنيا ، والتقوى والورع والاعمال الصالحة التي تقربهم إلى الله تعالى .

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام «ألا وانّ لكلّ مأموم اماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه » فكما أنّ سلمان المحمدي الصحابي الجليل كان ينظر إلى زهد أمير المؤمنين عليه السلام مع شاهد العيان فاقتدى به ، فكذلك ينبغي لمن لم يكن في عصر أمير المؤمنين عليه السلام ولا في عصر غيره من أئمة اهل البيت عليهم السلام أن ينظر إلى فقيه عصره الذي يمثل خط أهل البيت عليهم السلام في الزهد والتقوى ، فيتخذه قدوة مع شاهد العيان ، وعندنا في هذا العصر من العظماء الاعلام وأئمة الدين الكرام ممن يقتدى بهم في ذلك لاسيما علم الأعلام ، وإمام الفقهاء العظام ، وحجّة الله على

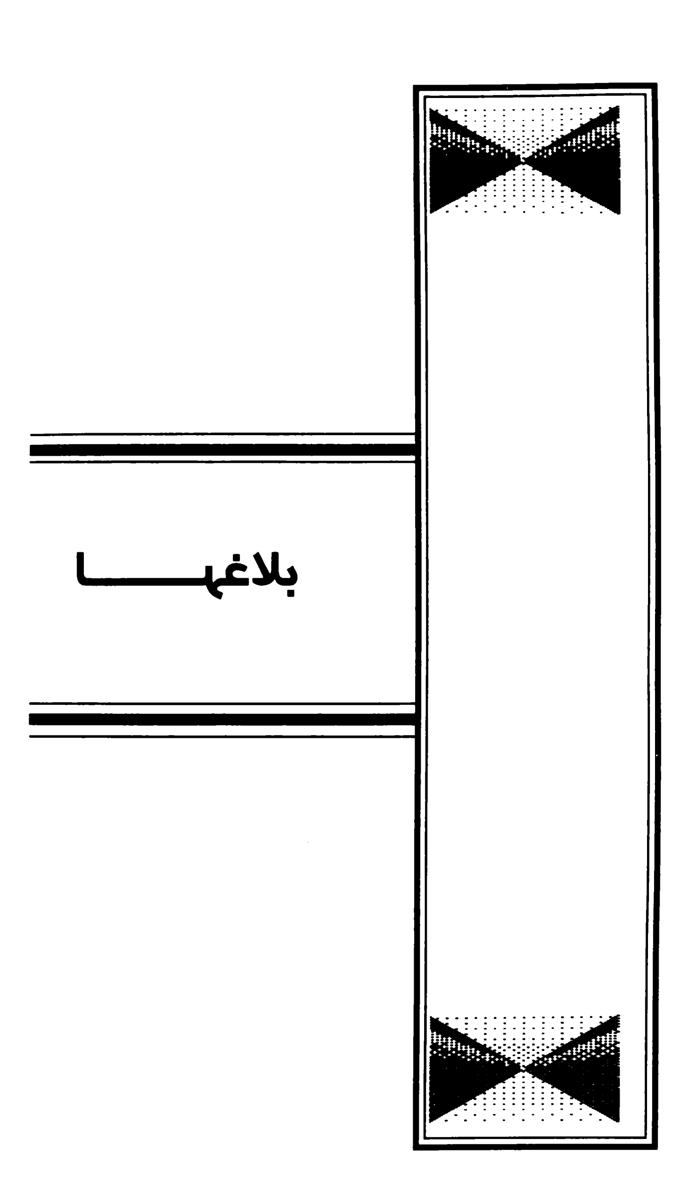
الخاص والعام مولانا الأعظم، وولي الله الاكرم، الناصح لدين الله ابن رسول الله آية الله العظمى السيّد روح الله الموسوي الخميني ﷺ، وكذلك مولانا المقدس آية الله الحاج السيّد عبد الحسين دستَغيب شهيد المحراب قدس الله نفسه الزكية فانّه قد ضرب المثل الاعلى في الزهد والتقوى والورع، تشرفت[1] بزيارته في شيراز بصاحبة حجة الاسلام الحاج الشيخ محمود دانش في اثناء طريقي لزيارة مولانا الامام الرضا عليه السلام حيث توقفنا في شيراز لزيارة مولانا السيّد أحمد بن موسى عليه السلام الملقب (شاهچراغ)، أخي الامام الرضا عليه السلام، ولقد كانت لي معرفة بالشيخ المذكور عندما كنّا جميعاً في كربلاء المقدسة في زمن الدراسة والتحصيل رأيت الشيخ يمشي في الشارع المعروف بخيابان زند، حيث تم الأنس به ودعانا في داره، وقد عرض علي دعوته بإنّه ان كان عندي رغبة لزيارة العلماء فأجبته وذهبت معه لزيارة سيدنا المقدّس المذكور فرأيته في غاية العظمة وعليه آثار الزهد والتقوى والورع وتشرّفت بتقبيل يده الشريفة وما علمتُ أنّ أحداً من علمائنا الاعلام وفقهائنا العظام يشبه الامام الخميني ﷺ مثل هذا السيد العظيم اسأل الله تعالى ان يحشره مع الامام في زمرة آل محمد عليهم السلام في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر.

قال تعالى ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً ﴾[2].

نسأل الله تعالى ان يجعلنا منهم، وفي زمرتهم في الدنيا والآخرة.

(١) وذلك قبل الثورة الاسلامية المباركة في العهد البائد، نسأل الله تعالى التوفيق لزيارة مولانا الامام الرضا عليه السلام في عهد النور عهد الاسلام في الجمهورية الاسلامية المباركة انه القادر على ذلك.

(٢) الاحزاب / ٣.



بلاغهـــــــا

لقد تحدّثنا لقارئنا العزيز فيما تقدّم عن الزهادة في الدنيا ، واعـلمناه مـن خلال حديثنا المتقدّم أنّه لا ينبغي للإنسان الركون إلى البطالة والكسل والكـف عن السعي والعمل بحجة الزهد في الدنيا ، إذ ليس الغرض مـن الزهـد فـيها إلّا تعديل النفوس ووضعها في حد الوسط ، كما بيّن ذلك العلماء فيما نقلوه عن ائمة أهل البيت عليهم السلام .

وتجدر الاشارة هنا إلى أمر مهم جداً وهو أنّه قد جاء في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : الدنيا دنيتان ، دنيا بلاغ ، ودنيا مذمومة ملعونة .

وعلى هذا يكون كلّ ما أوردنا لقارئنا العزيز فيما تقدّم من الآيات القرآنيّة ، والأحاديث المعصوميّة ، وأقوال الحكماء والعارفين المُشعرة بذم الدنيا ، إنّما هـو راجع في الحقيقة من جهة توجه الانسان إليها ، وانشداد قلبه بها لا من جهة نوعها وكثرتها .

قال الامام قدس سره في كتابه الأربعون صفحة ١٢٠ في تعريف الدنيا : « يقول الفقير إلى الله : إنّ الدنيا مرّة تطلق على نشأة الوجود النازلة والتي هي دار تصرّم وتغيّر ومجاز ، والآخرة تطلق على الرجوع من هذه النشأة إلى ملكوت الإنسان وباطنه والتي هي دار بقاء وخلود وقرار ، وهاتان النشأتان متحققتان لكلِّ نفس من النفوس ، وشخص من الأشخاص ، وعلى العموم ، لكل كائن مـقام ظـهور وملك وشهود ، وتلك هي مرتبته النازلة الدنيوية ومقام باطني ، وملكوت غيبي ، وهي النشأة الصاعدة الأخرويّة ، وهذه النشأة النازلة الدنيويّة ومقام بـاطني ، وملكوت غيبـي ، وهي النشأة الصاعدة الاخرويّة ، وهذه النشأة النازلة الدنيويّة

وانّ كانت ناقصة بذاتها وإنّها آخر مراتب الوجود ، ولكن لما كانت مهد تـربية النفوس القدسية ، ودار تحصيل المقامات العالية ، ومزرعة الآخرة ، فـإنّها مـن أحسن مشاهد الوجود وأعز النشآت ، وهي المغنم الأفضل عند الأولياء وأهل سلوك الآخرة . ولولا هذه الأمور المكّية والتـغييرات والحـركات الجـوهرية ، الطبيعية والإرادية ، ولولا أن يسـلط الله تـعالى عـلى هـذه النشأة التـبدّلات والتصرّمات ، لما وصل أحد من ذوي النفوس الناقصة إلى حد كماله الموعود ودار قراره وثباته ، ولحصل النقض الكلي في الملك والملكوت .

إنّ ما ورد في القرآن والأحاديث عن ذم هذه الدنيا ، لا يكون عائداً في الحقيقة إلى الدنيا من حيث نوعها أو كثرتها ، بل يعود إلى التوجه نحوها وانشداد القلب بها ومحبتها .

وعليه يتبيّن من ذلك ، أنّ أمام الإنسان دنياءان : دنيا ممدوحة ، ودنـيا مذمومة ، فـالممدوح هـو الحـصول في هـذه النشأة ، وهـي دار التربـية ، ودار التحصيل ، ومحل التجارة لنيل المقامات واكتساب الكمالات والإعداد لحياة أبدية سعيدة مما لا يمكن الحصول عليه دون الدخول إلى هذه الدنيا كما جاء في خطبةٍ لمولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام ردّاً على من ذم الدنيا :

« إنّ الدنيا دارُ صِدْقٍ لمنْ صدَقَها ، وَدَارُ عافيةٍ لمنْ فهم عَنْهَا ، ودارُ غِنىً لمنْ تَزَوَّدَ منها ، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتّعَظ بها ، مَسْجِدُ أَحَباءِ اللهِ ، ومُصَلّى مَلائِكَة اللهِ ، وَمهبطُ وَحْيِ اللهِ ، وَمتْجَرُ أوْلِيَاءِ اللهِ ، اكْتَسَبُوا فِيهَا الرحْمَةَ ، وَرَبَحُوا فيها الجَنّة .

وقال الله تعالى : ﴿ ولَنِعْمَ دارُ المُتّقِينَ ﴾[1] وهي دار الدنيا حسب ما ورد في تفسير العيّاشي عن الإمام الباقر عليه السلام . وعليه ، فإنّ عالم الملك ، وهو مـظهر الجمال والجلال ، وحضرة الشهادة المطلقة ، ليس مذموماً بهذا المعنى ، بل المذموم هو دنيا الإنسان نفسه ، أي التوجّه إليها والتعلّق بها وحبها ـ ثم قال طـيّب الله

(١) النحل / ٣٠.

تربته بعد كلام تركناه خشية الاطالة : « فتعلّق القلب بالدنيا وحبّها ، هو الدنيا المذمومة ، وكلّما كان التعلّق بها أشدّ ، كان الحجاب بين الإنسان ودار الكرامة ، والحاجز بين القلب والحق سبحانه ، أسمك وأغلظ . وإنّ ما جاء في الاحـاديث الشريفة من أنّ لله سبعين ألف حجاب من النور والظلمة ، يمكن أن يكون المقصود من حجب الظلمة هذه الميول والتعلّقات القلبية نحو الدنيا . فكما كان التعلّق بالدنيا أقوى ، كان عدد الحُجب اكثر ، وكلّما كان الحبّ لها اشد ، كانت الحجب أغـلظ واختراقها أصعب » .

ليس بعد كلام الامام تيُّئ كلام لإنّه قد أوضح لنا ما فيه غاية المرام ، إذ انّه ولي الله ، العارف بحقيقة ما قاله أئمة اهل البيت عليهم‌السلام ، فهو المفسّر القدير لحديثهم، غير أنّه لا مانع من متابعة الحديث في معرفة حقيقة دنيا البلاغ ايضاً بما نـلخصه لقارئنا العزيز في أمور نعرضها فيما يلي :

الأمر الاول : الكلام في حقيقتها : اعلم وفقك الله الى جادة الصواب . أنّ حقيقة دنيا البلاغ ، هو ان تطلب الدنيا من أجل الآخرة فتكون في الحقيقة طلبت الاخرة ، فانك أن طلبتها وأحببتها من أجل أن تعود بها على نفسك وعيالك وان تفعل الخيرات من واجبات ومستحبات ، فانّك ما طـلبتها ومـا احـببتها ، بـل الآخرة طلبت واحببت .

ويؤكد ذلك ما جاء في الخبر انّ رجلاً قال لصادق آل محمد عليهم‌السلام يـابن رسول الله : والله انا لنطلب الدنيا ونحب ان نؤتاها . فقال عليه‌السلام : تحب أن تصنع بها ماذا ؟ قال : أعوذ بها على نفسي وعيالي وأصل بها وأتصدق بها وأحج وأعتمر . فقال عليه‌السلام : ليس هذا طلب الدنيا بل هو طلب الآخرة .

وكذلك ما جاء في خبر ثاني عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله انّه قال : احبب اليّ من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وقرة عيني الصلاة ، اشارة منه صلى‌الله‌عليه‌وآله إلى انّ هذه الأمور الثلاث ليست من أقسام الدنيا المذمومة وان اطلق عليها لفظ الدنيا بل أنّ ذلك

من أقسام الدنيا الممدوحة التي هي العون على الآخرة ، على إنّ الاسلام العظيم الذي لم يغفل جانباً من جوانب الحياة ، ولم يغمط الحقائق الفطرية المؤثرة في سعادة البشر حقها ، ليوصي المسلمين بالاستجابة للغريزة الجنسية وممارسة ميولهم الغريزية حسب منهج سليم ، ولذلك فإنّه يعتبر الامتناع عن الزواج عملاً غير مرغوب فيه . ويرى أنّ العزاب يشكلون خطراً مهماً على سلامة المجتمع ، فالرسول الاعظم ﷺ يقول : (شرار أمتي عزابها) ومن خلال سيرة النبي ﷺ تجاه العازفين عن الزواج في المدينة تدرك مدى اهتمام الاسلام بهذه الناحية . فقد كان هناك رجل يسمى (عكاف) قد أعرض عن الزواج . وقد حضر مجلس الرسول ﷺ مرة فسأله النبي ﷺ عن إمكانياته وظروفه المالية والبدنية ، فأجاب بالايجاب ، فقال له النبي ﷺ حينذاك بكل صراحة : « تزوّج وإلّا فأنت من المذنبين » .

وما جاء ايضاً في حديث آخر عنه ﷺ أنّه قال : « النكاح سنّتي فمن رغب عن سنّتي فليس منّي » إشارة إلى انّ الترهّب والاعراض عن الدنيا الممدوحة التي من جملة أقسام لذاتها النكاح المشروع من اجل التكاثر والتناسل ، انّ الترهّب في ذلك وتركه ليس في نظر الاسلام يُعد سيئة فحسب ، بل يعتبر اعراضاً عن طريق الفطرة المستقيمة ، وانحرافاً عن سنّة الرسول الأعظم ﷺ .

الأمر الثاني : الكلام في انّ الأسلام لم يهمل الجانب المادي في حياة الانسان أيضاً :

ويتلخّص في انّ حفظ التوازن بين الروح والجسد هو من أهم عوامل النجاح والسعادة ، وانّ أئمة الإسلام عليهم السلام كانوا إذا لاحظوا إفراطاً أو تفريطاً في سلوك أصحابهم في جانب مادي أو معنوي ، اهتموا بتعديل ذلك الانحراف وتسوية ذلك الخطأ .

لقد كان في البصرة أخوان ، أحدهما : علاء بن زياد الحارثي . والآخر

عاصم . وكانا كلاهما من المخلصين لعلي عليه السلام وكانا مختلفين في السلوك فعلاء مفرط في حبّه للدنيا وجمعه للمال أمّا عاصم فكان على العكس منه مدبراً ظهره للدنيا ، صارفاً جلّ وقته في العبادة ، وتحصيل الكمالات الروحية ، وفي الواقع كانا كلاهما قد تجاوزا الطريق المستقيم ، وانحرفا عن الصراط السوي .

وذات يوم مرض (علاء) فذهب علي عليه السلام لعيادته ، وما أن استقر به الجلوس حتى التفت الامام عليه السلام إلى سعة عيشه وافراطه في سعيه وراء المادة ، فخاطبه قائلاً : وماذا تصنع يا علاء بهذه السعة المفرطة من العيش ؟ إنّك إلى تحصيل وسائل سعادتك المعنوية أحوج ، فاسعُ في ذلك الجانب ايضاً ، ثم قال عليه السلام : اللهم إلّا ان تكون عملت ذلك كلّه لتمهيد طريق السعادة المعنوية ، لتتمكن من استقبال أكبر عدد ممكن من الضيوف في بيتك وتستطيع من صلة أرحامك ، وأداء حقوق أخوانك باكمل وجه .

لقد أثر هذا الدرس البليغ ـ بأسلوبه الهادىء المتين ـ في (علاء) كثيراً ، وجاشت به العواطف للشكوى من تفريط أخيه فقال : أشكو إليك عاصم بن زياد. قال : وماله ؟ قال : لبس العباء ، وتخلّى من الدنيا ! قال : عليّ به وبعد أن أحضر بين يدي الامام عليه السلام وبخه قائلاً : « يا عديّ نفسه لقد استهام بك الخبيث ، أما رحمت أهلك وولدك أترى انّ الله عزّ وجلّ أحلّ لك الطيّبات ، وهو يكره أن تأخذها ؟ انت أهون على الله تعالى من ذلك . من خلال سرد هذه الحادثة التاريخية ، يتضح لك مدى استقامة المنهج الإسلامي الذي نطق به الامام أمير المؤمنين عليه السلام وهو يعبّر عن نظرة النبي صلى الله عليه وآله وحكم الله عزّ وجلّ . لكن بقيت في نفس عاصم بن زياد مشكلة لم يجد لها حلاً ، وهي كيفية التوفيق بين كلام الامام عليه السلام وعمله حيث قد زهد الامام عليه السلام في الدنيا وترك الملاذ ، فجاشت عواطفه وما اسرع ان قال :

... يا أمير المؤمنين : هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك ؟

قال عليه السلام : إني لست كأنت ... ان الله تعالى فرض على أئمة الحق أن يقدّرُوا أنفسهم بضعفة الناس ، كي لا يتبيغ بالفقير فقره .

الأمر الثالث : الكلام فيما تواتر من الأخبار الدالة على طلب دنيا البلاغ : وفيه انّه برغم ما جاء من الأخبار الكثيرة التي مر ذكرها عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في ذم الدنيا فانّه جاء أيضاً عنهم عليهم السلام أخبار كثيرة تحث الانسان على طلب دنيا البلاغ ، نستعرض منها ثلاث طوائف بحسب التسلسل المرقم فيما يلي :

الطائفة الاولى : الاخبار التي تدعو الانسان لبذل جهده وتحصيل قوته من السعي في الدنيا نذكر منها ما يلي :

الحديث الاول : عن مولانا باقر العلوم عليه السلام انّه قال : من طلب الرزق في الدنيا استعفافاً عن الناس ، وسعياً على أهله ، وتعطفاً على جاره ، لقي الله عزّ وجلّ ووجهه مثل القمر ليلة البدر .

الحديث الثاني : عن مولانا صادق آل محمد عليهم السلام انّه قال : الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله .

الحديث الثالث : عنه عليه السلام أنّه قال في رجل قال : لأقعدن في بيتي ، ولأصلينّ ولاصومنّ ولأعبدن ربي ، فأما رزقي فسيأتي من الله . قال : هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم .

الحديث الرابع : قال عليه السلام انّ الله ليحبّ الاغتراب في طلب الرزق .

الحديث الخامس : عن مولانا الاكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله انّه قال : طلب الحلال فريضة عل كل مسلم ومسلمة .

الحديث السادس : « من اكل من كدِّ يده ، كان يوم القيامة في عداد الأنبيا.
ـ الرسول الأعظم ـ صلى الله عليه وآله .

الحديث السابع : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله : « أيّ كسب الرجل أطيب ؟

فقال صلى الله عليه وآله : عمل الرجل بيده .

الحديث الثامن : عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من اشترى لعياله لحماً بدرهم ، كان كمن أعتق نسمة من ولد إسماعيل عليه السلام .

الحديث التاسع : عن عبد الله بن عباس : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا نظر إلى الرجل فأعجبه ، قال : هل له حرفة ؟ فان قالوا : لا ، قال صلى الله عليه وآله : سقط من عيني .

كما انّه جاء في الاسلوب الذي كان يعيشه الامام أمير المؤمنين عليه السلام « كان لما يفرغ من الجهاد يتفرّغ لتعليم الناس والقضاء بينهم ، فاذا فرغ من ذلك اشتغل في حائط له يعمل بيده وهو مع ذلك ذاكرٌ لله تعالى .

الطائفة الثانية : الاخبار التي وردت بشأن استغلال القوى الطبيعية والاستفادة منها ، نذكر منها ما يلي :

الحديث الاول : ان قامت الساعة ، وفي يد أحدكم الفسيلة ، فان استطاع ان لا تقوم الساعة حتى يغرسها فليغرسها .

قال بعض الاكابر : يستفاد من هذا الحديث الشريف اهتمام الإسلام بتشغيل القوى العاملة لاستغلال كنوز الأرض ، والاستفادة من خيراتها ، وعدم التماهل بشأنها حتى انّه ليحثّ الانسان على ان يبادر إلى غرس الفسيلة ـ أو أي جهد انتاجي آخر ـ وان علم بأن القيامة ستقوم بعد لحظات .

الحديث الثاني : قال مولانا امير المؤمنين عليه السلام : « من وجد ماء وتراباً ثم افتقر أبعده الله ».

الحديث الثالث : قال مولانا الامام أمير المؤمنين عليه السلام : « نعم المال النخل ، من باعها فلم يخلف مكانها فانّ ثمنها بمنزلة رماد على رأس شاهقة ، اشتدت به الريح في يوم عاصف » .

لا يخفى أنّ ذكر النخل ليس محصوراً فيه ، وانّما عبّر به الامام لأنّ النخيل اكثر انتشاراً من غيرها من الاشجار في الجزيرة العربية ، فتراه ينهى عن بيع

النخل من دون أن يكون قد زرع نخلاً في مكان آخر يستفيد منها في المستقبل .

الحديث الرابع : عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله انّه قال : « ما من مسلم يغرس غرساً ، أو يزرع زرعاً فيأكل منه انسان أو طير ، أو بهيمة إلّا كانت له به صدقة » .

فتجد الرسول صلى الله عليه وآله في هذا الحديث يرغّب على الغرس والزرع بينما تجد أمير المؤمنين عليه السلام في الحديث الثاني المتقدّم ذكره يندّد بالذي يملك المواد الاولية للزراعة وهي الماء والتربة . وتتوفّر له الظروف الصالحة فلا يستغلها ويبقى فقيراً ، فانّه يستحق غضب الله ولعنته . وهكذا نجد الاسلام يهتم بأمر العمل والانتاج ، وتشغيل دولب الاقتصاد الوطني الى درجة لا تسمح بالتكاسل والتواني حتى في أحرج الظروف وأنفس الاوقات ، فنجد الامام الصادق عليه السلام يقول لهشام : يا هشام ان رأيت الصفين قد التقيا ، فلا تدع طلب الرزق في ذلك اليوم .

وجاء في الحديث : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام : كان يحتطب ، ويسقي ، ويكنس . وكانت فاطمة عليها سلام الله : تطحن وتعجن وتخبز .

الطائفة الثالثة : الاخبار الدالّة على ارضاء الميول الغريزية نذكر منها ما يلي :

الحديث الأوّل : جاء عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله انّه قال : « أفضل نساء أمتي أصبحهنّ وجهاً واقلهنّ مهراً » .

الحديث الثاني : وعنه صلى الله عليه وآله : « أربع من سعادة المرء الخلفاء الصالحون ، والولد البار ، والمرأة المواتية ، وأن تكون معيشته في بلده » .

الحديث الثالث : عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : « إن من سعادة المرء المسلم أن يشبهه ولده ، والمرأة الجميلة ذات دين ، والمركب الهني ، والمسكن الواسع .

الحديث الرابع : عن مولانا صادق آل محمد عليهم السلام : « ثلاثة هي من السعادة : الزوجة المواتية ، والولد البار ، والرزق يرزق معيشته ، يغدو على

صلاحها، ويروح على عياله».

الحديث الخامس: جاء في بعض أقوالهم عليهم السلام: «من سعادة المرء دابة يركبها في حوائجه، ويقضي حوائج اخوانه».

الحديث السادس: عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله: «من سعادة المرء: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والمركب البهي، والولد الصالح».

وهكذا يتبيّن لنا أنّ الاسلام يعتبر ارضاء الميول الغريزية للبشر أمراً محبّذاً، ويهتم بذلك على أنّه من فروع السعادة البشرية، أمّا أن يعتبرها اصلاً في ذلك فلا! إذ أنّ الذي يغرق في الملاذ المادية ويحصر نفسه في سجن الشهوة والغرائز فقط يكون قد حاد عن الفطرة الانسانية السليمة التي تأبى هذا النوع من الحياة حياة البهائم، حياة الميوعة.

ومن هنا تأتي الكلمة القاطعة الصريحة للنبي صلى الله عليه وآله: «من لم يرَ لله عزّ وجلّ عليه نعمةً إلّا في مطعمٍ أو مشربٍ أو ملبسٍ، فقد قصر عمله ودنى عذابه.

فالسعادة الحقّة للبشر ـ في نظر الاسلام هي في اكتمال جميع الجوانب المادية والمعنوية وارضاء كل الميول الانسانية المشروعة وهكذا فمن يتخلّى عن ميوله المادية بحجة الالتفات إلى الجهات المعنوية فهو مخطىء في نظر الاسلام، وكذلك من يتخلى عن كمالاته الروحية سعياً وراء ارواء ظمأ شهواته وغرائزه، يقول الامام الباقر عليه السلام: «ليس منا من ترك دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه».

ويقول: صادق آل محمد عليهم السلام: من تساوى يوماه فهو مغبون. ويقول: مولانا الامام الحسن الزكي عليه السلام: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً.

وفي حديث آخر عنه عليه السلام: لا تكسلوا في طلب معايشكم، فانّ آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها.

وكان مولانا الحسن بن علي العسكري عليه السلام: يعمل في أرض استنقعت

قدماه في العرق . فقيل له : يا بن رسول الله : اين الرجال ؟ فقال عليه السلام قد عمل باليد من هو خير مني في ارضه ومن أبي ، فقيل له ومن هو ؟ فقال عليه السلام : جدّي رسول الله وجدّي أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما وكذلك آبائي كلّهم كانوا قد عملوا بأيديهم ، وهو من عمل النبيّين والمرسلين ، والاوصياء الصالحين .

الامر الرابع : انّ طلب دنيا البلاغ ، معناه الاستجابة إلى العقل بدل الغريزة : ولا شك أنّ الشارع المقدّس يأمرك بالاستجابة الى العقل . قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في حديث شريف : « كفاك من عقلك ما أوضح لك سبيل غيّك من رشدك » .

أي أنّه يكفي في قيمة العقل وعظمته ، أنّه يميّز للانسان طريق الضلال والشقاء عن طريق النجاة والسعادة .

إذاً طلب دنيا البلاغ هو في الحقيقة طلب السعادة والنجاة الذي يفوز به الانسان ، لأنّه طلب معقول بصرف النظر عن كونه مأمور به شرعاً ، فيكون طلبه استجابة الى العقل بدل الغريزة .

ومن المعلوم في عالم الحيوانات أنّ المرشد لها إلى طريق سعادتها وكمالها هو الغريزة ، بينما يكون المرشد للانسان هو العقل ، ولا يخفى أنّ الأمر من الشارع المقدّس لنا بطلب دنيا البلاغ ، معناه الاستجابة إلى عقولنا .

جاء في الحديث : عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : « لكلِّ شيء مطيّة ، ومطيّة المرء العقل » . والمراد من المطيّة : هو المركب الذي يصل به الراكب إلى أهدافه ، فالحيوانات تطوي طريق سعادتها بمركب القدرة الغريزية وتصل إلى غايتها أي كمالها اللائق بها ، أمّا الانسان فانّه يطوي طريق سعادته بواسطة مركب العقل .

وفي حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وآله انّه قال : « قوام المرء عقله » . انّ نظام حياة الانسان قائم على العقل ، ونظام الحيوانات قائماً على الغرائز .

ولهذا قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : « فَمَا خُلقتُ لِيَشْغُلَنِي أَكْلُ الطيبَاتِ

كَالبهيمَةِ المرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلفُهَا ، أو المُرسلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمها ، تَكْتَرِشُ مِنْ أعْـلاَفِهَا وَتَلْهُو عَمَّا يُرادُ بِهَا . أوْ اتْركَ سُدىً أَوْ أهمل عَابثاً ، أوْ أجُرَّ حَبْلَ الضَّـلالَةِ ، أَوْ أعتسِفَ طَرِيقَ المَتَاهةِ وكأَنِّي بقَائِلكُمْ يقُولُ إذا كانَ هذا قُوتَ ابْنِ أبي طالبٍ فَقَدْ قعَدَ به الضعْفُ عَنْ قِتَالِ الأقرانِ ومـنازلَةِ الشـجْعَان . ألاَ وإنَّ الشـجَرةَ البرِيـةَ أصلَبُ عُوداً ، والروائِعَ الخضِرَة أرَق جُلوداً ، والنباتَاتِ البَدَويَّةَ أَقوَى وُقُوداً ، وأبْطَأُ خُموداً » .

الأمر الخامس : انّه قد جاء عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بعض الكـلام المشعر بعدم ذم الدنيا الممدوحة المسماة بدنيا البلاغ وقد ذكرنا لك فيما تقدم بعض كلامه عليه السلام فيما نقلناه لك من كتاب الأربعون لمولانا الامام قدس سره .

وهنا نشير إلى بعض ما ذكرناه لك هناك بصورة موسعة بالاضافة إلى نقل بعض من كلام بعض العلماء نعرضه فيما يلي :

الكلام الاول : جاء عنه عليه السلام ردّاً على من ذم الدنيا :

أيّها الذام للدنيا ، أنت المتجرّم عليها ، أم هي المتجرِّمة عليك ، فقال قائل من الحاضرين ، بل أنا المتجرِّم عليها يا أمير المؤمنين . فقال له : فـلم ذممـتها ؟ أليست دار صدق لمن صدّقها ، ودار غنىً لمن تزوَّد منها ، ودار عافية لمن فـهم عنها ؟ مسجد أحبّائه ، ومصلّى أنبيائه ، ومهبط ملائكته ، ومتجر أوليائه ، اكتسوا فيها الطاعة ، وربحوا فيها الجنّة ؟ وقد آذنت بانتهائها ، ونادت بانقضائها وأنذرت ببلائها ، فان راحت بفجيعة فقد غدت بمبتغى ، وإن أعصرت بمكروه فقد أسفرت بمشتهى ذمّها رجال يوم الندامة ،.ومدحها آخرون ، حدثتهم فصدقوا وذكرتهم فتذكّروا . فيا أيّها الذام لها ، المغتر بغرورها متى غرّتك ؟ أم متى استذمّت إليك ، أبمصارع آبائك من البلى ؟ أم بمضاجع أُمّهاتك تحت الثرى ؟ كم عللت بـيديك ومرضت ؟ وأذاقتك شهداً وصبراً ؟ فان ذممتها لصبرها ، فامدحها لشهدها ، وإلّا فاطرحها لا مدح ولا ذم ، فقد مثّلت لك نفسك حين ما يغني عنك بكاؤك ، ولا

يرحمك أحبّاؤك .

الكلام الثاني : قال عليه السلام : سلوا ربّكم العافية في الدنيا والآخرة ـ الى ان قال عليه السلام : واجتهدوا أن يكون زمانكم أربع ساعات ساعة لله تعالى لمناجاته ، وساعة لأمر المعاش ، وساعة لمعاشرة الإخوان الثقات ، والذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن ، وساعة تخلون فيها للذّاتكم ، وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث الساعات المذكورة ، لا تحدثوا أنفسكم بالفقر ، ولا بطول العمر ، فانّه من حدث نفسه بالفقر بخل ، ومن حدّثها بطول العمر حرص ، اجعلوا لأنفسكم حظّاً من الدنيا بإعطائها ما تشتهي من الحلال ، وما لم يثلم المروءة ولا سرف فيه ، واستعينوا بذلك على أمور الدنيا فإنّه قلنا « ليس منّا من ترك دنياه لدينه ، ودينه لدنياه » .

الكلام الثالث : قال عليه السلام في طلب الدنيا الممدوحة من جملة كلام له عليه السلام فيه مواعظ وإرشادات : لا تدعوا العمل الصّالح والاجتهاد في العبادة اتّكالاً على حبّ آل محمد عليهم السلام ولا تدعوا حبّ ال محمد عليهم السلام والتسليم لأمرهم اتّكالاً على العبادة ، فانّه لا يقبل أحدهما دون الاخر .

واعلموا أنَّ رأس طاعة الله سبحانه التسليم لما عقلناه ، وما لم نعقله ، فانَّ رأس المعاصي الرد عليهم ، وإنّما امتحن الله عزّ وجلّ الناس بطاعته لما عقلوه وما لم يعقلوه إيجاباً للحجّة وقطعاً للشبهة ، واتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم اعمالكم ، ويدخلكم جنّات تجري مَن تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ، ولا يفوتنّكم خير الدنيا فإنّ الاخرة لا تلحق ، ولا تنال إلّا بالدنيا » .

الكلام الرابع : قَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لِجَابرِ بن عَبْدِ الله الأنصاريِّ يَاجَابِرُ قِوَامُ الدنْيَا بأَربَعَةٍ : عَالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَهُ ، وَجَاهِلٍ لا يَستنْكِفُ أنْ يتَعَلَّمَ ، وجَوَادٍ لا يَبْخَلُ بِمَعْرُوفِهِ وفقيرٍ لاَ يَبيعُ آخِرَتَهُ بدُنيَاهُ ، فَإذَا ضَيَّعَ العالِمُ عِلْمَهُ ، واستَنْكَفَ الجاهِلُ أنْ يَتعلَّمَ ، وإِذَا بَخلَ الغَنيّ بمعرُوفِهِ ، بَاعَ الْفقِيرُ آخِرتَهُ بِدُنياهُ ، يا جَابُر مَنْ

كَثُرَتْ نِعَمُ اللهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَمَنْ قَامَ للهِ فيهَا بِمَا يجب عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ والْبقَاءِ ، ومَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوالِ وَالفَنَاءِ .

الكلام الخامس : قال بعض العارفين في الدنيا الممدوحة : الدنيا مزرعة الآخرة ، وهي منزل من منازل الهدى . وهو مأخوذ من الحديث الشريف « الدنيا مزرعة الآخرة » .

الكلام السادس : قال علي عليه السلام : النَّاسُ أبْنَاءُ الدُّنْيا ، ولا يُلاَمُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ .

الكلام السابع : قال مولانا الإمام قدس سره في وصيته لجناب حجة الاسلام والمسلمين السيد احمد الخميني دامت بركاته وذلك بعد الكلام المتقدّم ذكره الذي أمره فيه بأن يتحرر من الدنيا وتعلّقاتها ، قال له رضوان الله تعالى عليه « ابني : أما أنا فقد فاتتني القافلة « يشيب ابن آدم وتشبّ فيه خصلتان الحرص وطول الأمل » .

لكن أنت لديك نعمة الشباب ، وقدرة الإرادة ، الأمل أن تستطيع سلوك طريق الصالحين .

ولا يعني ما ذكرت أن تترك خدمة المجتمع وتعتزل وتكون كلاً على خلق الله ، فإنّ هذه صفات الجاهلين المتنَسكين أو الدراويش أرباب الدكاكين .

سيرة الأنبياء العظام صلى الله على نبيّنا وعليهم أجمعين والأئمة الأطهار عليهم السلام الذين هم صفوة العارفين بالله ، والمتحررين من كل قيد وغلّ ، والمتعلقين بالساحة الإلهية هي القيام بكل القوى ضد الحكومات الطاغوتية وفراعنة الزمان . وقد عانوا الآلام من أجل إجراء العدالة في العالم ، وبذلوا الجهود التي تلقننا الدروس وإذا كانت لنا عينٌ بصيرةٌ ، وأذنٌ سميعة ، فستجد فيها ما يفتح أمامنا الطريق « ومن أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم » .

ابني :

لا الاعتزال الصوفيّ دليل الارتباط بالحق ، ولا الدخول في المجتمع وتشكيل الحكومة شاهد الانفصال عن الحق ، الميزان في الأعمال هو دوافعها فكثيراً ما يكون العابد والزاهد مبتلى بشَرك إبليس ، وهو يوسع ذلك الشَّرك بما يناسبه من الأنانية ، والغرور ، والعُجب ، والتكبر ، وتحقير خلق الله والشرك الخفي ، وأمثال ذلك ممّا يبعده عن الحق ، ويؤدي به إلى الشرك وكثيراً ما يكون المتصدي لشؤون الحكومة ذا دافع إلهي ، فيحظى بمعدن قرب الحق كداود النبي وسليمان النبي عليهما السلام . وأعلى منهما وأسمى كالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، وخليفته الحق علي ابن أبي طالب عليه السلام وكحضرة المهدي أرواحنا لمقدمه الفداء في عصر حكومته العالمية » .

هذا المقطع من الوصية الشريفة ، يتعلق بالدنيا الممدوحة فانّه ممّا لا شك فيه، انّ أفضل الأعمال في هذه الدنيا عند الله تعالى هو السعي من أجل تشكيل حكومة الله من أجل إقامة العدل ، كما لا شك انّ ذلك من الدنيا الممدوحة إذا كان الدافع إلهي .

الكلام الثامن : قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : وَالْقَناعَةُ مَالٌ لا يَنفَدُ ، وَمَنْ أكْثرَ من ذِكرِ الموتِ رضى من الدّنيا باليسير . وفي هذا الكلام الشريف اشارة منه الى وجوب الرضا بالدنيا الممدوحة .

الأمر السادس : ما جاء على ألسنة الشعراء من كلام فيه مدح وثناء لدنيا البلاغ ، وان جمع الانسان لغيرها يعني انّه يجمع شيئاً وهو تاركه وميت عنه ، وإليك بعض ما قالوا في ذلك فيما يلي :

منه قول بعضهم :

أيا جامع الدنيا لغير بلاغة لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

وقال آخر :

دافع الأيّام بالتفكير في يوم الممات

وارض عن عيشك بالكسرة والماء الفرات

فهي تكفيك وتغني عن جميع الشهوات

وقال آخر :

أيها المرء إنّ دنياك بحر طافح موجه فلا تأمنها

وطريق النجاة فيها يسير وهو أخذ الكفاف والقوت منها

وهذا الشاعر قد أحسن ما قال :

وقال آخر :

احسن الناس بالايمان عبد خفيف الحاذ مسكنه القفار

له في الليل حظّ من صلاة ومن صوم إذا طلع النهار

وقوت النفس يأتيها كفافاً وكان له على ذاك اصطبار

وفيه عفّة وبه خمول اليه بالاصابع لا يشار

فذلك قد نجا من كلّ شرّ ولم تمسّه يوم البعث نار

وفي هذا الشعر كما تجده مدح دنيا البلاغ بقوله (وقوت النفس) وان كان فيه ايضاً ما يخالف مسلكنا كقوله (وبه خمول) ، لأن الخمول . والعزلة عن الناس وعدم السعي في قضاء حوائجهم ، مذموم في شرع محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله وهذا مسلك المتصوفة الدراويش كما نسب إلى بعضهم انه قال :

قد كنت عبداً والهوى مالكي فصرت حراً والهوى خادمي

وعدت بالعزلة مستأنساً من شر أولاد بني آدم

ما في اختلاط الناس خير ولا ذوالجهل بالاشياء كالعالم

يا لائمي في تركهم جاهلاً عذري منقوش على خاتمي

فوجدوا نقش خاتمه : وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا اكثرهم لفاسقين .

ولا يخفى انّه ليس في الآية الكريمة ما يكون مانعاً ورادعاً عن مخالطة

الناس، من جهة كون اكثرهم لا عهد لهم ، أو كون أكثرهم فاسقين فلا يمكن ان تتخذ الآية دليل على العزلة في الشرع خصوصاً وان هناك الكثير من الآيات ، والاخبار الدالّة على تأكيد استحباب مخالطتهم ، والسعي في قضاء حوائـجهم ، وارشادهم الى دين الله تعالى ، وتحمل هفواتهم ، والصبر على أذيتهم . ويـعتبر الشارع الشريف السعي في ذلك من الدنيا الممدوحة ، ومن اراد ان يعرف مسلكنا في العزلة والمخالطة فعليه باقتناء كتابنا (فضل العلم والعالم) .

وقال آخر في مدح من رضي باليسير من القوت والملبس :

قـــوم رضـوا بـيسير مـن مـلابسهم والقوت لا تخـطرُ الدنـيا بهـاجسهم

وفيه اشارة إلى مدح دنيا البلاغ التي هي الرضا باليسير .

ومما نسب إلى الامام علي عليه السلام انّه قال :

النـــفس تجــزع ان تكـــون فـقيرة والفـــقر خـــير مـــن غـنى يـطغيها
وغنى النفوس هو الكـفاف وان أبت فـــجميع مـــا في الأرض لايكـــفيها

وله عليه السلام :

إنمــــــا الدنـــــيا فـــناء ليس للـــــدنيا ثـــــبوت
إنمــــا الدنـــــيا كـــبيتٍ نســـــــجته العــــــنكبوت
ولقــــــد يكـــــفيكَ مـــنها أيهــــــا الطـــــالب قـــوت
ولعــــــــمري عـــن قـــليل كـــــل مـــــنْ فـــيها يمـــوت

وله عليه السلام :

أفـــــادتني القــــناعة كــلّ عــزّ وهـــل عـــزّ أعــزّ مـــن القــناعة
فـــصيّر لنـــــفسك رأس مــــال وصـــيّر بـــعدها التــقوى بـضاعة
تحُـــز ربحـــاً وتـــغنى عـــن بخـــيل وتـــــنعم في الجـــنان بـــصبرساعة

وفي هذهالابيات الجليلة إشارة إلى انّ من لا يمتلك القناعة ، لا يصبر على دنيا البلاغ الممدوحة .

وله عليه السلام :

دع الحرص على الدنيا   وفي العيش فلا تطمع

ولا تجمع من المال   فلا تدري لمن تجمع

ولا تدري أفي أرضِك   ام في غيرها تُصرع

فانَّ الرزق مقسوم   وسوء الظنِّ لا ينفع

وله عليه السلام في الدنيا الممدوحة :

ما أحسن الدنيا واقبالها   إذا اطاع الله من نالها

من لم يواس الناس من فضله   عرَّض للإدبار إقبالها

فاحذر زوال الفضل يا جابر   واعط من دنياك من سالها

فانَّ ذا العرش جزيل العطا   يضعف بالحبّة أمثالها

وكم رأينا من ذوي ثروة   لم يقبلوا بالشكر إقبالها

تاهوا على الدنيا بأموالهم   وقيدوا بالبخل أقفالها

لو شكروا النعمة جازاهم   مقالة الشكر التي قالها

(لئن شكرتم لأزيدنكم)[1]   لكنما كفرهم غالها

وله عليه السلام :

الغنى في النفوس والفقر فيها   إن تجزَّت فقلَّ ما يجزيها

علّل النفس بالقنوع وإلّا   طلبت منك فوق ما يكفيها

ليس فيما مضى ولا في الذي لم   يأت من لذّة لمستحليها

انّما انت طول عمرك ما   عمرت بالساعة التي انت فيها

وله عليه السلام يحثّ على طلب الدنيا الممدوحة :

وما طلب المعيشة بالتمني   ولكن ألقِ دلوك في الدِّلاء

تجئك بملئها يوماً ويوماً   تجئك بحمأة وقليل ماء

---

(١) إبراهيم / ٧.

وله عليه السلام يحث على طلب الدنيا الممدوحة ويدعو للتغرّب عن الاوطان في طلبها :

تغرَّب عن الاوطان في طلب العلى ... وسافر ففي الاسفار خمس فوائد

تفرُّج همّ واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ما جد

فان قيل في الاسفار ذُل ومحنة ... وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد

فموت الفتى خير له من قيامه ... بدار هوان بين واش وحاسد

وله عليه السلام :

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها ... على الناس طراً انها تتقلب

فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت ... ولا البخل يبقيها إذا هي تذهب

وينسب إليه عليه السلام :

فان تكن الدنيا تعدّ نفيسة ... فان ثواب الله أَعلى وأَنبل

وان تكن الارزاق حظاً وقسمة ... فقلة حرص المرء في الكسب اجمل

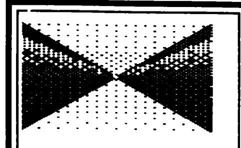
وإن تكن الأَموال للتَّرك جمعها ... فما بال متروك به الحرّ يبخل

وان تكن الأبدان للموت انشأت ... فقتل امرىء لله بالسيف أفضل

وله عليه السلام :

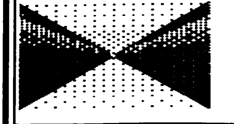
الدهر أدبني واليأس أغناني ... والقوت أقنعني والصبر رباني

وأحكمتني من الأيّام تجربة ... حتى نهيت الذي قد كان ينهاني



سعادة ونحوسة

أيّامها وشهورها



لقد تحدّثنا لقارئنا العزيز فيما تقدّم عن بلاغ الدنيا وذكرنا له ما جاء عن ائمة أهل البيت النبوي الشريف من الاخبار الدالّة على السعي في طلب دنيا البلاغ، وأنّه ليس طلبها في الحقيقة إلّا طلب الآخرة، وليس حبّها إلّا حبّ الآخرة، كما أعلمناه من خلال حديثنا أنّ الاسلام لم يهمل الجانب المادي في حياة الانسان وأنّه دائماً وأبداً يأمر اتباعه بحفظ التوازن بين الروح والجسد لانّه من أهم عوامل السعادة.

وقد أريناه أيضاً فيما أوردنا من الاخبار الدالّة على ذلك كيف أنّ أئمة الاسلام عليهم‌السلام كانوا اذا لاحظوا إفراطاً أو تفريطاً في سلوك أصحابهم في جانب مادي أو معنوي اهتموا بتعديل ذلك الانحراف وتسوية ذلك الخطأ.

وهنا نتحدّث عن أيّام الدنيا، وسعادة أيّام شهورها ونحوسها فنقول: ذكر شيخنا البهائي رضوان الله تعالى عليه: أنّ الأيّام كلّها خمسة: يوم مفقود، ويوم مشهود، ويوم مورود، ويوم موعود، ويوم ممدود، فالمفقود أمسُك الذي فاتك مع ما فرطت فيه. والمشهود هو يومُك الذي أنت فيه، فتزود منه وفيه من الطاعات، والمورود هو غدك لا تدري هل هو من أيّامك أم لا والموعود هو آخر أيامك من أيام الدنيا، فاجعله نصب عينيك والممدود هو آخرتك وهو يوم لا انقضاء له، فاهتم له غاية اهتمامك، فإنّه إمّا نعيم دائم، أو عذاب مخلّد.

وأمّا بالنسبة إلى ما يتعلق بأيّامها من جهة سعدها ونحوسها، فانّه قد جاء عن صادق آل محمد عليهم‌السلام أخبار كثيرة في سعادة ايّام شهورها ونحوستها، نعرض بعضها بحسب الترتيب فيما يلي:

« اليوم الأول » : جاء فيه عنه عليه السلام انّه قال : اليوم الاول من الشهر فيه خلق آدم ، وهو يوم مبارك لطلب الحوائج ، والدخول على السلطان العادل ، وطلب العلم ، والتزويج ، والسفر ، والبيع ، والشراء ، واتخاذ الماشية ، والمولود يكون فيه سمحاً ، مرزوقاً ، مباركاً .

وجاء عن سلمان الفارسي المحمدي العلوي عليه الصلاة والسلام : انّه قال هو (روز هرمز) اسم من أسمائه تعالى ، وهو يوم مختار مبارك ، يصلح لطلب الحوائج ، والدخول على السلطان العادل .

« اليوم الثاني » : جاء فيه عن مولانا الصادق عليه السلام : أنّه قال : فيه خلق الله تعالى حواء من آدم عليه السلام يصلح للتزويج ،وبناء المنازل ، وكتب العهود ، والسفر ، وطلب الحوائج ، والاختيارات ، ومن مرض فيه اول النهار خفّ أمره بخلاف آخره ، والمولود فيه صالح للتربية .

وعن سلمان المحمدي سلام الله عليه انّه قال : هو (روزبهمن) اسم ملك تحت العرش ، يوم مبارك للتزويج ، وقضاء الحوائج ، يوم سعيد . وجاء في رواية : وفيه ينبغي ان تتق شر السلطان الجائر .

« اليوم الثالث » : جاء فيه عن صادق آل محمد عليهم السلام : أنّه قال يوم نحس مستمر ، نزع آدم وحوى لباسهما ، واخرجا من الجنّة ، فاجعل شغلك فيه صلاح منزلك ، ولا تخرج من دارك ان امكنك ، واتق فيه السلطان الجائر ، والبيع ، والشراء ، وطلب الحوائج ، والمعاملة ، والمشاركة ، والهارب فيه يوجد ، والمريض فيه يجهد ، والمولود فيه يكون مرزوقاً طويل العمر .

وجاء عن سلمان الصحابي الجليل سلام الله عليه: انّه قال: هو (روز ارديبهشت) اسم الملك الموكل بالشقاء والنعم ، يوم ثقيل نحس لا يصلح لأمر من الأمور .

وجاء عن صادق آل محمد عليهم السلام انّه قال : يوم نحس فيه قتل قابيل اخاه

هابيل، وهو يوم مذموم، لا تسافر فيه، ولا تعمل فيه عملاً، ولا تلق فيه احداً، واستعذ من شره بعوذة أمير المؤمنين عليه السلام ومن ولد فيه كان منحوساً، ومن مرض فيه وفي ليلته كان يخاف عليه، إلّا ان يشاء الله تعالى غير ذلك.

« اليوم الرابع »: جاء فيه عن صادق آل محمد عليهم السلام أنّه قال: انّه يوم صالح للزرع، والصيد، والبناء، واتخاذ الماشية، ويكره فيه السفر، فمن سافر فيه خيف عليه القتل والسلب او بلاء يصيبه، وفيه مولد هابيل، والمولود فيه يكون صالحاً مباركاً، ومن هرب فيه عسر طلبته، ولجأ إلى من يمنعه.

وجاء عن سلمان المحمدي سلام الله عليه انّه قال: (روزشهريور) اسم الملك الذي خلقت فيه الجواهر، وكلّ بها، وهو موكّل ببحر الروم.

وفي رواية انّه: ولد فيه هبة الله شيث بن آدم عليه السلام .

« اليوم الخامس »: جاء فيه عن مولانا الصادق عليه السلام قال: يوم نحس مستمر فيه ولد قابيل الشقي الملعون، وفيه قتل اخاه، وفيه دعا بالويل على نفسه، وهو اول من بكى في الأرض، فلا تعمل فيه عملاً، ولا تخرج من منزلك، ومن حلف فيه كاذبا عجل له الجزاء، ومن ولد فيه صلح حاله.

وجاء عن سلمان المحمدي: (روزاسفندار) اسم الملك الموكّل بالأرضين، يوم نحس فلا تطلب فيه حاجة ولا تلق فيه سلطان جائر.

وجاء في رواية عن الصادق عليه السلام انّه يوم نحس، مستمر فيه، لعن ابليس، وهاروت، وماروت، وكلّ فرعون، وجبار، وفيه لعن وعذّب، ومن كذّب فيه عجل عليه الجزاء.

« اليوم السادس »: جاء فيه عن صادق آل محمد عليهم السلام انه قال: يوم صالح للتزويج، ومن سافر فيه في بر أو بحر رجع إلى اهله بما يحبّه، وهو جيد لشراء الماشية، ومن ضل فيه او ابق وجد، ومن فيه برىء، ومن ولد فيه صلحت تربيته، وسلم من الآفات.

وجاء عن سلمان المحمدي : (روزخرداد) اسم ملك موكّل بالجن ، يصلح للتزويج ، والمعاش وكلّ حاجة ، والاحلام فيه يظهر تأويلها بعد يوم او يومين ، وقيل ولد فيه نوح عليه السلام .

وفي حديث عن صادق آل محمد عليهم السلام : انّه يوم صالح ، ولد فيه نوح عليه السلام ، يصلح للحوائج ، ومقابلة السلطان العادل ، والسفر ، والبيع ، والشراء ، والديون ، والقضاء ، والأخذ ، والعطاء ، والنزهة ، والصيد ، ومن ولد فيه مباركاً ميموناً موسعاً عليه في حياته ، ومن مرض فيه او في ليلته ، لم يجاوز مرضه اسبوعاً ثم يبرأ باذن الله تعالى .

« اليوم السابع » : جاء فيه عن صادق آل محمد عليهم السلام : انّه يوم صالح لجميع الأمور ، ومن بدأ فيه بالكتابة أكملها ، ومن بدأ فيه بعمارة او غرس حمدت عاقبته ، ومن ولد فيه صلحت تربيته ، ووسع عليه .

وجاء عن سلمان المحمدي عليه السلام : (روزمرداد) اسم ملك موكّل بالناس وارزاقهم ، وهو يوم مبارك سعيد ، فافعل فيه ما تشاء من الخير . وفيه ركب نوح السفينة .

« اليوم الثامن » : جاء فيه عن صادق آل محمد عليهم السلام انّه يوم صالح لكلّ حاجة من بيع او شراء ، ومن دخل فيه على السلطان العادل قضيت حاجته ، ويكره فيه ركوب البحر ، والسفر في البر والخروج إلى حرب ، ومن ولد فيه صلحت ولادته ، ومن هرب فيه لم يقدر عليه إلّا بتعب ، ومن ضلّ فيه لم يرشد إلّا بجهد ، والمريض فيه يجهد .

وقال سلمان المحمدي : (روزتيادرا) اسم من اسمائه تعالى ، وهو مبارك سعيد صالح لكل أمر تريد من الخير .

وفي رواية : انّه يوم من ولد فيه كان متوسط الحال طويل العمر ، ومن مرض فيه ، او في ليلته ، بريء باذن الله تعالى .

« اليوم التاسع » : جاء فيه عن مولانا الصادق عليه السلام انّه قال : انّ يوم التاسع من الشهر يوم حفيف صالح لكلّ امر تريده فابدأ فيه بالعمل ، واقترض فيه وازرع واغرس ، ومن حارب فيه غلب ، ومن سافر فيه رزق مالاً ورأى خيراً ، ومن هرب فيه نجا ، ومن مرض فيه ثقل ، ومن ضلّ فيه قدر عليه ، ومن ولد فيه صلحت ولادته ووفق فيه في كل حالاته .

وقال سلمان المحمدي سلام الله عليه (روزاذر) اسم ملك موكّل بالميزان يوم القيامة ، محمود الاحلام تصح فيه من يومها وجاء في رواية ـ ان المولود فيه يكون مرزوقاً في معيشته ولا يصيبه ضيق .

وفي رواية انّه ولد فيه سام بن نوح ، وهو يوم مبارك يصلح للحوائج والدخول على السلطان العادل ، وجميع الأعمال والدين ، والقرض والاخذ والعطاء ، ومن ولد فيه كان محبوباً مقبولاً عند الناس ، يطلب العلم ويعمل بأعمال الصالحين ، ومن مرض فيه أو في ليلته برىء باذن الله تعالى ـ وفي رواية ـ من سافر فيه او في ليلته لقي خيرًا ، ويصلح للغرس ، والزرع ، ومن حارب فيه غلب ، ومن هرب ولجأ الى السلطان العادل يمنع عليه ومن مرض فيه ثقل .

« اليوم العاشر » : جاء فيه عن صادق آل محمد عليهم السلام : انّه ولد فيه نوح عليه السلام ، ومن ولد فيه يكبر ويهرم ويرزق ، ويصلح للبيع والشراء ، والضالة فيه توجد والهارب فيه يظفر به ويحبس ، وينبغي للمريض فيه ان يوصي .

وجاء عن سلمان المحمدي الفارسي رضوان الله تعالى عليه : (روزابان) اسم ملك موكّل بالبحار والأودية ، يوم خفيف مبارك ، ومن هرب فيه من السلطان الجائر اخذ ، ومن ولد فيه لم يصبه ضيق وكان مرزوقاً ، والاحلام فيه تظهر في مدة عشرة ايام وفي رواية صالح لكل حاجة ، سوى الدخول على السلطان الجائر ، ومن فر من السلطان اخذ ومن ضلّت له ضالّة فيه وجدها ، وهو جيد للبيع والشراء ، ومن مرض فيه برىء .

وفي رواية يوم محمود رفع الله فيه ادريس مكاناً عليّا ، وفيه اخذ موسى التوراة ، يصلح لكتب الكتب والشروط والعهود واعمال الدواوين والحساب ، ومن ولد فيه كان مباركاً حليماً صالحاً عفيفاً ، ومن مرض فيه او في ليلته يخاف عليه .

« اليوم الحادي عشر » : جاء عن صادق آل محمد عليه‌السلام : انه ولد فيه شيث ، صالح لابتداء العمل والبيع والشراء والسفر ، ويجتنب فيه الدخول على السلطان الجائر ، ومن هرب فيه رجع طائعاً ، ومن مرض فيه يوشك أن يبرأ ، ومن ضل فيه سلم ، ومن ولد فيه طابت عيشه غير انّه لا يموت حتى يفتقر ، ويهرب من السلطان وقال ـ سلمان ـ المحمدي : (روزخور) اسم ملك موكّل بالشمس .

« اليوم الثاني عشر » : جاء فيه عن صادق آل محمد عليه‌السلام انه يوم صالح للتزويج وفتح الحوانيت ، والشركة وركوب البحر . وقال سلمان المحمدي : (روزماه) يوم مختار ، وهو اسم ملك موكّل بالعمر .

« اليوم الثالث عشر » : جاء عن صادق آل محمد عليهم‌السلام : انّه يوم نحس فاتق فيه المنازعة ، والحكومة ، ولقاء السلطان .

وقال سلمان المحمدي (روزتير) اسم ملك موكّل بالنجوم ، يوم نحس رديء فاتق فيه السلطان وجميع الاعمال .

« اليوم الرابع عشر » : عن مولانا الصادق عليه‌السلام : انّه يوم صالح لكلّ شيء ، ومن ولد فيه يكون غشوماً ، وهو جيد لطلب العلم ، والبيع والشراء والسفر والاستعراض ، وركوب البحر ، ومن هرب فيه أخذ ومن مرض فيه بريء .

وقال سلمان المحمدي : (روزجوش) اسم ملك موكّل بالانس والجن والريح ، يوم مبارك سعيد .

« اليوم الخامس عشر » : جاء فيه عن مولانا صادق آل محمد عليهم‌السلام : انّه يوم مبارك يصلح لكل حاجة . وقال سلمان المحمدي : (ويمهروز) اسم ملك من

اسماء الله تعالى .

« اليوم السادس عشر » : جاء فيه عن صادق آل محمد عليهم السلام : انّه يوم نحس مستمر رديء فلا تسافر فيه ومن سافر فيه هلك .

وقال سلمان المحمدي : (مهرروز) اسم الملك الموكّل بالرحمة

« اليوم السابع عشر » : جاء فيه عن مولانا الصادق عليه السلام انّه يوم صاف مختار . وقيل متوسط . وقيل يوم ثقيل ، وقيل انه يوم خفيف .

وقال سلمان المحمدي : (سروش روز) اسم الملك الموكل بحراسة العالم وهو جبرئيل عليه السلام .

« اليوم الثامن عشر » : جاء عن مولانا الصادق عليه السلام : انّه يوم مختار جيد مبارك سعيد ـ وقيل يوم خفيف وقال سلمان المحمدي : (رش روز) اسم الملك الموكل بالنيران .

« اليوم التاسع عشر » : جاء عن مولانا الصادق عليه السلام : انّه يوم خفيف يصلح لكلِّ شيء .

وقال سلمان المحمدي : (فروردين روز) اسم الملك الموكّل بالأرواح وقبضها . وجاء انّه يوم سعيد ، ولد فيه اسحاق .

« اليوم العشرون » : جاء عن صادق آل محمد عليهم السلام : انّه يوم جيّد مبارك يصلح لطلب الحوائج وغير ذلك ، وفي رواية انّه يوم متوسط .

وقال سلمان المحمدي : (بهرام روز) اسم ملك موكّل بالنصر، والخذلان، والحروب، والجدال، وهو يوم جيّد مبارك .

« اليوم الحادي والعشرون » : جاء عن مولانا الصادق عليه السلام : انّه يوم نحس مستمر، يصلح فيه اراقة الدماء ، فاتّقوا فيه ما استطعتم ، ولا تطلبوا فيه حاجة ، ولا تنازعوا فيه فانّه مذموم رديء منحوس .

وقال سلمان المحمدي : (روزماه) اسم ملك موكّل بالفرج .

« اليوم الثاني والعشرون » : جاء فيه عن مولانا جعفر بن محمد عليه السلام : انّه يوم مختار حسن ما فيه مكروه .

وقال سلمان المحمدي : (روزباد) اسم ملك موكّل بالريح يوم خفيف.

« اليوم الثالث والعشرون » : جاء عن مولانا جعفر بن محمد عليه السلام : انّه يوم سعيد مختار ، ولد فيه يوسف عليه السلام .

وقال سلمان المحمدي : (روز تبدين) اسم من اسماء الله تعالى .

« اليوم الرابع والعشرون » : جاء فيه عن مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : انّه قال يوم نحس مستمر مذموم مشؤوم ملعون ، ولد فيه فرعون .

وقال سلمان المحمدي : (دين روز) اسم الملك الموكّل بالسعي والحركة .

« اليوم الخامس والعشرون » : جاء فيه عن مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : انّه يوم نحس ، وهو اليوم الذي اصاب مصرفيه تسعة ضروب من الآفات ، فلا تطلب فيه حاجة ، واحفظ نفسك ، فانه اليوم الذي ضرب فيه اهل الآيات مع فرعون ، وهو يوم شديد البلاء .

وقال سلمان المحمدي : (اردروز) اسم الملك الموكّل بالجن.

« اليوم السادس والعشرون » : قال مولانا جعفر بن محمد عليه السلام انّه يوم صالح مبارك للسفر ، ضرب فيه موسى البحر فانفلق .

وقال سلمان المحمدي (روزاشتاد) اسم ملك خلق عند ظهور الدين.

« اليوم السابع والعشرون » : جاء فيه عن مولانا الصادق عليه السلام : انّه يوم مختار جيد يصلح لطلب الحوائج .

وقال سلمان المحمدي : (روزاسمان) اسم ملك موكل بالطير ، والمولود فيه يكون جميلا حسنا .

« اليوم الثامن والعشرون » : جاء عن مولانا الامام الصادق عليه السلام انّه يوم سعيد مبارك ، ولد فيه يعقوب عليه السلام .

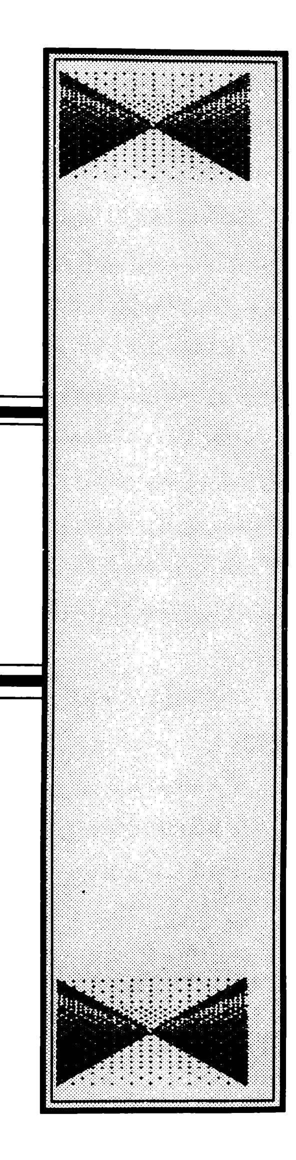
وقال سلمان المحمدي : (روزامياد) اسم ملك موكّل بالسموات.

« اليوم التاسع والعشرون » : جاء فيه عن مولانا صادق آل محمد عليه السلام أنّه قال : هو يوم مختار ، يصلح لكلّ حاجة ، واخراج الدم .

وقال سلمان المحمدي : (ماراسفند روز) اسم الملك الموكّل بالافئدة .

« اليوم الثلاثون » : جاء فيه عن صادق آل محمد عليه السلام : انّه يوم مختار ، جيّد يصلح لكلّ شيء ، وللشراء ، والبيع ، والزرع ، والغرس ، والبناء ، والتزويج ، والسفر ، واخراج الدم .

وقال سلمان المحمدي : (انيران روز) اسم الملك الموكّل بالدهر والأزمنة .



مفارقتهـــــا

لقد تحدّثنا لقارئنا العزيز فيما تقدّم عن أيّام الدنيا ، وما ينبغي للانسان المؤمن أن يغتنمه فيها من الاعمال الصالحة الموجبة لسمو درجاته وسعادته الأبديّة وأسهبنا الحديث في ذلك بما لا مزيد عليه .

وهنا نتحدّث عن مفارقة الانسان لهذه الدنيا ، وتركه ملاذّها ، وما جمعه وادخره من حطامها ، وعروضها ، وسوف يكون حديثنا عن ذلك مشفوعاً بالايات القرآنيّة ، والأحاديث النبويّة ، والمقالات الإرشاديّة . مع ذكر أحوال بعض المعمّرين الذين عاشوا في الدنيا ثم تركوها بعد ذلك ، وفارقوا الأهل والأحبّة نعرض كلّ ذلك لقارئنا العزيز بالتسلسل فيما يلي :

الأول : ما جاء في القرآن الكريم من الآيات البيّنات الدالّة على حتميّة مفارقة الانسان لهذه الدنيا ، وانقطاع عمله وأثره منها ، وإليك جمعاً من تلك الآيات :

الآية الاولى : قوله تعالى : ﴿ **كُلُّ مَن عَلَيهَا فَانٍ ويبقى وجهُ ربّك ذو الجلال والاكرام** ﴾[1]

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿ **إنّك ميّت وانهم ميّتون** ﴾[2] .

الآية الثالثة : قوله تعالى : ﴿ **الله يتوفّى الأنفس حين موتها** ﴾[3] .

الآية الرابعة : قوله تعالى : ﴿ **يتوفاكم ملك الموت** ﴾[4] .

---

(١) الرحمن / ٢٦ ـ ٢٧ .
(٢) الزمر / ٣٠ .
(٣) الزمر / ٤٢ .
(٤) السجدة / ١١ .

الآية الخامسة : قوله تعالى : ﴿ توفتّه رسلنا ﴾[1] .

الآية السادسة : قوله تعالى : ﴿ وتتوفاهم االملائكة طيبين ﴾[2] .

الآية السابعة : قوله تعالى : ﴿ انّ الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾[3] .

الآية الثامنة : قوله تعالى : ﴿ ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم ﴾[4] .

الآية التاسعة : قوله تعالى : ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكّل بكم ثم إلى رَبّكم ترجعون ﴾[5] .

الآية العاشرة : قوله تعالى : ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴾[6] .

الآية الحادية عشرة : قوله تعالى : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾[7] .

الثاني : ما جاء في السنّة المطهّرة من الأخبار الدالّة على حتميّة مفارقة الانسان لهذه الدنيا ، وانقطاع عمله واثره منها إلّا ما كان من عمله الذي أراد به وجه الله تعالى ، نعرض إليك جمعاً منها فيما يلي :

الحديث الأول : الدنيا سجن المؤمن ، وجنّة الكافر ، والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم ، وجسر هؤلاء الى جحيمهم. رواه المحدثون عن النبي ﷺ .

الحديث الثاني : عن سيّدنا رسول الله ﷺ أنّه قال :

ما الموت إلّا قنطرة يعبر بكم عن البؤس والضراء الى الجنان الواسعة ، والنعيم الدائم فأيّكم يكره أن ينتقل من سجن الى قصر ، وما هو لاعدائكم إلّا كمن ينتقل من قصر الى سجن وعذاب .

---

(١) الانعام / ٦١ .
(٢) الانعام / ٦١ .
(٣) النساء / ٩٧ .
(٤) يونس / ١٠٤ .
(٥) السجدة / ١١ .
(٦) النحل / ٣٢ .
(٧) آل عمران / ١٨٥ .

الحديث الثالث : وجاء عن كتاب حق اليقين انّه قيل لمولانا علي بن الحسين عليه السلام : ما الموت ؟

فقال : للمؤمن كنزع ثياب وسخة وفكّ قيود ، واغلال ثقيلة ، والاستبدال بأفخر الثياب ، وأطيبها روائح وأوطىء المراكب ، وانس المنازل ، وللكافر كخلع ثياب فاخرة ، والنقل عن منازل أنيسة ، والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها ، وأوحش المنازل ، واعظم العذاب .

الحديث الرابع : وعن باقر العلوم أنه قال :

الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا .

الحديث الخامس : قيل لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام : صف لنا الموت ؟

فقال : على الخبير سقطتم ، هو أحد أمور ثلاثة ترد عليه ، أمّا بشارة بنعيم الأبد ، وأمّا بشارة بتعذيب الأبد ، وامّا تخويف وتهويل لا يدري من أي الفرق هو ، أمّا وليّنا والمطيع لأمرنا ، فهو المبشّر بنعيم الأبد. وأمّا عدوّنا والمخالف لأمرنا ، فهو المبشّر بعذاب الأبد ، وأمّا المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله ، فهو المؤمن المسرف على نفسه يأتيه الخبر مبهماً مخوفاً ثم لن يسويه الله بأعدائنا ، ويخرجه من النار بشفاعتنا ، فاحتملوا ، وأطيعوا ، ولا تتكلموا ، ولا تستصغروا عقوبة الله فإنّ من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلّا بعد عذاب ثلثمائة الف سنة.

الحديث السادس : قيل لمولانا الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام : ما الموت ؟

قال هو النوم الذي يأتيكم كلّ ليلة إلّا انّه طويل مدّته ، لا ينتبه منه إلى يوم القيامة ، فمنهم من رأى في نومه من اصناف الفرح ما لا يقدر قدره ، ومنهم من رأى في نومه من اصناف الأهوال ما لا يقدر قدره .

الحديث السابع : قيل لمولانا الامام الصادق عليه السلام : صف لنا الموت ؟

فقال : هو للمؤمن كأطيب ريح يشمّه فينعس لطيبه ، فينقطع التعب والألم كلّه عنه ، وللكافر كلدغ الافاعي ، وكلسع العقارب ، وأشد من ذلك .

الحديث الثامن : قيل الموت هو المصفاة ، يصفّي المـؤمنين مـن ذنـوبهم ، فيكون آخر ألم يصيبهم ، وكفارة آخـر وزر عـليهم ، ويـصفّي الكـافرين مـن حسناتهم ، فيكون آخر لذّة ، أو نعمة أو رحمة تلحقهم وهو آخر ثواب حسـنة تكون لهم . رواه المحدّثون عن الامام الكاظم عليه السلام .

الحديث التاسع : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله ، مالي لا أحب الموت .

فقال : ألك مال ؟

قال : نعم .

قال : قد قدمته .

قال : لا .

قال : فمن ثم لا تحب الموت .

الحديث العاشر : قيل لأبي ذر رحمه الله : ما بالنا نكره الموت ؟

فقال : لأنّكم عمّرتم الدنيا ، وخرّبتم الآخرة ، فتكرهون أن تنتقلوا مـن عمران إلى خراب .

فقيل له : كيف ترى قدومنا على الله تعالى ؟

قال : أمّا المحسن فكالغائب يقدم على اهله ، وامّا المسيء فكالآبق يقدم على مولاه .

قيل : فكيف حالنا عند الله ؟

قال : اعرضوا اعمالكم على الكتاب ، انّ الله عز وجل يقول ﴿ **إنّ الابرار لفي نعيم وإنّ الفجّار لفي جحيم** ﴾[1] .

قال الرجل : فأين رحمة الله ؟

---

(١) الانفطار / ١٣ ـ ١٤ .

قال : ﴿ رحمة الله قريب من المحسنين ﴾[1] .

الحديث الحادي عشر : عن ثقة الاسلام في الكافي ، عن يعقوب الاحمر في الصحيح ، قال : دخلنا على ابي عبد الله الصادق عليه السلام نعزيه باسماعيل فترحّم عليه ثم قال : إنّ الله عز وجل نعى إلى نبيّه نفسه فقال : ﴿ انك ميت وانهم ميتون﴾[2] . وقال : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾[3] . ثم أنشأ عليه السلام يحدّث فقال : انّه يموت أهل الارض حتى لا يبقى أحد ثم يموت أهل السماء حتى لا يبقى أحد إلّا ملك الموت ، وحملة العرش ، وجبرئيل ، وميكائيل .

قال : فيجيء ملك الموت حتى يقوم بين يدي الله عزّ وجلّ فيقول له : من بقي وهو أعلم بذلك ، فيقول يا رب لم يبق إلّا ملك الموت ، وحملة العرش ، وجبرئيل ، وميكائيل ، فيقال : قل لجبرائيل وميكائيل فليموتا . فيقول الملائكة: يا رب رسوليك وأمينيك ! فيقول تبارك وتعالى : انّي قد قضيت على كل نفس فيها الروح بالموت .

ثم يجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله عز وجل ، فيقال له : من بقي والله اعلم بذلك ؟ فيقول يا رب لم يبق إلّا ملك الموت ، وحملة العرش ، فيقول الله تبارك وتعالى قل لحملة العرش فليموتوا .

قال ثم يجيء ملك الموت مكتئباً حزيناً ، لا يرفع طرفه ، فيقال له : من بقي فيقول يارب ، لم يبق إلّا ملك الموت . فيقال له : مت يا ملك الموت ، فيموت .

ثم يأخذ الجليل جلّ وعلا الأرض بيمينه ، والسماوات ويقول : أين الذين كانوا يدعون معي شريكاً ؟ أين الذين كانوا يجعلون معي إلهاً آخر ؟

الحديث الثاني عشر : عن صادق آل محمد عليهم السلام ، قال : ما من أهل بيت شعر ولا وبر ، إلّا وملك الموت يتصفحهم في كلّ يوم خمس مرات .

---

(١) الاعراف / ٥٦ .
(٢) الزمر / ٣٠ .
(٣) آل عمران / ١٨٥ .

الحديث الثالث عشر : عن باقر العلوم عندما سُئل عليه السلام عن لحظة ملك الموت، فقال عليه السلام : أما رأيت الناس يكونون جلوساً فتعتريهم السكتة فلا يتكلّم أحد منهم ، فتلك لحظة ملك الموت ، حيث يلحظهم .

الحديث الرابع عشر : عن صادق آل محمد عليهم السلام عندما سئل عليه السلام عن ملك الموت ؟

فقال : الأرض بين يديه كالقصعة يمدّ يده حيث يشاء منها .

قال عليه السلام : نعم .

الحديث الخامس عشر : في الفقيه عن مولانا الصادق عليه السلام ، قال : قيل لملك الموت كيف تقبض الارواح بعضها في المشرق ، وبعض في المغرب في ساعة واحدة؟

فقال : ادعوها فتجيبني .

الحديث السادس عشر : عن مولانا الصادق ايضاً أنّه قال ، قال ملك الموت انّ الدنيا عندي ، وبين يدي كالقصعة بين يدي أحدكم ، يتناول منها ما يشاء ، والدنيا عندي كالدرهم في كفّ أحدكم ، يقلّبه كيف يشاء .

الحديث السابع عشر : عن الصادق عليه السلام انّه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لو أنّ مؤمنا أقسم على ربّه عزّ وجلّ ان لا يميته ، ما أماته أبداً ، ولكن إذا حضر أجله ، بعث الله عزّ وجلّ إليه ريحين ، ريحاً يقال لها المنسية ، وريحاً يقال لها المسخية .

فأمّا المنسية فإنّها تنسيه أهله وماله ، وأمّا المسخية فإنّها تسخي نفسه عن الدنيا ، حتى يختار ما عند الله تبارك وتعالى .

الحديث الثامن عشر : عن صادق آل محمد عليهم السلام عندما سُئل عليه السلام عن المؤمن ، ايستكره على قبض روحه ؟

قال لا والله !

قلت : وكيف ذلك ؟

قال: لانّه إذا حضره ملك الموت جزع ، فيقول له ملك الموت لا تجـزع ! فوالله لأنا أبرّ بك ، واشفق من والدٍ رحيم لو حضرك ، افتح عينيك وانظر .

قال : ويتهلل له رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والحسن والحسين والائمة من بعدهم والزهراء عليها وعليهم السلام فينظر إليهم ، فيستبشر بهم ، أفما رأيت شخوصه ؟

قلت : بلى .

قال : فإنّما ينظر إليهم .

قلت : جعلت فداك ، قد يشخص المؤمن ، والكافر ؟

قال : ويحك إنّ الكافر يشخص منقلباً إلى خلفه ، لأنّ ملك الموت انّما يأتيه ليحمه من خلفه . والمؤمن أمامه ، وينادي روحه مناد من قبل ربّ العـزّة مـن بطنان العرش فوق الأفق الأعلى ، ويقول : ﴿ **يا أيتها النفس المُطمئِنّة ارجعي إلى رَبّكِ راضيةً مرَضيّةً فادخُلي في عِبادي وادخُلي جنّتي** ﴾[1] ، فيقول ملك المـوت انّي قد أمرت أن أخيرك بين الرجوع إلى الدنيا والمضي ، فليس شيء أحبّ إليه من سلال روحه .

الحديث التاسع عشر : روى البرقي في المحاسن بإسنادٍ معتبر ، عن عقبة ، والمعلى بن خنيس ، عن صادق آل محمد عليه السلام قال : لن تموت نفس ابداً ، حتى ترى رسول الله وعليا صلّى الله عليهما .

قلت فإذا نظر إليهما المؤمن ايرجع الى الدنيا ؟

قال : لا ، بل يمضي أمامه .

فقلت له : أيقولان شيئاً جعلت فداك ؟

فقال : نعم يدخلان جميعاً على المؤمن فيجلس رسول الله صلى الله عليه وآله عند رأسه

---

(١) الفجر / ٢٧ ـ ٣٠.

وعلي عليه السلام عند رجليه ، فيكبّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فيقول : يا ولي الله ، أبشر ، أنا رسول الله ، إني خير لك ممّا تترك من الدنيا .

ثم ينهض رسول الله صلى الله عليه وآله فيقوم عليه علي عليه السلام حتى يكبّ عليه فيقول : ياولي الله ، أبشر ، أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبّني ، أما لأنفعك .

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : أمّا انّ هذا في كتاب الله عزّ وجلّ .

قلت : اين هذا جعلت فداك من كتاب الله ؟

قال عليه السلام : في سورة يونس ، قول الله تبارك وتعالى ههنا ﴿ **الذينَ آمنوا وكانوا يتَّقُون لهُم البُشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديلَ لكلماتِ الله ذلكَ هُوَ الفوزُ العظيم** ﴾[1] .

الحديث العشرون : جاء في الكافي : عن أبي بصير ، عن الصادق عليه السلام قال إذا حيل بينه أي بين المحتضر وبين الكلام أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله ومن شاء الله ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله عن يمينه ، والآخر يعني علياً عن يساره فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله : أمّا ما كنت ترجو فهو ذا أمامك ، وأمّا ما كنت تخاف منه فقد أمنته ، ثم يفتح له باب إلى الجنّة ، فيقول هذا منزلك في الجنّة ، وان شئت رددتك إلى الدنيا فيها ذهب وفضة ، فيقول لا حاجة لي في الدنيا ، فعند ذلك يبيضّ لونه ، ويرشح جبينه ، وتتقلص شفتاه ، وينتشر منخراه ، وتدمع عينه اليسرى فأيّ هذه العلامات رأيت ، فاكتف بها فإذا خرجت النفس من الجسد ، فيعرض عليها كما يعرض عليه ، وهو في الجَسد ، فيختار الآخرة فيغسّله فيمن يغسّله ويقلّبه فيمن يقلّبه ، فإذا أدرج في اكفانه ، ووضع على سريره ، خرجت روحه تمشي بين ايدي القوم قدماً ، وتلقاه أرواح المؤمنين يسلّمون عليه ، ويبشرونه بما أعد الله له جل ثناؤه من النعيم ، فإذا وضع في قبره ، ردَّ إليه الروح إلى وركيه ، ثم يسأل عما يعلم ، فإذا جاء بما يعلم فتح له ذلك الباب الذي أراه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فيدخل عليه من

---

(١) يونس / ٦٣ ـ ٦٤ .

نورها ، وبردها ، وطيب ريحها .

قال : قلت : جعلت فداك فأين ضغطة القبر ؟

فقال : هيهات ما على المؤمنين فيها شيء ، والله إنّ هذه الأرض لتفتخر على هذه ، فتقول وطيء على ظهري مؤمن ولم يطيء على ظهرك مؤمن ، وتقول له الأرض لقد كنت أحبّك وأنت تمشي على ظهري ، فأمّا إذا وليتك فتعلم ما اصنع بك فيفتح له مدّ بصره .

الحديث الواحد والعشرون : جاء في الكافي : عن عمار بن مروان ، قال حدثني من سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول : منكم والله يقبل ، ولكم والله يغفر ، أنّه ليس بين احدكم وبين أن يغتبط ويرى السرور وقرة العين إلاّ أن تبلغ نفسه ههنا ، وأومأ بيده إلى حلقه ، ثم قال انه إذا كان ذلك واحتضر حضره رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وجبرئيل وملك الموت فيدنو منه علي عليه السلام فيقول يا رسول الله إنّ هذا كان يحبّنا أهل البيت فأحبّه ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله ياجبرائيل انّه كان يحبُّ الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبّه وأرفق به فيدنو منه ملك الموت فيقول يا عبد الله أخذت فكاك رقبتك ، أخذت أمان براءتك ، تمسّكت بالعروة الكبرى في الحياة الدنيا .

قال فيوفقه الله عزّ وجلّ فيقول نعم ، فيقول وما ذاك ، فيقول ولاية علي بن أبي طالب ، فيقول صدقت ، أمّا الذي كنت تحذره فقد آمنك الله منه ، وأمّا الذي كنت ترجوه فقد أدركته ، أبشر بالسلف الصالح مرافقة رسول الله وعلي وفاطمة ثم يسلّ نفسه سلا رفيقاً ، ثم ينزل بكفنه من الجنّة ، وحنوطه من الجنّة بمسك اذفر فيكفّن بذلك الكفن ، ويحنّط بهذا الحنوط ، ثم يكسى حلّة صفراء من حلل الجنّة ، فإذا وضع في قبره ، فتح الله له باباً من أبواب الجنّة يدخل عليه من روحها وريحانها ، ثم يفسح له عن امامه مسيرة شهر ، وعن يمينه وعن يساره ، ثم يقال له نم نومة العروس على فراشها ، ابشر بروح وريحان وجنّة نعيم ورب غير غضبان ،

ثم يزور آل محمد صلى الله عليه وآله في جنان رضوي ، فيأكل معهم من طعامهم ، ويشرب معهم من شرابهم ، ويتحدّث معهم في مجالسهم حتى يقوم قائمنا أهل البيت ، فإذا قام قائمنا بعثهم الله فاقبلوا معه يلبون زمراً زمراً ، فعند ذلك يرتاب المبطلون ، ويضمحل المحلّون ، يعني الذين يهتكون حرمة الأئمة ، ولا يتابعونهم ، ويهتكون حرمتهم ، وقليل ما يكونون هلكت المحاضير أي الذين يستعجلون في طلب الفرج بقيام القائم عليه السلام ، ونجا المقرّبون ـ بكسر الراء ـ أي الذين يرون الفرج قريباً ولا يستبطؤنه أو ـ بفتح الراء ـ من أجل ذلك ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي : أنت أخي ، وميعاد ما بيني وبينك وادي السلام .

قال وإذا احتضر الكافر ، حضره رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وجبرائيل وملك الموت ، فيدنو منه علي عليه السلام فيقول يا رسول الله إنّ هذا كان يبغضنا أهل البيت ، فأبغضه ، ويقول رسول الله : يا جبرئيل إنّ هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله : فأبغضه ، وأعنف عليه ، فيدنو منه ملك الموت ، فيقول يا عبد الله أخذت فكاك رهانك ، اخذت أمان برائتك من النار ، تمسّكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا ، فيقول لا : فيقول ابشر يا عدو الله بسخط الله عزّ وجلّ وعذابه والنار ، أمّا الذي كنت تحذره فقد نزل بك ، ثمّ يسلّ نفسه سلاً عنيفاً ثمّ يوكل بروحه ثلاثمائة شيطان كلّهم يبرق في وجهه ، وينادي بروحه فإذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب النار فيدخل عليه من فيحها ولهبها .

الحديث الثاني والعشرون : عن ابن أبي يعفور قال : كان خطّاب الجهني خليطاً لنا ، وكان شديد النصب لآل محمد صلى الله عليه وعليهم وكان يصحب نجدة الحروري ، قال : فدخلت عليه أعوده للخلطة والتقية ، فإذا هو مغمى عليه في حدّ الموت ، فسمعته يقول مالي ولك يا علي ! فأخبرت بذلك أبا عبد الله عليه السلام . فقال ابو عبد الله عليه السلام رآه وربّ الكعبة ثلاثاً .

الحديث الثالث والعشرون : عن ابي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام

ما معنى قول الله تبارك وتعالى ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ﴾[1] الآيات .

قال انّ نفس المحتضر إذا بلغت الحلقوم وكان مؤمناً رأى منزله في الجنّة ، فيقول ردّوني إلى الدنيا حتى أخبر أهلها بما أرى ، فيقال له ليس إلى ذلك سبيل .

الحديث الرابع والعشرون : جاء في امالي الشيخ ، ومناقب ابن شهراشوب : عن الحسين بن عون ، قال : دخلت على السيد الحميري عائذاً في علّته التي مات فيها ، فوجدته يساق به ، ووجدت عنده جماعة من جيرانه ، وكانوا عثمانية ، وكان السيد جميل الوجه ، رحب الجبهة ، عريض ما بين السالفين ، فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل نقطة من المداد ، ثم لم تزل تزيد وتنمو حتى طبقت وجهه بسوادها ، فاغتمّ لذلك من حضره من الشيعة ، وظهر من الناحية سرور وشماتة ، فلم يلبث بذلك إلّا قليلاً حتى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء فلم تزل تزيد وتنمو حتى أسفر وجهه ، وأشرق وأصبح السيد ضاحكاً مستبشراً فقال شعراً :

كذب الزاعمون انّ عليّاً لن يُنجي محبّه من هنات
قد وربي دخلت جنّة عدن وعفا لي الاله عن سيئات
فأبشروا اليوم اولياء علي وتوالوا الوصي حتى الممات
ثمّ من بعده تولوا بنيه واحداً بعد واحد بالصفات

ثمّ اتّبع قوله هذا أشهد ان لا اله إلّا الله حقاً حقاً ، وأشهد انّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله حقاً حقاً ، وأشهد انّ عليّاً أمير المؤمنين حقاً حقاً ، وإنّ الائمة عليهم السلام حقاً حقاً ، أشهد أن لا اله إلّا الله ، ثم أغمض عينيه لنفسه فكأنّما كانت روحه ذبالة طفيت أو حصاة سقطت .

وهذا الحديث في كيفيّة وفاة السيد اسماعيل الحميري ـ رضوان الله تعالى عليه ـ متواتر إلّا انّ السيد المذكور أجل من أن يكون من العصاة ، بل هو رجل

---

(١) الواقعة / ٨٣.

الشرف والتقوى ، وبالإضافة إلى ذلك فقد كان صاحب ثروة أدبيّة خدم آل محمد، وكان نتيجة ذلك ان كانت السياسة تشيع ضدّه الإشاعات لتحطيم شخصيته ، وإتهامات لا تليق بكرامته ، ومن أراد أن يتعرف على حياة السيد المذكور ، ويعرف حقيقة ذلك فعليه باقتناء كتاب (مذاهب ابتدعتها السياسة) فإنّه يطلعه على شخصية هذا السيد ، وعظمته ، وجلالة قدره حتى أنّه قد جاء في الكتاب المذكور انّ مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قد مشى خلف جنازة هذا السيد حاسر الرأس ، لكن لا منافاة بين جلالة السيد وصحة الحديث ، بل فيه عند التأمّل كرامة للسّيد المذكور من جهة كون إنّ الانسان الكامل الذي هو مثل السيد الحميري قد يكون بتركه المستحب ، وعدم اجتنابه للمكروه يعدُّ مذنباً هذا من جهة ، ومن جهة ثانية أيضاً في الحديث مكرمة وفضيلة لآل محمد عليهم السلام خصوصاً مع حضور الناصبيّة عنده الذين قد اظهروا الشماتة به .

الحديث الخامس والعشرون : جاء في تفسير القمي ، عن الصادق عليه السلام قال : ما يموت موال لنا ، مبغض لأعدائنا ، إلّا ويحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي ، والحسن والحسين عليهم السلام فيرونه ويبشّرونه ، وان كان غير موال ، يراهم بحيث يسوء ، والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام لحارث الهمداني.

يا حار همدان من يمت يرني	من مؤمن أو منافق قبلا
يعرفنيَ طرفة وأعرفه	بنعته واسمِه وما فعلا
أقولُ للنار وهي توقد للعرض	ذريه لا تقر بي الرجلا
ذريه لا تقربيه إنَّ له	حبلاً بحبل الوصي متّصلا
وانت عند الصراط معترضي	فلا تخف عثرة ولا زللا
اسقيك من بارد على ظماً	تخاله في الحلاوة العسلا

الثالث : ما جاء في مختلف الكتب من المقالة الارشاديّة الدالّة على مفارقة الانسان لهذه الدنيا ، وإليك بيان بعضها فيما يلي :

المقالة الاولى : يقال انّ الرشيد لعنه الله تعالى قد زخرف مجلسه يوماً وبالغ فيه ، ووضع طعاماً كثيراً ، ثم وجّه إلى ابي العتاهية ، فأتاه ، فقال له : صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فأنشأ يقول :

عش ما بدا لك سالماً ... في ظلّ شاهقة القصور

فقال له الرشيد : أحسنت ثم ماذا؟

فقال :

يسعى إليك ما اشتهيت ... لدى الرواح وفي البكور

فقال أحسنت ثم ماذا ؟

فقال :

فإذا النفوس تقعقعت ... في ضيق حشرجة الصّدور

فهناك تعلم موقناً ... ما كنت إلّا في غرور

وقال ايضاً :

جمعوا فما أكلوا الذي جمعوا ... وبنوا مساكنهم فما سكنوا

وكأنّهم كانوا بها ضعناً ... لمّا استراحوا ساعة ظعنوا

وقال بعضهم :

أيا من عاش في الدنيا قليلاً ... وأفنى العمر في قيلٍ وقال

واتعب نفسه فيما سيفنى ... وجمع من حرام أو حلال

هب الدنيا تقاد إليك عفواً ... أليس مصير ذلك للزوال

وقال آخر :

جمعت مالاً ففكر ما جمعت له ... يا جامع المال أيّاماً تفرقه

المال عندك مخزون لوارثه ... ما المال إلّا حين تنفقه

ارفه بعيش فتى يغدو على ثقة ... إنّ الذي قسّم الأرزاق يرزقه

فالعرض منه مصون لا يدنّسهُ ... والوجه منه جديد ليس يخلقه

وقال آخر :

تـزوّد مـا اسـتطعت لدار خـلدٍ فـخير الزاد زاد المـتّقينا
ولا يـغررك في الدنـيا ثـراء هـناك تـرى أجـور العـاملينا
تـبصّر يـا هـداك الله إنّـا نسـير عـلى طـريق السـابقينا
فـإنّ المـوت غـاية كـلُّ حـيّ وبـطن الأرض مـثوى العـالمينا
ألم تـعلم بأنّ الاءِ كـانوا مـلوكاً في القـرون الغـابرينا
اضـاعوا العـمر في لهـوٍ وظـلمٍ وحـادوا عـن طـريق المـتّقينا
ولم يجـدوا لدفـع المـوت عـنهم سـبيلاً فـاستكانوا صـاغرينا
نـعيم الخـلد لا يـفنى فسـارع لأعـمال العـباد الصـالحينا

المقالة الثانية : يقال انّه دخل بعضهم على مولانا الامام الحسن عليه‌السلام وهو يحدّث ويقول في حديثه : تصبّروا تسدّدوا ، فإنّما هي أيّام قلائل ، وإنّما أنتم ركب وقوف ، يوشك أن يدعى الرحيل منكم فيجيب ، ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم .

المقالة الثالثة : قيل إنّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قال لعبد الله بن عمر : إذا أصبحت فلا تحدّث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح ، وخذ من حياتك لموتك ، ومن صحّتك لسقمك ، فانّك يا عبد الله ما تدري ما اسمك غداً .

وفي الخبر عنه صلى‌الله‌عليه‌وآله انّه قال : إنّ أشد ما أخاف عليكم اثنتين ، اتّباع الهوى ، وطول الأمل ، فأمّا اتّباع الهوى ، فانّه يعدل عن الحق ، وأمّا طول الأمل ، فإنّه الحبّ للدنيا . ألا إنّ الله تعالى يعطي الدنيا لمن يحب ويبغض ، وإذا أحبَّ عبداً أعطاه الايمان إلا انّ للدنيا أبناء ، وللآخرة أبناء ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، ألا إنّ الدنيا قد ارتحلت مولية ، ألا إنّ الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، ألا وإنّكم في يوم عمل ليس فيه حساب ، ألا وإنّكم يوشك أن تكونوا في يوم الحساب ليس فيه عمل .

وقال بعضهم : خرج رسول الله ﷺ ذات عشية إلى الناس ، فقال : أيّها الناس أما تستحيون من الله ؟

قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟

قال : تجمعون ما لا تأكلون ، وتأملون ما لا تدركون ، وتبنون ما لا تسكنون ـ إشارة منه ﷺ إلى مفارقة الدنيا ـ.

ومن هنا قال علماء الأخلاق فيما نقلوه عن أبي سعيد الخدري أنّه قال : اشترى اسامة بن زيد وليدة بمائة دينار إلى شهر ، فسمع بذلك رسول الله ﷺ يقول : ألا تعجبون من اسامة المشتري إلى شهر ، إنّ أُسامة بن زيد لطويل الأمل ، والذي نفسي بيده ، ما طرفت عيناي إلّا ظننت أنّ شفراي لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ، ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتى أقبض ، ولا لقمت لقمة إلّا ظننت أني لا أسيغها حتى أعض بها ، ـ ثم قال ـ: يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدّوا أنفسكم من الموتى ، فو الذي نفسي بيده إنّما توعدون لآتٍ ، وما أنتم بمعجزين .

المقالة الرابعة : قال اسماعيل بن ذكوان : لقد كان سليمان بن عبد الملك جميلاً بهيّاً وكانت له هيئة حسنة ، فلبس يوماً ثياباً حمراً رقيقة ، وقال لجارية كانت له حظيّة عنده قائمة على رأسه ، وكان أعجب بنفسه كيف ترين هذه الهيئة ؟

فقالت :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أنّ لا بقاء للإنسان
انت خلو من العيوب ومما ... تكره النفس غير انّك فان

المقالة الخامسة : قال الاصمعي حدثني من أثق به ، قال غزونا البحر سنة فمالت بنا السفينة إلى جزيرة ، فاذا قصر شاهق ، وللقصر بابان ، وإلى جنبه قبر ، وبين القبر والقصر فسيل لم أر فسيلاً أحسن منه ، وعلى القبر مكتوب :

يؤمّل دنيا لتبقى له ... فمات المؤمّل قبل الأمل
وبات يروي اصول الفسيل ... فعاش الفسيل ومات الرجل

وعلى وجه القصر مكتوب :

وفتى كأنّ جبينه بدر الدجى ... قامت عليه نوائح وروامس
غرس الفسيل مؤمّلاً لبقائه ... فبقي الفسيل ومات عنه الفارس

قال فبكيت ساعة على الفارس حيث لم يبلغ أمله ، ولو كان للراوي بصيرة لكان بكاؤه على نفسه أولى وأحرى.

المقالة السادسة : يقال انّه صعد سليمان بن عبد الملك المنبر ، وقد غلفت لحيته بغالية حتى كاد يقطر منها ، ثم قال :

أنا الملك الشاب مدلاً بملكه وشبابه فما دارت عليه الجمعة إلّا وقد فارق الدنيا ، فكان كما قال القائل :

فما قضى أحد منها لبانته ... ولا انتهى أرب منها الى أرب

ومن هنا ينبغي ان يعلم الإنسان انّ عليه تقصير أمله في هذه الدنيا فانّه قد جاء عن الرسول الاكرم محمد ﷺ أنّه قال : أكلّكم يحب أن يدخل الجنة ؟

قالوا : نعم يا رسول الله .

قال : قصروا من الأمل ، وثبّتوا آجالكم بين أبصاركم ، واستحيوا من الله حقّ الحياء .

وكان ﷺ يقول في دعائه : اللهمّ إنّي أعوذ بك من دنيا تمنع الآخرة ، ومن حياة تمنع خير الممات ، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل .

وفي الحديث الشريف عنه ﷺ : (يهرم ابن آدم وتشب معه اثنتان : الحرص والامل) .

وفي نهاية المطاف من هذه المقالات الدالّة على حتميّة مفارقة الانسان لهذه الدنيا نقول : إنّ الإنسان يدرك جيداً ، ويعلم حقّاً انّه سوف يموت وإنّه غير مخلّد في الدنيا ، فهو على يقين من مفارقته لها ، وهذا ما لا يحتاج إلى دليل ، لكنّه مع ذلك طويل الأمل ، حريص على عدم مفارقتها كما ذكرنا ، ومنشأ هذا الحرص ، وطول

الأمل في عدم مفارقتها هو كما يقول العلماء : له سببان أحدهما الجهل ، والآخر هو حبّه لها . أمّا حبّه لها فهو أنّه إذا انس بها وبشهواتها ولذّاتها وعلائقها ، ثقل على قلبه مفارقتها ، فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها ، وهذا ما قد عرفته فيما تقدّم من خلال ما نقلناه لك عن مولانا الامام ﷺ.

إذن ما دام الانسان يكره مفارقة الدنيا لحبّهِ لها ، فلابدّ ان يكره الموت الذي هو سبب مفارقتها كما ذكرنا .

وكما قالوا انّ الانسان بالأماني الباطلة فيتمنى أبداً ما يوافق مراده والذي يوافق مراده البقاء فيها لأنّه يحبّها ، فلا يزال يتوهمه ويقدّره في نفسه ، ويقدّر توابعه ، وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسبابها ، فيصير قلبه عاكفاً على هذا الفكر ، موقوفاً عليه ، فيلهو عن ذكر الموت الذي هو سبب مفارقتها ، ويظن أو يتخيّل انّه مخلّد فيها ، بل ولا يقدر قلبه قرب الموت فان خطر له في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له ، سوّفَ ووعد نفسه وقال :

الأيّام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب فإذا كبر فيقول : إلى أن تصير شيخاً، فاذا صار شيخاً ، قال إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار ، وعمارة هذه الضيعة وترجع من هذه السفرة ، أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه ، وتدبير مسكن له وتفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك فلا يزال يسوّف ويؤخّر ، ولا يخوض في شغل إلّا ويتعلّق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال إلى أن تختطفه المنيّة في وقت لا يحتسبه فيطول عند ذلك حزنه ، وأكثر أهل النار صياحهم من سوّف يقولون : واحزناه من سوّف ! والمسوّف المسكين لا يدري أنّ الذي يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غداً ، وانّما يزداد بطول المدة قوة ورسوخاً .

قالوا : وأصل هذه الأماني كلها حبُّ الدنيا ، والانس بها ، والغفلة عن معنى قوله ﷺ : أحبب ما أحببت فانّك مفارقه .

قال علماء الأخلاق : وأمّا الجهل : فهو أنّ الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب أكثر ليس يتفكّر المسكين أنّ مشايخ بلده لو عدّوا لكانوا أقل من عشرة رجال ، وإنّما قلّوا لانّ الموت في الشباب أكثر ، فإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشاب ، وقد يستبعد الموت لصحّته ، ويستبعد الموت فجأة ولا يدري أنّ ذلك غير بعيد ، وإن كان ذلك بعيداً ، فالمرض فجأة غير بعيد ، وكل مرض فانّه يقع فجأة ، فاذا مرض لم يكن الموت بعيداً ، ولو تفكر هذا الغافل وعلم أنّ الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيبة وكهولة ، ومن صيف وشتاء وخريف وربيع ، ومن ليل ونهار لعظم استشعاره ، واشتغل بالاستعداد له ، ولكن الجهل بهذه الأمور وحبُّ الدنيا دعياه إلى طول الأمل ، وإلى الغفلة عن وقوع الموت القريب فهو أبداً يظن انّ الموت يكون بين يديه ، ولا يقدر نزوله به ، ووقوعه فيه . ولهذا يظن أنّه يشيّع الجنائز ، ولا يقدر أن يشيّع جنازته لأنّ هذا قد تكرر عليه ، وألفه ، فهو يشاهد موت غيره ، وأمّا موت نفسه فإنّه لم يألفه ، ولا يتصور أن يألفه ، فإنّه لا يقع ، وإذا وقع لم يقع دفعة اخرى بعده ، فهو الأول وهو الآخر ، وسبيله أن يقيس نفسه بغيره ، ويعلم أنّه لابد ان تحمل جنازته ، ويدفن في قبره ، ولعل اللبن الذي يغطي به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض .

قالوا : إذا عرفت أنّ سببه الجهل ، وحبّ الدنيا ، فعلاجه دفع سببه ، أمّا الجهل فانّه يدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة ، وأمّا حبّ الدنيا فعلاجه في إخراجه من القلب شديد ، وهو الداء العضال الذي أعيى الأوّلين والآخرين علاجه ، ولا علاج له إلّا الإيمان باليوم الآخر ، وبما فيه من عظيم العقاب ، وجزيل الثواب ، ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حبّ الدنيا ، فإنّ حبّ الخطير هو الذي يمحو حبّ الحقير ، وإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلها وإن

أعطى ملك الدنيا من المشرق إلى المغرب ، فكيف وليس لكل عبدٍ من الدنيا إلّا قدر يسير مكدّر منغص فكيف يفرح بها أو يترسخ في القلب حبّها مع الإيمان بالآخرة . فنسألُ الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده .

قالوا : ولا علاج في تقرير الموت في القلب مثل النظر إلى من مات من الاقران والأشكال ، وأنّهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا أمّا من كان مستعداً فقد فاز فوزاً عظيماً ، وأمّا من كان مغروراً بطول الأمل فقد خسر خسراناً مبينا .

وعليه أنّه ينبغي ان ينظر الإنسان كلّ ساعة في أطرافه وأعضائه وليتدبّر في أنها كيف تتفتت عظامها ، وليتفكّر في أنّ الدود يبدأ بحدقته اليمنى أوّلاً ، وباليسرى ثانياً ، فما على بدنه شيء إلّا وهو طعمة للدود ، وماله من نفسه إلّا العلم ، والعمل الخالص لوجه الله تبارك وتعالى ، وكذلك يتفكر في عذاب القبر ، وسؤال منكر ونكير ، وفي الحشر والنشر ، وأهوال يوم القيامة ، وفزع النداء يوم العرض الأكبر، فأمثال هذه الأفكار هي التي تجدّد ذكر الموت على قلبه ، وتدعوه إلى الاستعداد لمفارقة الدنيا .

الرابع : ما جاء في مختلف الكتب التاريخية وغيرها من ذكر أخبار المعمرين الذي يدل بكلِّ وضوح على انّ الإنسان مهما عاش وعمّر في هذه الدنيا فانّه لابدّ من مفارقتها ، وقد ذكرنا فيما تقدّم أخبار مجموعة منهم . وهنا نشير إلى ذكر أخبار مجموعة ثانية بما يتيسّر لنا ، ويسعنا المقام بذلك فيما يلي :

١ ـ الربيع بن الضبع الفزاري : وفد الناس على عبد الملك بن مروان ، وكان من جملتهم ، ومعه ابن ابنه ، وهب بن عبد الله بن الربيع ، وكان شيخاً فانياً ، قد سقط حاجباه على عينيه ، وقد عصّبهما ، فلمّا راه الآذن ، وكانوا يأذنون للناس على اسمائهم قال له : ادخل أيّها الشيخ ، فدخل يدبُّ على العصا يقيم بها صلبه ولحيته على ركبتيه ، فلمّا رآه عبد الملك ـ لعنه الله تعالى ـ رقَّ له وقال له : اجلس

أيّها الشيخ

فقال : يا عبد الملك أيجلس الشيخ وجدُّه على الباب .

فقال : أنت إذاً من ولد الربيع بن الضبع الفزاري .

قال : نعم ، أنا وهب بن عبد الله بن الربيع .

قال للآذن : ارجع فأدخل الربيع .

فخرج الآذن فلم يعرفه حتى نادى أين الربيع ؟

قال : ها أناذا ، فقام يهرول في مشيته ، فلمّا دخل على عبد الملك سلّم .

فقال عبد الملك : وأبيكم إنّه لأشبُّ الرجلين! يا ربيع أخبرني عمّا أدركت من العمر والمدى ، ورأيت من الخطوب الماضية .

قال أنا الذي أقول :

هـــا أنـــاذا آمـــل الخـــلود وقـــد أدرك عـــمري ومـــولدي حـــجراً

أمّـــا امـــرء القـيس قـد سمـعت بـه هـــيهات هـــيهات طـــال ذا عـــمرا

قال عبد الملك ـ لعنه الله تعالى ـ : قد رويت هذا من شعرك وأنا صبيّ!

قال وأنا القائل :

إذا عـــاش الفـــتى مأتـــين عـــاماً فـــقد ذهب اللـــــذات والفـــناء

قال عبد الملك : وقد رويت هذا من شعرك أيضاً وأنا صبيّ وغلام! وأبيك يا ربيع لقد طلبك جدٌّ غير عاثر ففصّل لي عمرك ؟

فقال : عشت مأتي سنة في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وعشرين ومأة سنة في الجاهليّة وستّين سنة في الاسلام.

٢ ـ أوس بن ربيعة بن كعب بن أُميّة : قد عاش مأتي وأربع عشرة سنة فقال في ذلك :

لقـــد عـــمرت حـــتى مـــلَّ اهـــلي ثـــواي عـــندهم وســـئمت عـــمري

وحـــــقّ لمـــن أتى مأتـــان عـــام عـــليه وأربـــع مـــن بـــعد عـــشر

يمــلُّ مــن الثــواء وصــبح ليــل ... يــغاديه وليــل بـعد يـسري
فأبــلى شــلوتي وتــركت شــلوي ... وبــاح بمــا أُجــنُّ ضمير صدري

٣ ـ نضر بن دهمان بن سليمان بن أشجع بن زيد بن غطفان : قد عاش مائة وتسعين سنة حتى سقطت أسنانه ، وخرف عقله ، وابيضَّ رأسه ، فحرب قومه أمرٌ فاحتاجوا فيه إلى رأيه ، فدعوا الله أن يردَّ عليه عقله وشبابه ، فعاد إليه شبابه واسودّ شعره ، فقال فيه سلمة بن الحريش ، ويقال عباس بن مرداس السلميُّ :

لنضر بـن دهمـان الهـنيدة عـاشها ... وتسـعين حـولاً ثمَّ قـوّم فـانصاتا
وعــاد ســواد الرأس بـعد بـياضه ... وعـاوده شرخ الشـباب الذي فـاتا
وراجـع عـقلاً بـعد مـا فـات عـقله ... ولكــنّه مــن بـعد ذا كـلّه مـاتا

٤ ـ ثعلبة بن كعب بن عبد الأشهل بن الأشوس : قد عاش مأتي سنة فقال :

لقــد صــاحبت أقــوامـاً فأمسـوا ... خــفاتاً لا يجــاب لهـم دعـاء
مــضوا قــصد السـبيل وخـلّفوني ... فــطال عــليَّ بـعدهم الثـواء
فأصــبحت الغــداة رهــين شيء ... وأخــلفني مــن المـوت الرجـاء

٥ ـ رداءة بن كعب بن ذهل بن قيس النخعي : قد عاش ثلاث مائة سنة فقال :

ولم يــبق يأخــذيه مــن لذاتي ... أبــو بــنين لا ولا بــنات
ولا عــقيم غــير ذي سـبات ... إلّا يــعدُّ اليــوم في الأمـوات

٦ ـ عمير بن هاجر بن عمير بن عبد العزيّ بن قيس الخزاعيُّ : قد عاش سبعين ومأة سنة فقال :

بـليت وأفـناني الزمـان وأصـبحت ... هنيدة قد أُبـقيت مـن بـعدها عـشرا
وأصبحت مـثل الفـرخ لا أنـا مـيتٌ ... فـابكى ولا حـيٌّ فـأُصدر لي امـل
وقد عشت دهراً مـا تجنُّ عشـيرتي ... لهــا مـيّتاً حــتى تخـطّ له قـبرا

٧ ـ العوّام بن المنذر بن زيد بن قيس بن حارثة بن لأم : قد عاش دهراً

طويلاً في الجاهلية ، وأدرك عمر بن عبد العزيز ، فادخل عليه ، وقد اختلف ترقوتاه ، وسقط حاجباه فقيل له ما أدركت ؟ فقال :

فوالله ما أدري أدركت أُمّة ... على عهدي ذي القرنين أم كنت أقدما

متى يخلعوا عنّي القميص تبيّنوا ... جناجن لم يكسين لحماً ولا دما

٨ ـ سيف بن وهب بن جذيمة الطائي : قد عاش مائتي سنة فقال :

ألا إنّني كاهب ذاهب ... فلا تحسبوا أنّني كاذب

لبست شبابي فأفنيته ... وأدركني القدر الغالب

وخصم دفعت ومولى نفعت ... حتّى يثوب له ثائب

٩ ـ أرطاة بن دشهبة المزني : عاش عشرين ومائة سنة وكان يقول :

رأيت المرء تأكله الليالي ... كأكل الأرض ساقطة الحديد

وماتبقي المنيّة حين تأتي ... على نفس ابن آدم من مزيد

وأعلم أنّها ستكرُّ حتى ... توفي نذرها بأبي الوليد

١٠ ـ وقد عاش رجل من بني ضبّة يقال له : المسجاح بن سباع دهراً طويلاً فقال :

لقد طوّفت في الآفاق حتى ... بليت وقد [دنا] لي أن أبيد

وأفناني ولا يفنى نهار ... وليل كلّما يمضي يعود

وشهر مستهل بعد شهر ... وحول بعده حول جديد

١١ ـ لبيد بن ربيعة الجعفريُّ : عاش مائة وأربعين سنة ، وأدرك الاسلام فأسلم ، فلمّا بلغ سبعين من عمره أنشأ يقول :

كأنّي وقد جاوزت سبعين حجّة ... خلعت لها عن منكبيَّ ردائيا

فلمّا بلغ سبعاً وسبعين سنة أنشأ يقول :

باتت تشكي إليَّ النفس مجهشة ... وقد حملتك سبعاً بعد سبعين

فان تزداي ثلاثاً تبلغي أملاً ... وفي الثلاث وفاء للثمانين

فلمّا بلغ تسعين سنة أنشأ يقول:

كأنّي وقد جاوزت تسعين حجّة خلعت بها عنّي عذار لثامي
رمتني بنات الدَّهر من حيث لا أرى فكيف بمن يرمي وليس برام

فلمّا بلغ مائة وعشر سنين أنشأ يقول:

وليس في مائة قد عاشها رجل وفي تكامل عشر بعدها عمر

فلمّا بلغ مائة وعشرين سنة أنشأ يقول:

قد عشت دهراً قبل مجرى داحس لو كان في النفس اللجوج خلود

فلمّا بلغ مائة وأربعين سنة أنشأ يقول :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد
غلب الرجال فكان غير مغلّب دهر طويل دائم ممدود
يوم إذا يأتي عليٌّ وليلة وكلاهما بعد المضيِّ يعود

فلمّا حضرته الوفاة قال لابنه : يابنيَّ إنّ أباك لم يمت ، ولكنّه فني فإذا قبض أبوك فأغمضه وأقبل به إلى القبلة وسجّه بثوبه ، ولا أعلمنَّ ما صرخت عليه صارخة ، أو بكت عليه باكية ، وانظر جفنتي التي كنت أُضيف بها فأجد صنعتها ثمَّ احملها إلى مسجدك ، ومن كان يغشاني عليها ، فإذا قال الامام : « سلام عليكم » فقدِّمها إليهم يأكلون منها ، فإذا فرغوا فقل : احضروا جنازة أخيكم لبيد بن ربيعة فقد قبضه الله عزَّ وجلّ ثم أنشا يقول :

وإذا دفنت أباك فاجعل فوقه خشباً وطينا
وصفائحها صما رواسيها تشدَّد والغصونا
ليقين حرّ الوجه سفساف التراب ولن يقينا

وقد روى في حديث لبيد بن ربيعة في أمر الجفنة غير هذا :

ذكروا أنّ لبيد بن ربيعة جعل على نفسه أن كلما هبّت الشمال أن ينحر جزوراً ، فيملأ الجفنة التي حكوا عنها في أوّل حديثه فلمّا ولّى الوليد بن عقبة بن

أبي معيط الكوفة ، خطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبيّ ﷺ ثمّ قال : أيّها الناس قد علمتم حال لبيد بن ربيعة الجعفريّ ، وشرفه ، ومروءته وما جعل على نفسه كلّما هبّت الشمال أن ينحر جزوراً ، فأعينوا أبا عقيل على مروءته ، ثمَّ نزل وبعث إليه بخمسة من الجزر ، وأبيات شعر يقول فيها :

أرى الجـــزّار يشــحذ شــفرتيه
إذا هــبّت ريــاح أبي عــقيل
طــويل البــاع أبــلج جــعفريٌّ
كــريم الجــدّ كــالسيف الصــقيل
وفي ابــن الجــعفريِّ بمــا لديــه
عــلى العــلّات والمــال القــليل

وقد ذكر أنَّ الجزر كانت عشرين ، فلمّا أتته قال : جزى الله الأمير خيراً قد عرف الأمير أنّي لا أقول الشعر ، ولكن أخرجي يا بنيّة فخرجت إليه بنيّة له خماسيّة فقال لها : أجيبي الأمير ، فأقبلت ، وأدبرت ثم قالت : نعم ، فأنشأت تقول :

إذا هــبّت ريــاح أبي عــقيل
دعَــونا عــند هــبّتها الوليــدا
طــويل البــاع أبــلج عــبشميّاً
أعــان عــلى مــروءته لبــيدا
بأمــثال الهــضاب كأنّ ركــباً
عــليها مــن بــني حــام قــعودا
أبــا وهب جــزاك الله خــيراً
نحــرناها وأطــعمنا الثريــدا

فــــــعد إنَّ الكـــــــريم له مـــعاد

وعـــــهدي بـــابن أروى أن يـــعودا

فقال لبيد : أحسنت يا بنيَّة لو أنّك سألت .

قالت : إنَّ الملوك لا يستحى من مسألتهـم .

١٢ ـ محصن بن عسّان بن ظالم بن عمرو بن قطيعة بن الحارث بن سلمة بن مازن الزبيديُّ ، عاش مأتي وخمسين سنة ، فقال في ذلك :

ألا يـــــا ســـلم إني لست مـــنكم

ولكـــنّي امـــرء قـــوتي ســـغوب

دعـــاني الداعـــيان فـــقلت هـــيّا

فـــقالا كـــلٌّ مـــن يـدعى يجـيب

ألا يـــا ســـلم أعـــياني قـــيامي

وأعـــيتني المكـــاسب والركـــوب

وصرت رديـــــئة في البـــيت كـــلّا

تأذّى بي الأبـــــاعد والقـــــريب

كـــذاك الدهـــر والأيّـــام خـــون

لهـــا في كـــلٍّ ســـائمة نـــصيب

فلينظر الإنسان وليتأمّل فيما ذكرناه من أحوال هؤلاء المعمرين الذين عمّروا في هذه الدنيا ثمّ فارقوها ، تاركين وراء ظهورهم ، كلّما قد حصلوا عليه من متاعها ، وعروضها ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرة وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم ﴾[1]

وفي الحديث : يا ابن آدم ، أجمع ما شئت ، فإنّك تاركه ، وأحبب ما شئت ، فإنّك مفارقه .

---

(١) الانعام / ٩٤.

وجاء في الخبر انّ رسول الله ﷺ قال : إنّ بعد العز ذلاً ، وإنّ بعد الحياة موتاً ، وإنّ بعد الدنيا آخرة .

ومن هنا ينبغي للانسان المؤمن أن يتزود من هذه الدار بالأعمال الصالحة لتلك الدار فيكون على أهبة الاستعداد للقاء الله تعالى .

قال ابو جنادة لمولانا الحسن بن علي عليهما السلام في مرضه الذي توفي فيه عضني يابن رسول الله بموعظة استفيد منها في حياتي ؟

فقال عليه السلام استعد لزادك قبل سفرك ، وحصله قبل حلول أجلِك ، واعلم انّك تطلب الدنيا والموت يطلبك .

ومعلوم أنّ المراد بالزاد في الحديث هو العمل الصالح .

قال رسول الله ﷺ لرجلٍ يعظهُ : اغتنم خمساً قبل خمس ، شبابك قبل هرمك ، وصحّتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك .

وقيل انّه ﷺ كان إذا أنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع ، أتتكم المنيّة راتبة لازمة ، إمّا بشقاوة ، وإمّا بسعاده .

ومن هنا يعلم أنّ قوله ﷺ لأتتكم لازمة ، إمّا بشقاوة ، وإمّا بسعاده .

ومن هنا يعلم أنّ قوله ﷺ أتتكم المنيّة هو العامل المحرك والمـخفّز إلى الأنسان المؤمن على العمل إلى الله تعالى من اجل لقائه . والمعنى : بادروا في العمل من قبل ان تفوتنكم القافلة ، ويدرككم الموت الذي لابدّ منه وأنتم على غير عُدة من أجل الحياة الحقيقية التي خلقتم لها ، كما جاء في الخبر عنه ﷺ : خُلقتم للبقاء لا للفناء وفي حديث آخر : خلقتُم للأبد ، وإنّما تنقلون مـن دار إلى دار فـليس الموت امراً يعدمنا ، بل هو الحياة الحقيقيّة كما ذكرنا ، غير انّ تلك الحياة بحاجة إلى العمل الصالح ، ولا يمكن ان تنال بدونه .

ومن هنا جاء في الحديث المتقدّم ، إنّ الموت هو أحد أمور ثلاثة ترد عليه

إمّا بشارة بنعيم الأبد ، وإمّا بشارة بتعذيب الأبد ، وإمّا تخويف وتهويل .

وقد جاء في نفس الحديث انّ المبشر بنعيم الأبد هو وليّنا والمطيع لأمرنا .

وعليه يكون الموت بالنسبة إلى اعداء آل محمد صلى الله عليه وآله حياة العذاب في الجحيم ، وان كان عابداً زاهداً تقيّاً ورعاً ، لأنّ العمل الصالح لا ينفع الإنسان بدون ولاية آل محمد عليهم ، وولاية آل محمد لا تنفعه بدون العمل الصالح .

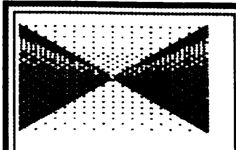
ومن هنا جاء في الخبر المروي عن جابر بن يزيد الجعفي ، عن باقر العلوم عليه السلام أنّه قال :

« يا جابر ، أيكتفي من ينتحل التشيّع أن يقول بمحبّتنا أهل البيت ، فو الله ما شيعتنا إلّا من اتقى الله واطاعه ، وما كانوا يعرفون ، يا جابر إلّا بالتواضع ، والتخشّع ، والأمانة ، والإنابة ، وكثرة ذكر الله ، والصوم ، والصلاة ، والبرّ بالوالدين ، والتعاهد للجيران من الفقراء ، وأهل المسكنة ،والغارمين ، وصدق الحديث ، وتلاوة القرآن ، وكف الألسن عن الناس إلّا من خير ، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء » .

فقال جابر : قلت : يا ابن رسول الله ، ما نعرف اليوم أحداً بهذه الأوصاف !

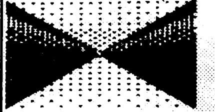
فقال عليه السلام : « يا جابر ، لاتذهبنّ بك المذاهب » : حسب الرجل أن يقول : أحبُّ عليّاً وأتولاه . فو الله ، لو قال انّي أحبُّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، فرسول الله افضل من علي صلى الله عليهما وآلهما ولا يتّبع سيرته ، ولا يعمل بسنّته ، ما نفعه حبّه شيئاً . ليس بين الله وبين احد قرابة إلّا بالتقوى ! » .

وجاء في خبر ثاني : « لا تدعوا العمل اتّكالاً على حبِّ آل محمد ، ولا تدعوا حبِّ آل محمد اتكالاً على العمل » ثبّتنا الله تعالى واخواننا المؤمنين على ولاية آل محمد والعمل الصالح انّه سميع مجيب .



فناء أشيائها





لقد تحدّثنا لقارئنا العزيز فيما تقدّم عن مفارقة الانسان لهذه الدنيا، وتركه ملاذها وما جمعه وادخره من حطامها، وقد كان الحديث عن ذلك مشفوعاً بالآيات القرآنيّة، والأحاديث النبوية، والمقالات الارشاديّة، وذكر أحوال بعض المعمرين الذين عاشوا في الدنيا ثم تركو ها بعد ذلك، وفارقوا الاهل والأحبّة.

وهنا في آخر معنونات هذا الكتاب نتحدّث بصورة مجملة عما يقع بعد نفخ الصور من فناء أشيائها بصورة عامة، فنقول:

انّه قد جاء في الخبر: إنّ الله تعالى خلق اسرافيل، وخلق معه صوراً، يعني قرناً له طرفان، احدهما في المشرق، والآخر في المغرب، وهو قابض عليه منتظر لأمر الله تعالى فإذا أمره نفخ فيه.

وفي دعاء مولانا سجاد آل محمد عليه السلام واسرافيل صاحب الصور الشاخص الذي ينتظر منك الإذن، وحلول الأمر، فينبّه بالنفخة صرعى رهائن القبور.

وفي القرآن الكريم آيات شريفة تدل على النفخ نستعرضها فيما يلي:

الآية الاولى: قوله تعالى: ﴿ ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا ﴾[1].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ﴾[2].

---

(١) الكهف / ٩٩.

(٢) طه / ١٠٢.

الآية الثالثة : قوله تعالى : ﴿ فإذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون ﴾[1] .

الآية الرابعة : قوله تعالى : ﴿ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل اتوه داخرين ﴾[2] .

الآية الخامسة : قوله تعالى : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ، ما ينظرون الا صيحةً واحدةٍ تأخذهُم وهم يخصمون ، فلا يستطيعون توصيةً ولا إلى أهلهم يرجعون ، ونُفخ في الصور فإذا هم من الاجداث إلى ربّهم ينسلون ، قالوا ياولينا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ، إن كانت إلّا صيحةً واحدةً فإذاهم جميعٌ لدينا محضرون ﴾[3] .

قال جملة من المفسّرين في قوله تعالى : ﴿ ما ينظرون الا صيحة واحدة ﴾ إنّ المراد النفخة الاولى ، يعني أنّ القيامة تأتيهم بغتة ، تأخذهم الصيحة ، وهم يختصمون في امورهم ويتبايعون في الاسواق .

وفي الحديث تقوم الساعة ، والرجلان قد نشرا ثوابهما يتبايعانه حتى تقوم ، والرجل يرفع لقمته إلى فيه فما تصل فيه حتى تقوم ، والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها جتى تقوم فلا يستطيعون توصيةً ، يعني إنّ الساعة إذا أخذتهم بغتة ، لم يقدر على الايصاء بشيء ، ولا إلى منازلهم يرجعون من الاسواق ، ثم اخبر سبحانه عن النفخة الثانية وقال ﴿ ونفخ في الصور فإذا هم من الاجداث ـوهي القبور ـ إلى ربهم ينسلون ﴾ أي يخرجون سراعاً .

الاية السادسة : قوله تعالى : ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾[4] .

---

(١) المؤمنون / ١٠١ .
(٢) النحل / ٨٧.
(٣) يس / ٤٨ ـ ٥٣ .
(٤) الزمر / ٦٨.

الآية السابعة : قوله تعالى : ﴿ ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾[1] .

الآية الثامنة : قوله تعالى : ﴿ يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ﴾[2] .

وفي الخبر عن عبيد بن زرارة ، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إذا أمات الله أهل الأرض لبث كمثل ما خلق الخلق ، ومثل ما أماتهم ، وأضعاف ذلك ثم أمات أهل السماء الدنيا وهكذا بقية السماوات على التدريج المذكور ، وبعد ذلك يقول الله عز وجل لمن الملك اليوم ؟ فيردّ على نفسه لله الواحد القهار ، أين الجبارون الذين ادّعوا معي إلهاً ، أين المتكبّرون.

والآيات الشريفة تدل على انّه يفنى كلّ شيء من الاجسام وغيرها وإليك بعضها :

الآية الاولى : قوله تعالى : ﴿ كلّ شيء هالك إلّا وجهه ﴾[3] .

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿ وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾[4] . ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾[5] .

الآية الثالثة : قوله تعالى : ﴿ كل من عليها فان ﴾[6] .

الآية الرابعة : قوله تعالى : ﴿ هو الأول والآخر ﴾[7] .

قال المحقق الطوسي رضوان الله تعالى عليه : أي في الوجود ، ولا يتصور

---

(١) ق / ٢٠ ـ ٢٢ .
(٢) ق / ٤٢ .
(٣) القصص / ٨٨ .
(٤) الروم / ١١ .
(٥) الانبياء / ١٠٤ .
(٦) الرحمن / ٢٦ .
(٧) الحديد / ٣ .

ذلك إلّا بانعدام ما سواه وليس بعد القيامة وفاةً، فيكون قبلها .

وهناك أخذ وعطاء في الآيات المذكورة بين العلماء ، فمن أراد أن يقف على وجه الحقيقة في ذلك فليرجع إلى كتب علم الكلام .

وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج ا لبلاغة هو المفني لها بعد وجوده، حتى يصير موجودها كمفقودها ، وليس فناء الدنيا بعد ابتدائها بأعجب من إنشائها واختراعها ـ إلى أن قال عليه السلام ـ وأنّه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك ، ويكون بعد فنائها بلا وقت ، ولا مكان ، ولا حين ، ولا زمان ، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات ، وزالت السنون والساعات ، لا شيء إلّا الواحد القهار ـ إلى أن قال عليه السلام ـ ثمّ يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها .

هذا آخر ما أردنا بيانه والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ، لا سيما بقية الله في الأرضين ، مولانا الحجة بن الحسن عجل الله فرجه الشريف ، وروحي وأرواح العالمين له الفداء .

تم الكتاب في يوم الخامس عشر من شهر جمادى الاولى سنة ١٤٠٦ هـ ببركة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها حرره الاقل السيد عبد الله السيد حسن السيد هاشم الموسوي البحراني .

١ ـ فهرس المصادر

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الآداب المعنويّة للصلاة للإمام الخميني قدس سره .

٣ ـ الأخلاق للسيّد عبد الله شبّر .

٤ ـ الأخلاق الاسلاميّة للسيّد فضل الله .

٥ ـ الأربعون حديثاً للإمام الخميني قدس سره .

٦ ـ الإمام الصادق لآية الله محمد حسين المظفّر .

٧ ـ الأنوار النعمانيّة للسيّد نعمة الله الجزائري .

٨ ـ بحار الأنوار للعلّامة محمد باقر المجلسي .

٩ ـ البرهان المؤيّد لأحمد الرفاعي .

١٠ ـ بلسم الروح (وصيّة الإمام الخميني قدس سره) .

١١ ـ تفسير البصائر ليعسوب الدين رستگار .

١٢ ـ تفسير الجواهر للشيخ طنطاوي جوهري .

١٣ ـ تفسير الكاشف للشيخ محمد جواد مغنيّة .

١٤ ـ تفسير الميزان للعلّامة محمد حسين الطباطبائي .

١٥ ـ تفصيل آيات القرآن الحكيم لجولابوم .

١٦ ـ التكامل في الاسلام لأحمد أمين .

١٧ ـ جامع السعادات للمولى محمد مهدي النراقي .

١٨ ـ حالة أهل الحقيقة مع الله للرفاعي .
١٩ ـ حقّ اليقين للسيّد عبد الله شبّر .
٢٠ ـ الديوان المنسوب للإمام علي عليه السلام .
٢١ ـ سلك الدرَر للشيخ خلفان بن جميل السيّابي .
٢٢ ـ الطفل بين الوراثة والتربية لآية الله محمد تقي الفلسفي .
٢٣ ـ فضل العلم والعالم للمؤلّف .
٢٤ ـ قبسات من حياة الإمام قدس سره .
٢٥ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير .
٢٦ ـ الكشكول للشيخ يوسف البحراني .
٢٧ ـ الكشكول للشيخ البهائي .
٢٨ ـ مجموعة ورّام (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر) للأمير ورّام بن أبي فراس المالكي .
٢٩ ـ مسلكنا في الأُصول والأخلاق والفروع للشيخ علي المشكيني .
٣٠ ـ المطالعات في مختلف المؤلّفات للسيّد محمد علي الموسوي الحمامي .
٣١ ـ ملحمة أهل البيت عليهم السلام لعبد المنعم الفرطوسي .
٣٢ ـ نهج البلاغة جمع الشريف الرضي .
٣٣ ـ نور الحقيقة ونور الحديقة للشيخ حسين بن عبد الصمد (والد الشيخ البهائي).

٢ ـ فهرس الموضوعات

كتب صدرت للمؤلّف

١ ـ فضل العلم والعالم .

٢ ـ البداء .

٣ ـ الدنيا الفانية ـ وهو هذا الكتاب ـ .